الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان
كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية
قسم الفلسفة

أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه علوم في الفلسفة

تخصص: الفلسفة المعاصرة وقضايا المنهج

الموسومة بـــ

التأصيل الفينومينولوجي الترنسندنتالي عند ايمانويل ليفيناس
قراءة في النماذج الإتيقية والأنطولوجية

-إعداد الطالب
- رحيم عمر

- بإشـــــراف
-أ.د مونيس بخضرة

لجنة المناقشة

اسم الأستاذ	الرتبة العلمية	مؤسسة الانتساب	الصفة
1- محمد شوقي الزين	أستـــاذ	جامعة تلمسان	رئيسًا
2- مونيس بخضرة	أستـــاذ	جامعة تلمسان	مشرفاً ومقررًا
3- عبدالقادر بودومة	أستـــاذ	جامعة تلمسان	عضوًا
4- سواريت بن عمر	أستـــاذ	جامعة وهران2	عضوًا
5- فضيلة سنوسي	أستاذة محاضرة"أ"	جامعة سعيدة	عضوًا
6- حاجة بن ناصر	أستاذة محاضرة"أ"	جامعة تيارت	عضوًا

السنة الجامعية: 2022- 2023

شكر وعرفان

شكر خاص للأستاذ المشرف: **مونيس بخضرة**....على حرصه لإنجاز هذا العمل، وعلى توجيهاته ومساعداته المقدمة قصد إتمام هذا العمل.....

شكر مميّز للأستاذ **أحمد عطار** .....مدير مخبر الفينومينولوجيا وتطبيقاتها..... على تسخيره لجميع الوسائل المتاحة في المخبر لإنجاز الأطروحات والأبحاث.....

شكر للأستاذ: **بودومة عبد القادر**،..... الفينومينولوجيا، على توجيهاته، والذي كان له الفضل في الاشتغال على هذا الموضوع والذي يعتبر امتدادا لرسالتنا في الماجستير المعنونة بـ:**فينومينولوجيا الوجه والإيروس عند ايمانويل ليفيناس**، في إطار مشروعه في الماجستير :الفلسفة المعاصرة وقضايا المنهج....

شكر خاص لجميع أساتذة الفلسفة بجامعة تلمسان الذين ساهموا في توجيهنا سواء من قريب أو من بعيد....

إهداء

إهداء دائم وأبدي إلى روح الوالدين،.....

رحمةً، اعترافًا، صدقةً، شوقًا.....

...إلى جميع أصدقاء العلم، والبحث الجاد،

المتواضعين والآمنين في بحوثهم.....

الفهرس

شكر وعرفان	
إهداء	
الفهرس	
مقدمة	أ– ز
الفصل الأول: ليفيناس وإشكالية التأصيل الفينومينولوجي	
مقدمة الفصل الأول	
المبحث الأوّل: الذاتية والفينومينولوجيا: ليفيناس قارئًا للترنسندنتالي الهوسرلي	16– 30
المبحث الثاني: من الانطولوجيا إلى الميتافيزيقا: البحث عن سبل لتجاوز هيدغر	32– 45
المبحث الثالث: اليهودية والغيرية الترنسندنتالية	47– 63
خلاصة الفصل الأوّل	64
الفصل الثاني: الترنسندنتالي والوجه	
مدخل الفصل الثاني	66
المبحث الأول: الأثر والترنسندنتالي	68– 82
المبحث الثاني: الميتافيزيقا وسؤال الذاتية	84– 105
المبحث الثالث:فكرة السياسية وإمكانية العدالة الترنسندنتالية	107– 124

خلاصة الفصل الثاني	125
الفصل الثالث: فينومينولوجيا الفن والأنثوي	
مقدمة الفصل الثالث	127
المبحث الأوّل: : الفن والحقيقة الميتافيزيقية الترنسندنتالية	128– 147
المبحث الثاني:ماهية الأنثوي والمقدس الترنسندنتالي	149– 165
المبحث الثالث:قراءات لأهم أسس الميتافيزيقا الليفيناسية	167– 186
خلاصة الفصل الثالث	187
خاتمة الأطروحة	189–190
ملحق خاص بالسيرة الذاتية لإيمانويل ليفيناس	192– 196
ملحق خاص بعلاقة ليفيناس مع كل من سارتر وميرلوبونتي	197– 200
ملحق خاص بصور منحوتات المتعلقة بفن الطمس عند" ساشا سوسنو Sosno Sacha"	202– 206
قائمة المصادر والمراجع	208–214
ملخص الأطروحة بالعربية والإنجليزية والفرنسية	

مقدمـة

يعتبر "ايمانويل ليفيناس" حلقة فينومينولوجية مهمة في فرنسا باعتباره من ضمن الأوائل الذين قدّموها للفكر الفرنسي، إذ نجد تتويج ذلك من خلال أطروحته حول هوسرل Edmund (Husserl(1859-1938) المعنونة: "بنظرية الحدس في فينومينولوجيا هوسرل سنة 1930 la théorie de l'intuition dans la phénoménologie de Husserl، وترجمته للتأملات الديكارتية(méditation cartésiennes-1986) لمؤلفها "ادموند هوسرل" سنة1931، وكانت بدايته بالاهتمام بالفينومينولوجيا سنة 1927 حيث أنذاك لم تكن معروفة في فرنسا، وهي السنة نفسها التي تزامنت مع إصدار كتاب "الوجود والزمان" "لهيدغر" الذي يعتبره الأكثر قيمة من بين جميع مؤلفاته، ،قراءته لهذا الأخير مكنته من إلقاء لمحاضرة سنة 1940 بعنوان:"الانطولوجي في الوعي الزمني" وذلك كان بطلب من "جان قال "Jean wahle" لفائدة طلبته، إضافة إلى مقالة "هل الانطولوجيا أساسية سنة 1951؟" فتشبع "ليفيناس" بالتيار الفينومينولوجي والانطولوجي قد تبعه عدة أعمال ودراسات حول التلمود والفكر اليهودي، نظرًا لتشبعه بهذه الثقافة والتي نشأ بين أحضانها فقد ساهمت هذه التيارات الثلاثة بشكل كبير في بلورة فكره إضافة إلى مناهل أخرى أدبية وفلسفية فمكنته جميعها على تقديم مشروع فلسفيّ متميّز، استمرارًا للتيارات التي تغذى منه فكره وتأصيلا لمشروعه الميتافيزيقي.

يحاول "ليفيناس" ضمن مشروعة الميتافيزيقي التأصيل لغيرية وفق أساس ترنسندنتالي ما بعد فينومينولوجي، أي القائم على الوجه الغير المرئي، فما وراء ظهور الوجه، والذي يعتبر كحدث

للحقيقة، والوجود الحقيقي الذي يستحق أن ننطلق منه إلى تأسيس ميتافيزيقا ترنسندنتالية، وكان السعي الدائم يهدف إلى بناء فينومينولوجيا تتأسس انطلاقاً من علاقة الأنا بالآخر، لكن ليس بهدف الربط والتمثل وإنّما بهدف الانفصال، لذلك تضع المفاهيم التقليدية الهوسرلية موضع استفهام، فاعتبر بذلك الاتيقا "فلسفة أولى" بديلةَ للفينومينولوجيا الهوسرلية وللانطولوجيا الهيدغرية.

ويُعتبر موضوع أطروحتنا المعنون بـ" التأصيل الفينومينولوجي الترنسندنتالي عند ايمانويل ليفيناس:قراءة في النماذج الاتيقية والانطولوجية" محاولة للإجابة على سؤال التأصيل والترنسندنتالي(التعالي) داخل فينومينولوجيا الغيرية، وهو بمثابة إجابة على موقف ليفيناس من فلسفتي "هوسرل""وهيدغر"، ومساءلة حول مشروعية فلسفتهما في التعبير عن الحقيقة الميتافيزيقية، فالوجه الإنساني ليس مجرد شكل أو ظاهرة، أو وجود يقف أمامنا كحدث يثير التأمل أو الاختزال، وإنّما الوجه يعبّر عن استقامة حقيقية وهو بنية لخطاب ترنسندنتالي يحكم كل علاقة ممكنة وفق شروطها الكاملة، فالاتيقا وفق ماهية الوجه ليست نابعة من حرية الذات، ولا تتوقف على موقف الغير منا، وإنّما نابعة من أصل فينومينولوجي ترنسندنتالي يحافظ على متانتها، ويجسد تجربة ميتافيزيقية متميّزة، تقف وراء العناية التامة بالآخر والحرص التام على إقامة العدل ونبذ العنف كغاية أساسية من كل المعاملات التي يمكن أن تنتمي إلى الاتيقا، ولا شك أنّ المناهل التي تغذى بها فكر ليفيناس قد ساهمت في تأسيس هذه الاتيقا، ونجد قيمتها داخلها، وبالتالي البحث عن سؤال التأصيل والمرجع داخل النماذج الاتيقية والأنطولوجية التي يقوم بقراءتها، كالأثر، الفن، الموت، الذاتية ، العدالة، وذلك

للبحث فما إذا كان ذلك أصلاً جذريًا، أو أنّه امتدادًا أو تطويرًا أو نقدًا وتجاوزًا، لذلك الاتيقا التي قدمّها يعتبرها بديل فهي النموذج الذي لابد له من أساس ومرجع، مواجهة بذلك عصر شهد سيطرة الفينومينولوجيا والأنطولوجيا، فسؤال التأصيل الفينومينولوجي الترنسندنتالي عند "ايمانويل ليفيناس" هو استفسار حول مشروعية الفينومينولوجيا الهوسرلية وعن ضرورتها في العلاقات الإنسانية، واستفسار عن قيمة المفاهيم الفينومينولوجية الترنسندنتالية التي تهتم بعمليات الإدراك حول العالم الخارجي، وكذلك قول حول قيمة الانطولوجيا بالنسبة الميتافيزيقا، وعن مدى ربط بعض القيّم كالفن والموت بالوجود وشروطه الأساسية، فإلى أي مدى يمكن القول أنّ النماذج الاتيقية والانطولوجية عند ليفيناس لها أصالة فينومينولوجية ترنسندنتالية؟

وللإجابة على الإشكالية سنقوم في بحثنا بالاشتغال على أهم النماذج الاتيقية والأنطولوجية، ومعرفة الأساس الذي تم تناولها به، فنحاول الإجابة على جملة من الأسئلة الفرعي التي نحللها في مباحث هذا العمل وأهمها يتمثل فما يلي:

-كيف ساهمت كل من فينومينولوجيا هوسرل وانطولوجيا هيدغر و عقيدة التلمود في بلورة الميتافيزيقا الليفيناسية؟

- ما هو الأصل الذي تعتمده الذاتية الترنسندنتالية التي تُبنى على فينومينولوجيا ما وراء الوجه؟

- كيف ساهم التراث العبري في بلورة مشروع ليفيناس الفلسفي، وخصوصًا في مسألة الأنثوي والمقدس، ونقد التجربة الفنّية؟

أهمية الموضوع:

لعلّ التأكيد على الاتيقا التي تُعنى بشكل عفوي وبدافع الحب نحو الإنسان الآخر بالرغم من كل ما يمكن أن يميزه عن الذوات الأخرى، يحتاج منا إلى معرفة أهم تطبيقات الفينومينولوجيا وفق القراءة الليفيناسية،والتي تجد فيه هذه الاتيقا لكي تصبح فلسفة أولى، ولعّل المبدأ الفينومينولوجي الترنسندنتالي- ليس بالمعنى الهوسرلي- هو الذي تجد فيه الإنسانية مبرر وجودها.

- أهداف البحث:

يهدف بحثنا بدرجة أولى على كشف البعد التأصيلي للاتيقا الترنسندنتالية عن ليفيناس، لنكشف بذلك المصادر الأساسية التي بُنيت عليها الغيرية الإنسانية، والتي تهتم بقيّم العدالة والحب الذي يجب إعطاءه للآخر الحر والمختلف ثقافيًا عن الذات، والذي يعتبر بشكل دائم مصدر للتعاليم و الخطاب السيادي كأوّل شرط للمسؤولية وللقداسة.

- منهج الدراسة:

اعتمدنا في هذه الأطروحة على المنهج التحليلي والمنهج النقدي، فأهمية التحليل راجعة لصعوبة المفاهيم الفينومينولوجية التي تحتاج إلى شرح وتبسيط، وأيضًا لأنّ القاموس اللفظي "الليفيناسي" يتقاطع مع عدة تيارات فكرية، دينية، أدبية، وفلسفية، تحتاج إلى دراستها والنظر فيها بشكل دقيق ومعمق.

أمّا المنهج النقدي فهو ضروري لأجل تقويم الفلسفة الليفيناسية بصفة عامة مع معاصريه، وهذا لأجل تبيان مكانة فكره في الفلسفة المعاصرة، الغربية والعربية.

– أسباب اختيار الموضوع:

من أهم الأسباب الذاتية التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع هو قيمة وجمالية الأفكار التي قدّمها "ليفيناس" في أعماله والتي تتعلق بأسس المعاملة مع الإنسان الآخر.

أمّا الأسباب الموضوعية فيُعتبر هذا البحث امتداد لرسالة الماجستير المحررة سنة 2016، وهذا بهدف توسيع معارفنا حول الفكر الليفيناسي والإلمام بالجوانب التي لم نتمكن من الإحاطة بها في الرسالة السابقة.

وقصد إعطاء هذا البحث حقه، قسمناه إلى ثلاث فصول كُبرى تتخللها مباحث وعناوين فرعية، وقد بدأناه بمقدمة عامة تنتهي بطرح إشكالية عامة لهذا الموضوع، مع عدة أسئلة فرعية وفرضيات.

في الفصل الأوّل والمعنون بـ:"ليفيناس وإشكالية التأصيل الفينومينولوجي"، تناولنا ثلاثة مباحث وكل مبحث ينقسم إلى مطالب فرعية:

– في المبحث الأول المعنون بـ: "الذاتية والفينومينولوجيا: ليفيناس قارئًا للترنسندنتالي الهوسرلي"، كان لأجل معرفة الحضور الفينومينولوجي في الاتيقا الليفيناسية، إضافة إلى إبراز أهم نقائص الترنسندنتالي بالمفهوم الهوسرلي.

– وفي المبحث الثاني الذي جاء بعنوان:"من الأنطولوجيا إلى الميتافيزيقا: البحث عن سبل تجاوز هيدغر"، أردنا من خلاله تبيان مدى قدرة الانطولوجيا على وصف وتأسيس علاقات الغيرية، حيث هنا سيتجاوز ليفيناس "القراءة الهيدغرية" للوجود وللغيرية والاتيقا، لأنّه يراها غير أصيلة لأجل الكشف عن اتيقا الوجه.

– في المبحث الثالث المعنون بـ: اليهودية والغيرية الترنسندنتالية، حاولنا من خلاله معرفة الدور الذي يلعبه التراث اليهودي العبري في صناعة اتيقا تدعو إلى الإنسانية العالمية، وتؤسس للمبدأ الترنسندنتالي لاتيقا الغيرية التي يتحدث عنها ليفيناس عبر خطاب الوجه.

أمّا الفصل الثاني المعنون بـ:"الترنسندنتالي والوجه" فيتخلله أيضًا ثلاثة مباحث كُبرى متفرعة إلى عدة مطالب جزئية ومباحثه هي كالآتي:

– جاء المبحث الأوّل بعنوان:"الأثر والترنسندنتالي"، وهنا لأجل اعتبار "الأثر" كسبيل لعلاقتنا المباشرة مع "الإله" والتي تبدأ بطبيعة الحال مع الإنسان سواء في حضوره أين نلتمس الأثر كتعاليم وكخلق للإنسان والكون، أو في غيابه للدلالة على الماضي الذي يؤسس للغيرية الترنسندنتالية على شكل السلطة وغياب الحرّية.

– وفي المبحث الثاني الذي جاء بعنوان:"الميتافيزيقا وسؤال الذاتية"، كان بهدف تناول كل أسس الاتيقا الليفيناسية، مثل الانتخاب، الهوس، الهشاشة، المعاناة، والسلبية، والتي جميعها تؤكد على قيمة

الذاتية في مسؤولياتها المقدسة تجاه الآخر، التي تسبق الفعل الحر، أو التفكير العقلي الذي يمكن أن يؤطرها.

– أمّا المبحث الثالث والأخير كان تحت عنوان: "فكرة السياسة وإمكانية العدالة الترنسندنتالية"، أين سيحاول ليفيناس تجاوز عدالة المؤسسات متجهًا نحو العدالة الإنسانية، والتي ترسي حقوق النّاس وتراعي شروط الاختلاف والتنوع والاعتراف.

أمّا الفصل الثالث فقد جاء بعنوان:"فينومينولوجيا الفن والأنثوي"، وهذا لتبيان النقد الانطولوجي للفن أو الإستطيقا، وأيضًا تقديم القراءة الترنسندنتالية للأنثوي، وهذا الفصل بدوره ينقسم إلى ثلاث مباحث أساسية كانت ممثلة فما يلي:

– في المبحث الأول المعنون بـ: "التجربة الاستطيقية أو فن طمس"، سيقدم ليفيناس نقدًا انطولوجيًا وإتيقيًا للفن، ويقيم مقابلة مع منحوتات "ساشا سوسنو" والمتعلقة بفن الطمس، الذي يقدم له ليفيناس قراءة تأويلية للوجود الإنساني وهذا بعدما تخل الفن عن أداء المهمة الأساسية له.

– وفي المبحث الثاني المعنون بـ: الأنثوي والترنسندنتالي، تعرضنا من خلاله لإشكالية خلق الأنثى، وإلى مكانتها الأساسية والمهمة في الغيرية، أين ستؤسس لعلاقة فريدة وخاصة لتصبح بذلك آخرًا.

– أمّا في المبحث الثالث فقد حمل عنوان:تقويم لأهم أسس الفينومينولوجيا الليفيناسية، وذلك قصد نقد أهم الأسس الميتافيزيقا الليفيناسية، كالهوية، والمسؤولية، والذاتية، والتعالي، والحب....

وينتهي البحث بخاتمة تبين قيمة الأصالة الترنسندنتالية الفينومينولوجية في بناء الاتيقا والغيرية المطلقة، إضافة إلى ملاحق خاصة بسيرة "ليفيناس" عرفت عدة محطات أساسية ساهمت بشكل كبير في بلورة فكرة الفلسفي والديني، وأيضًا ملحق خاص بعلاقته مع كل من "سارتر" "وميرلوبونتي"، "وفرانز روزنزفيك" الذي كان لهم حضور خاص ومميّز لدي ليفيناس، و كذلك ملحق خاص بالفن، وهي مجموعة فنية للنحّات الفرنسي "ساشا سوسنو" الذي سبق وأن أجرى معه ليفيناس لقاء حول سر ولغز فن الطمس الذي تجسده منحوتات مُطمسة للجسد والوجه الإنساني.

الدراسات السابقة:

من بين الدراسات السابقة المهمة في الفكر الليفيناسي نجد:

1- مصطفى الظاوي، من العلم إلى الاتيقا، ليفيناس قارئًا لهوسرل، وهو كتاب عبارة عن أطروحة الدكتوراه نشرها ضمن كتاب، عن دار كنوز المعرفة، عمان، سنة 2020، الكتاب تناول بالشكل الدقيق والمختص علاقة "ليفيناس" "بهوسرل"، عبّر العمل على دراسة أهم الملاحظات والقراءات التي قدّما ليفيناس لهوسرل في عدة نقاط، على غرار الذاتية، الترنسندنتالي، القصدية...

2- فضيلة سنوسي، "النزعة الإنسانية في فكر ايمانويل ليفيناس"، أطروحة دكتوراه، إشراف: سواريت بن عمر، جامعة وهران 2، سنة 2016، اهتمت هذه الأطروحة بتبيان مشروع فلسفة ليفيناس والمتمثل في العلاقات الإنسانية التي هي أساس الغيرية، فتناولت تاريخ النزعة الإنسانية، والمرجعيات الفلسفية للنزعة الإنسانية عند ليفيناس إضافة إلى إنسانية الإنسان الآخر، فهذه الدراسة لم تركز على

البعد الديني الذي يؤسس للمبدأ الترنسندنتالي الذي نلتمسه في الوجه الذي يكشف لنا الإله، والذي يحث على إقامة العدالة، وعلى حب الجار، .

3- رحيم عمر، "فينومينولوجيا الوجه والايروس عند ايمانويل ليفيناس"، رسالة ماجستير، كانت بإشراف الأستاذ مونيس بخضرة، ناقشتها في جامعة تلمسان، سنة 2016، في هذا العمل ركزنا على ماهية الوجه وأهميته في العلاقة بين الأنا والآخر، واشتغلنا على بعض المفاهيم على غرار المسؤولية، الموت، اللانهائي، الايروس، فكان لابد من الاستمرار في هذا الطرح وكانت أطروحتنا هذه لأجل إبراز البعد الترنسندنتالي الذي يهم ليفيناس والذي يتخذه كمرجع للاتيقا الليفيناسية.

4- مصطفى كمال فرحات،"صروف الكينونة بين ليفيناص وهيدغر، حرب الاتيقا ضد الانطولوجيا، مقالة"، وهي عبارة عن مقالة منشورة ضمن مجلة أوراق فلسفية تحت إشراف: عبد الحليم عطية، العدد السابع عشر، القاهرة،سنة 2007، في هذه الدراسة يتناول الكاتب أهم الانتقادات التي وجهها ليفيناص للأنطولوجيا الهيدغرية، والتي تهمل أولوية الآخر، وحرية الغير، كم أنّها تمارس نوعًا من العنف والسلطة، لذلك "ليفيناس" يرفض أن تكون الاتيقا شبيهة بالطرح الانطولوجي الذي قدّمه هيدغر.

الصعوبات:

من أهم الصعوبات التي يمكن أن تتخلل أي بحث تتمثل في طلب الجهد والتمكن من اللسان والقاموس الذي يتحدث به الفيلسوف، صعوبات في فهمها وفي ترجمتها في بعض المواضع، إضافة إلى صعوبة الترجمة من النصوص الأصلية التي تحتاج إلى الوقت، والتمكن الجيّد من اللغة الأصلية، ومن القاموس الفلسفي للفيلسوف الذي نجد فيه تقارب في معاني بعض المصطلحات، وأحيانا تناقضها بمجرد فصل بين ألفاظ الكلمات.

الفصل الأول

ليفيناس وإشكالية التأصيل الفينومينولوجي

المبحث الأول: الذاتية والفينومينولوجيا: ليفيناس قارئًا للترنسندنتالي الهوسرلي

المبحث الثاني :من الأنطولوجيا إلى الميتافيزيقا: البحث عن سبل لتجاوز هيدغر

المبحث الثالث: اليهودية والغيرية الترنسندنتالية

مدخل الفصل الأول

يتناول هذا الفصل ثلاث مباحث رئيسية متعلقة بموقف "ليفيناس" من فلسفتي "هوسرل" "وهيدغر"، إضافة إلى علاقته بالديانة اليهودية، فهي من بين أهم المناهل التي تأثر بها بشكل كبير حيث نجد حضورها في أغلب أفكاره، وهذا لايعني أنّ "ليفيناس" لم يتأثر بشخصيات وأفكار أخرى على سبيل المثال نذكر: "أفلاطون"، "برغسون"، "مويس بلانشو"، "فرانز روزنزفيك"، إضافة إلى تيارات أخرى أدبية مثل "ديستوفيتسكي" "وتولستوي"، أمّا سبب اختيار النماذج الثلاثة السابقة فهو أنّها الأساس في فهم أسس مشروعة الاتيقي الذي يؤسسه على الوجه الغير مرئي للإنسان الآخر.

يعتبر هذا الفصل إجابة على إشكالية هذا البحث، وهي إيضاح أُسس التأصيل الفينومينولوجي الترنسندنتالي والتي طبّقها في نماذج اتيقية وأنطولجية، فكان البحث عن معنى الفينومينولوجيا الترنسندنتالية (التعالي) داخل تجليات الوجه مقارنة بالفينومينولوجيا الترنسندنتالية الهوسرلية المتعلقة بالمواضيع والأشياء الخارجية، مع تبيان موقفه منه، ليكتشف بذلك أنّ الترنسندنتالي و"القصدية" بالمعنى الهوسرلي غير كافية لإدراك حقيقة الوجه، وأنها لا تتيح إمكانية اللقاء بالآخر، فكان ذلك سببًا كافيا عند "ليفيناس"للبحث عن منهل آخر وهو التوجه إلى الأنطولوجيا، فبالرغم من إعجابه "بهيدغر" إلا أنّه في الأخير لم يتقبل فكرة الوجود بشكله العام حيث يكون الإنسان تحت رحمته، فاعتبره شبيهًا بالظلام والعتمة التي تولد الرعب، وتمارس كل أنواع القوة والهيمنة على الذات، أمّا المبحث الأخير فتناولنا فيه علاقة ليفيناس بالفكر اليهودي، أين اعتبرها الأنموذج المثالي للعلاقات الإنسانية، وأنّ "الترنسندنتالي" الحقيقي يبدأ بإدراك التعاليم الدينية التي يتكلم بها الإله وذلك من خلال وجه الإنسان الآخر، فالأساس الذي تكشفه الفينومينولوجيا هو الجزء الغير ظاهر للوجه أين يتجلى الترنسندنتالي والقداسة، حيث يمكننا نعتها بفينومينولوجيا الإله الغير مرئي لكونه مصدرًا لكل الوصايا والأوامر الاتيقية التي توصي بحب واحترام الإنسان الآخر.

بالنسبة لبعض الترجمات كلفظ الإلهdieu استعملناها كدلالة إجرائية حول الفكر اليهودي وليس الإسلامي، وهذا كضرورة منهجية، وأمّا بالنسبة للفظين الأساسين l'autre نستعمل لفظ الآخر بينما كلمةl'autrui نستعمل لفظ الغير، وهذا لأنّ دلالتهما مختلفة حسب ليفيناس.

المبحث الأوّل: الذاتية والفينومينولوجيا:ليفيناس قارئًا للترنسندنتالي الهوسرلي

"... بدا لي أنّه من الضروري الإصرار على عدم اختزال المسؤولية تجاه الآخرين نحو قصدية الوعي، وفكر المعرفة ، المتعلقين بتجاوز الآخر، والتي تتضمن المعرفة، المساواة بين الفكرة والفكر."

ليفيناس، خارج الموضوع...

"... إنّ عرض المعنى الاتيقي للتعالي(الترنسندنتالي) واللانهائي- فما وراء الوجود- يمكن تنفيذه من مجاورة القريب، وبمسؤوليتي تجاه الغير."

ليفيناس، الإله الذي يأتي إلى الفكر....

1- ليفيناس والاهتمام بالفينومينولوجيا

تبدأ رحلة "ليفيناس" Levinas Emmanuel داخل الاتجاه الفينومينولوجي منذ وصوله جامعة ستراسبورغ بفرنسا Strasbourg، ويعود الفضل في ذلك إلى السيّدة "غابرييل بيفر Gabrielle Peiffer(1904-1991)"، التي كانت آنذاك تشتغل على الفكر الهوسرلي(نسبة إلى إدموند هوسرل(Edmund Husserl(1859-1938)، وقد صادف لقاء ليفيناس الشاب بها الإلهام الأوّل الذي جعله يهتم بالفينومينولوجيا، فنصحته بقراءة الكتاب الصعب على حد تعبيره و الذي أعطته إياه وهو"البحوث المنطقية(1900-1901) recherches logiques"باللغة الألمانية•[1]، فحسب "ليفيناس" قد مكنته الشابة "غابريل" التطرق إلى البدايات الأولى له في الحقل الفينومينولوجي عبر هذا العمل، وذلك بالتعرف على إمكانات وآفاق جديدة، إذ يقول مجيبًا على سؤال "فرانسوا بواريه" François Poiré المتعلق بدواعي زيارته إلى مدينة "فرايبورغ fribourg الألمانية وحضور دروس هوسرل:"... كنتُ في نهاية درجة البكالوريوس الخاصة بي دون أي قرار ثابت بشأن المستقبل، نظرتُ من حولي بكل حرية فكانت شابة الفلسفة غابرييل بيفر Gabrielle Peiffer تقرأ هوسرل في معهد الفلسفة في ستراسبورغ، نصحتني بقراءة هذا المؤلِف الصعب auteur difficile، قرأتُ البحوث المنطقية Recherches Logiques عن كثب وكان لدّي انطباع بأنّني لم أتمكن فقط من الوصول إلى بناء تأمل آخر غير مسبوق، بل لإمكانيات جديدة للتفكير وإمكانية جديدة للانتقال من فكرة إلى أخرى، جنبًا إلى جنب مع الاستنتاج"[2].

كانت قراءة "ليفيناس" "لهوسرل"قد فتحت له آفاق جديدة مجاوزةً بذلك دعوة"برغسون(Henri Bergson(1859- 1941" للإلهام في الحدس وذلك عندما تأخذه

•[1]- لما وصل ليفيناس إلى ستراسبورغ بفرنسا سنة 1932 وهو في سن الـ 18، لم يكن يتقن الفرنسية بشكل جيد، غير أنّه كان يتقن اللغة الألمانية بشكل ممتاز، وهو الأمر الذي مكّنه من قراءة أعمال "هوسرل" و ترجمته لعمله المعنون: "التأملات الديكارتية" من الألمانية إلى اللغة الفرنسية، بالإضافة إلى إتقانه اللغتين الروسية والعبرية: يُنظر Salomon Malka, Emmanuel Levinas, la vie et la trace, JC Lattès, France,2000, p 56.

[2]-François Poirié, Emmanuel Levinas, essai et entretiens, Babel, la manufacture, 1987, actes sud, 1996, p 76.

من تلقاء نفسه، فيحتاج الأمر حينها العودة إلى الوعي والتربة المنسية، فالأهمّية الفينومينولوجية ساعدته على اكتشاف منهجية جديدة في البحث عن الحقائق، وعلاقتنا المباشرة بالوجود اليومي والكيفيات التي يظهر بها المعنى وذلك على نحو قصدي، ولم تكن "بيفر" الوحيدة التي فتحت له أبواب الفينومينولوجيا، فكذلك:"هيرينغ جان Jean Hering•• المختص في التيولوجيا théologie قد نشر مقالة بعنوان:"الفينومينولوجيا والفلسفة الدينية phénoménologie et philosophie religieuse"[1].

يعود لقاء "ليفيناس" "بهوسرل" المسن والمقبل على التقاعد بين سنتي 1928-1929، أين ذهب إلى بيته وذلك بعد الاهتمام الكبير بمحاضراته ودروسه، ويعبر هوسرل عن هذا اللقاء بالشاب ليفيناس بالقول:" لقد أرسل لي "هرينغ Hering " تلميذًا ليتوانيًا موهوبًا جدًا "[2]، وقد وجد "ليفيناس" داخل بيته استقبالاً وتعاطفًا وبساطةً، وقد قدّم في هذه الفترة دروسًا في اللغة الفرنسية للسيّدة "مالفينا هوسرل Malvina Husserl "حتى تتمكن من تحسين معرفتها بها، يقول ليفيناس:" لقد عرفتُ هوسرل وهو مسن، ذهبت إلى منزله وقدّمتُ دروسًا في اللغة الفرنسية للسيّدة "هوسرل" التي طلبت مني ذلك بلطف وسخاء، واحترام كبير للغاية..."[3].

تزامنت فترة إقامة "ليفيناس" في ألمانيا الاهتمام بالدراسات الفينومينولوجية أين قام بنشر مقال في المجلة الفلسفية في فرنسا بعنوان:" أفكار السيّد هوسرل les Ideen de M. Husserl"، ثم تأتي ترجمته للتأملات الديكارتية méditation cartésiennes ، وبعدها يناقش أطروحته الموسومة بـ:" نظرية الحدس في فينومينولوجيا هوسرل théorie de l'intuition dans la phénoménologie de Husserl

••كان "هيرينغ جان " أستاذ في كلية اللاهوت في ستراسبورغ، شكلت مقدمته التي نشرها سنة 1925 حول "الفينومينولوجيا والفلسفة الدينية" استفهامًا رئيسيًا: هل يؤدي الإصلاح الذي اقترحه هوسرل إلى تأسيس علم راديكالي أم على العكس من ذلك، استعادة حقوق اللاهوت؟ يُنظر:.Salomon Malka, la vie et la trace, p 54

[1]- Salomon Malka, la vie et la trace, p 54.
[2]-Ibid, p 55.
[3]- François Poirié, Emmanuel Levinas, essai et entretiens, p 80.

سنة •1930، فيقول في مقدمة رسالته معبرًا عن قيمة الفينومينولوجيا في وقته:"إنّ هذا العمل يفصح عن نقطة معيّنة في الفلسفة الفينومينولوجية، ليفترض مسبقًا هذه الفلسفة المعروفة بصرف النظر عن العمل الرائع لهيرينغ M. Hering ، نادرًا ما تمت دراسة هوسرل في فرنسا...إنّ الحركة الفينومينولوجية التي تهيمن الآن أكثر من أي وقت مضى على الحياة الفلسفية في ألمانيا قد تم افتتاحها في بداية قرننا من خلال أعمال ادموند هوسرل"[1].

ساعدت القراءات الليفيناسية للفينومينولوجيا "الهوسرلية" على معرفة طريقها في اكتساب الحقيقة كعلاقة ماهوية للوعي بالعالم، فما كان يبحث عنه هوسرل هو تحديد أنماط الوعي القصدي الذي يرد موضوعاته في نهاية المطاف إلى الذاتية الترنسندنتالية، أي أنّ العالم الذي يقصده الوعي لا يجد معناه إلا من خلال الأنا الفينومينولوجي، فمسألة "كل وعي هو وعي بشيء ما" ليست سوى هي طريقة لكشف تصور الذات أو كهدف للعودة إليها، فالنظر إلى معرفة الأشياء حسب هوسرل يكون بشكل مختلف وباعتبارها معيشًا للوعي،" فهو ليس تمثيل ثابت للموضوعات (التي سيظل الوعي يراها على أنّها خارجية عن حياته الحميمة، وحيث سيكون لها ببساطة وظيفة تصنيف في الفئات المختلفة) ولكن كجزء من معيش الوعيvécu de conscience، فالفينومينولوجيا قد كشفت عن الكيفية التي تظهر بها الأشياء، فهي تريد أن تعبّر عن الطريقة التي تتقاطع بها مع الأشياء، بالكيفية التي تسمح لها بذلك، فحسب ماري هي بحث عن "كيف"comment ،عن الموضوعية، البحث عن سبب الشيء، أي ما الذي يجعله ما هو عليه، في حد ذاته، أي في مسألة طريقة وجود الأشياء"[2].

•بدأ ليفيناس بتحرير أطروحته منذ وصوله إلى مدينة بادوازville badoise الألمانية، والتي ناقشها يوم:04 أفريل 1930 في جامعة ستراسبورغ وذلك بإشراف "موريس برادين "Maurice pradine، وقد نالت إعجاب "ليو برونشفيك" Léon Brunschvicg ولم يكن ليفيناس على يقين أنّ الفينومينولوجيا قد تم تناولها بالشكل الكافي فرنسا، فدراسة "هيرينغ" لم تكن كافية رغم أنّها تناولت الفينومينولوجيا وعلاقتها بالمشكلة الدينية، إلا أنّها كانت حافزًا له في التعمق في الفينومينولوجيا من خلال التأليف والترجمة:" ...لكن السيّد "هيرينغ" لم يقتصر على فكر هوسرل نفسه، بل اعتمد الحركة الفينومينولوجية ككل، ودرسها أيضًا من خلال علاقتها بالفلسفة الدينية. لذلك بقي مكان لدراسة تخص "هوسرل" بشكل أكثر تحديدًا، والنقاط الخاصة بفكره".يُنظر: Emmanuel Levinas, théorie de l'intuition dans la phénoménologie de Husserl, vrin, paris, 2010, p 6.

[1]-Emmanuel Levinas, théorie de l'intuition dans la phénoménologie de Husserl, pp5-11.

[2]- marie Monnet, Emmanuel Levinas, la relation à l'autre, la presse universitaire de l'institut catholique de Toulouse, 2 eme, édition, paris, mars 2016, p54-55.

يشكل ظهور الشيء نفسه la chose même في الوعي الظاهرة الأساسية للحقيقة أو الدليل ومحاولة توضيحها هو المهمة الأساسية للمنهج الفينومينولوجي"[1]، فالفينومينولوجيا تهتم بالدراسة الوصفية للظواهر الخارجية وهذا لفهم حقيقتها ، فهي تهتم بحضور الفيلسوف مع الأشياء، في وضعها الحقيقي لذلك كانت الفينومينولوجيا تعني:" علم الظهور science de l'apparaitre، وبمعنى آخر هي علم الظواهرscience des phénomène"[2]،وبالتالي فإنّ المنهج الفينومينولوجي يتبنى أولوية الوعي على العالم الخارجي، وهذا الوعي هو من يعطي المعنى لجوهر الأشياء، ويحدد وجود الظواهر، فعملية الوصف تتم على أساس إرجاع كل موضوع قصدي إلى عملية التفكير الذاتي، أو بعبارة أخرى يتم فيها إرجاع الظواهر الجزئية المشتتة في العالم الخارجي إلى ماهيتها التي يحويها الأنا الترنسندنتالي•le moi transcendantal.

إنّ ما ينتج في الأخير من فعل الأنا الترنسندنتالي هو التضايف بين فعل التفكير أو القصد noèse وموضوعه الخاصnoème، فيصبح:" كإدراك هو إدراك لمدرك، وكل حكم هو عبارة عن حكم لأشياء محكوم عليها، وكل رغبة هي لما هو مرغوب فيه، فهذه ليست كلمات متسلسلة، وإنّما وصف للظواهر"[3]، وبالتالي الربط بين الذات والموضوع، أو بين الانا والعالم، وبالتالي فإنّ جميع الظواهر الخارجية المختلفة تعتبر مواضيع قابلة للتأمل والإدراك من طرف الوعي، وهذا دون استثناء بما في ذلك الإنسان، وفي نفس الوقت هي اختزال للأفكار المشتتة والخارجية الموضوعية، ووضع العالم الطبيعي والأفكار المسبقة بين قوسين، حيث يبقى الحضور والوقوف المباشر أمام الظاهرة شرطاً أساسياً

---

[1]- Francisco Xavier Sànchez Hernández, vérité et justice dans la philosophie de Emmanuel Levinas, l'harmattan, paris, 2009, p 25.

[2]- marie Monnet, Emmanuel Levinas, la relation à l'autre, p 53.

•يبحث الأنا الترنسندنتالي عند "هوسرل" عن بناء الحقيقة، فالأنا المتعالي(الترنسندنتالي) له الأولوية والأسبقية، وهو أنا خاص بالعالم، وهو معيار المعرفة، فكل العمليات الخارجية التي يقصدها الوعي يُعاد بناءها من طرف الأنا، فهو أساس عملية المعرفة وبناء الأحكام، بحيث يكون مستقلا عن كل الموضوعات وعن المعارف المسبقة، فهو نتيجة لوضع العالم والمعارف القبلية بين قوسين، وكل المعارف الموضوعية بصفة عامة، فالأخذ بالأنا نفسه باعتباره "أنا ترنسندنتالي" يمكنه بناء كل مالا يمكن أن يكون موضوعًا بالنسبة لي، أو أن يكون باستمرار حاضرًا لنفسه فقط: ينُظر: Edmund Husserl, méditation cartésienne, p 163.

[3]- Emmanuel Levinas, en découvrant l'existence aven Husserl et Heidegger, Librairie Philosophique J Vrin, Paris 2001, p 31.

للفينومينولوجيا الترنسندنتالية، يقول هوسرل:"أختزلُ بالفينومينولوجيا أناي الإنسان الطبيعي وحياتي النفسية- التي تسيطر على تجربتي النفسية الداخلية، إلى أناي الترنسندنتالي الفينومينولوجي، الذي يختص بالتجربة الترنسندنتالية والفينومينولوجية"[1]، ويترتب عن التحويل الذي يختص به الأنا إلى بناء موقف نهائي ترنسندنتالي يستقل به عن العالم، ليصبح الاختزال عملية اكتشاف للعالم من جديد للعالم، باعتباره نوما noème تؤدي أو يجب أن تؤدي حسب ليفيناس إلى وعي كامل بالذات"[2]، والوعي بالذات يدل على تأكيد الكائن المطلق، باعتباره الأنا الذي يعرف نفسه من جميع الاختلافات، وسيّد نفسه.

كان "ليفيناس" حريصًا على الاستفادة من الأهمية المنهجية للفينومينولوجيا في مشروعه الميتافيزيقي والذي يتوجه دائمًا نحو الآخر، إذ جعل من الوجه الظاهرة الأساسية في تحديد كل العلاقات التي يبنيها الأنا، فالفينومينولوجيا تساعد على كشف ماهية الوجه في أبعاده الترنسندنتالية، وليفيناس لم يخرج عن الفينومينولوجيا كليةً، وكان دائمًا يعتبر نفسه من الفينومينولوجيين رغم المناهل العديدة التي تأثر بها إذ يقول:"ذهبتُ إلى جامعة فرايبورغ لمدة فصلين1928-1929.درستُ الفينومينولوجيا هناك مع هوسرل، وبالطبع "هيدغر" Heidegger كان حينها رئيسًا للفلسفة الألمانية، بعد نشر" الوجود والزمان" Sein and Zeit في عام 1927، كانت الفينومينولوجيا هي الثانية، لكن بلا شك تعتبر أهم تأثير مورس عليّ، فلا أزال حتى اليوم فينومينولوجيًا"[3].فإلى أي مدى يمكن التماس التأثير الفينومينولوجي لهوسرل داخل العلاقات الاتيقية التي يُبنيها الأنا مع الآخر؟

[1]-Edmund Husserl, méditation cartisiènne, cinqvrui, paris, 1953, p54.
[2]-Emmanuel Levinas, éthique comme philosophie première, préfacé et annoté par jacques Rolland, rivage poche, petite bibliothèque, édition Payot, 2015, p 77.
[3]- Richard Kearney, de la phénoménologie à l'éthique, esprit, n234, paris, p 122.

2- الفينومينولوجيا والوجه: أي علاقة؟

إنّ الحديث عن الإنسان غير ممكن دون الوجه، فهو الذي يعطيه ماهيته الأساسية، الوجه هو كل ما يظهر من عيون وأنف وأذن وذقن، هو الصورة التي يتقابل بها الإنسان شكلاً وجمالاً وجسدًا مع غيره، وهو ما يمكن أن يرى في الشخص، كما أنّه يرتبط أكثر بالصفات القيمية التي تحدد أخلاق الشخص، كرمًا وتكبرًا، فمن لا يملك وجهًا أخلاقيًا يمكن القول عنه أنّه لم يعد يملك صفات الإنسان أو الإنسانية التي تتأصل به، فكيف ينظر ليفيناس إلى الوجه؟

يعتبر الوجه الركيزة الأساسية لمشروع الإنسانية التي بناها ليفيناس على الاتيقا، والتي تحدد الكيفيات التي يتوجه بها الأنا نحو الآخر Le moi vers l'autre المختلف عنه، وبالتالي فإنّ الوجه لا يقوم على الشكل- الظاهر- باعتباره صورة، فهو يتعذر عن الرؤية وعن العين invisible كما أنّه ليس شيئًا قابلاً للإدراك بالعقل، فلا يمكن تأمله، كما أنّه ليس موضوعًا، ولا شيئًا خارجيًا، ولذلك لا يعتبر ليفيناس المنهج الفينومينولوجي كفيلا بتحديده فيقول:"لا أعلم إن كان بالإمكان الحديث عن فينومينولوجيا الوجه، إذ أنّ الفينومينولوجيا تصف ما يظهر، وفي نفس الوقت أتساءل عما إذا كان بالإمكان الحديث عن نظرة موجهة نحو الوجه لأنّ النظر هو معرفة وإدراك حسي، وأظن خلافًا لذلك أنّ السبيل نحو الوجه يكون اتيقي• على الفور"[1]، فالمعنى الاتيقي للوجه يتجاوز ما يظهر للعين، كما أنّه يتعذر عن الوصف، فالمعنى الوحيد الخاص بالوجه يكون اتيقيًا، وبه تتستر عيوبه، فالوجه يرتبط ارتباطًا وثيقًا بمسألة الترنسندنتاليtranscendance والخطاب le discours، والمقدس le sacré، والسلطة autorité .

•الاتيقاl'éthique: تعتبر الاتيقا عند "ليفيناس" فلسفة أولى، ويسميها بالميتافيزيقا، وهذا ليس لأنّها تتعلق بالبحث في الوجود، أو أنّها تنتمي إليه، فعيب هذه الانطولوجيا هو أنّها تختزل الآخر، وتخضعه لمقولاته، وإنّما في العلاقة الفورية المباشرة للأنا مع الآخر، إذ يسمي ليفيناس عفوية الوقوف أمّا استفسار الآخر بالاتيقا، لأنها في الأخير تعني المسؤولية الشاملة تجاه الجار، القريب، الأرملة ، اليتيم، وهي تنفيذ للوصايا والتعاليم الدينية، أمّا الأخلاق morale: فهي ليست الاتيقا بالنسبة إلى ليفيناس ، فهو يستعمل اللفظ بنسبة قليلة جدًا وبدلالة مختلفة تماماً عن الاتيقا، فمثلا في الكلية واللانهائي totalité et infini نجد هذا التمييز والقول أنّها تنتمي إلى التأمل وطريقة في التفكير، تفكر في شروط ومبادئ العلاقات الاتيقية، يُنظر:. Rodolphe câlin, François-David Sebban, le vocabulaire de Levinas, ellipses, 2002, p 23.

[1]- Emmanuel Levinas, éthique et infini, dialogue avec Philipe Nemo, librairie arthène fayard et radio France, 1982, p 79.

يعتبر الترنسندنتاليla transcendance أهم شيء في الوجه وهو أهم ما يتناوله ليفيناس عكس فينومينولوجيا هوسرل، فهو لا يشبه الوعي، لأنّ الوعي الفينومينولوجي يعتمد على القصدية intentionnalité والإرادة(je veux ;) والقدرة((je peux)، أي أنّه يمارس نوعًا من الحرّية والقوة على موضوعاته، فيقول ليفيناس:"ينتهي الوعي عند المصطلح، عند ما هو معطى، وعند العالم. فالمعرفة قصدية: وهي فعل وإرادة un aufetwashin aus wollen"[1].

إن قلنا أنّ مشروع ليفيناس قد تمثل في فينومينولوجيا اتيقية فلأنة لا يتخلى عن أسس المعنى والقصدية والحرية لكنه يتناولها بمعاني مختلفة، هذا لأنّ الوجه لا يقتصر في الظهور أو انكشافه ضمن أفق الوجود، فالإتيقا لما يصفها ليفيناس فلسفة أولى تعني الخروج من سلطة "الأنا أفكر" نحو غيرية الغير، أي نحو الاختلاف، فالإتيقا إذن ليست سوى وجود الناس حيث يكون بعضهم لبعض، أو أكثر تحديدًا هي الوجود لأجل الآخرين، وبالتالي فإنّ مسألة موضوع "البحث الليفيناسي" ليس شيئًا مدركًا يخضع لضرورات الفكر، فهو الإنسان الذي يمكن التفكير فيه انطلاقًا من المسؤولية التي لا تأتي من الوعي أو فكر معطى، فهي حسب ليفيناس عبارة عن أمرordre ، يساءل الذات عن طريق القريب (الجار) prochain:فهي إذن :"ليست بداخلي كطريقة بسيطة للإدراك الترنسندنتاليl'aperception transcendantale "[2]، وبهذا الشكل يرى ليفيناس عجزاً على مستوى الطرح الفينومينولوجي في وصف العلاقة الاتيقية، وتحديداً التعاليم الأساسية للوجه، التي تنص على إقامة العدل، ونبذ العنف، ومنع القتل، والرعاية التامة بالإنسان الغريب، ولهذا السبب أيضاً الوجه ليس ظاهرة كما سبقت الإشارة إليه، بمعنى أنّه لا يُرى من شكله، وإنّما بالعكس تمامًا شكله البلاستيكي يُغَطي ماهيته الحقيقية باستمرار، فالوجه عبارة عن "دلالة" "وخطاب" لا يمكن لفينومينولوجيا الوعي أن تستوعبه بمعناه الميتافيزيقي، يقول "ليفيناس" عن هذا اللغز الموجود في

[1]- Emmanuel Levinas, altérité et transcendance, fata morgana, paris, 1995, p 36.
[2]- Ibid, p 52.

الوجه:"إنّ مجاورة الآخر هو دلالة الوجه منذ البداية، من وراء الأشكال البلاستيكية التي تغطّيه باستمرار، كقناع لوجودهم في الإدراك"[1].

يعتمد أساس الميتافيزيقا الليفيناسية على مسألة تجاوز "فلسفة الذات" التي تختزل الغير إلى موضوعات خارجية تُمثل بالوعي، فالعلاقة الأساسية والتي تسعى إلى الإنسانية تتحدد بالبرّانية l'extériorité، أي ما يتجاوز منطق الوعي والذات، فتبقى غيرية الآخر فقط هي التي تعنى الأنا، وهي تأتي على شكل إلزام من غرابة الآخر(أجنبيته واختلافه)، والرد يكون بالمسؤولية التي تعتبر إجابة له، فالتوجه إلى الإنسان اتيقيًا لا يتم على أساس تأمله أو وضعه محل تفكير، فالذي يُعاب على الفينومينولوجيا الهوسرلية هو بقاءها ضمن المستوى النظري والمجرد، حيث يستقل يتعالى الأنا على موضوعاته، وحيث تصبح الذاتية الترنسندنتالية هي المرجع الأول الذي منه يُستمد المعنى، يقول ليفيناس عنها:" تعتبر الفينومينولوجيا الهوسرلية في نهاية المطاف بمثابة ماهويات للوعي الخالص une eidétique de la conscience pure. ...ومن ناحية أخرى عبارة عن مرجع للمعنى، وبإعطاء المعنى"[2].

يرفض ليفيناس أن تكون الفلسفة ذات طابع اختزالي للموضوعية فما يخص العلاقات التي تكون بين الأشخاص، فالفينومينولوجيا الليفيناسية تعتمد على العلاقات الاجتماعية والتي تبدأ بالإنسان الآخر، فعلاقة المجاورة proximité والمسؤولية ليست عملية قصديه لكنّها ليست بمعنى الربط بين الذات والآخر•، فهي العملية التي بموجبها تتم اللا-مبالاة L'in-différance التي تقتضي الانفصال ومراعاة الاختلاف، يقول ليفيناس:" إنّ العلاقة الاتيقية مع الإنسان الآخر- المجاورة،

[1]- Emmanuel Levinas, éthique comme philosophie première, p 88.
[2]- Emmanuel Levinas, de dieu qui vient à l'idée, librairie philosophique j. vrin, Sorbonne, 1992,p p 192-193.

• **الآخر l'autre**: هو عكس الأنا في التحديد الماهوي، لا يشبهه ولا يتطابق معه، فهو المختلف عنه، كما أنّه يرفض، منطق التحديد والتشبيه والاحتواء، فالآخر يتمتع بالتجربة الأصلية التي تكون حصرًا علاقةً اتيقية، فالآخر يتمتع بالغرابة،والحرّية، لا يقبل أشكال التملك والاحتواء، قد يكون هذا الآخر هو الشخص الآخر المختلف، وقد يكون المتفرد، أو هو الأنثى، أو الوجود، يمثل الآخر في النهاية شخصية الغير، لأنّ الغير لا يقبل التشبيه ولا الخضوع، يُنظر: Rodolphe câlin, François David Sebbah, le vocabulaire de Levinas, p 6.

المسؤولية لأجل الغيرpour l'autrui •ليست مجرد تغيير القصدية modulation de l'intentionnalité، بل إنّها الطريقة الملموسة التي بموجبها ينتج على وجه التحديد عدم اللا_مبالاة الواحد مع الآخر أو العينه مع الآخر non –in-différence de l'un à l'autre ou du même à l'autre.، أي علاقة الشيء نفسه بما لا يتناسب معه والتي إلى حد ما ليست من نفس النوع"[1]، فالدلالة التي يحملها الوجه تمثل الاستقامة التي ليست فهما ولا إدراكا، وهي عبارة عن ذات الإنسان التي تعود إلى باطن الوعي الغير قصدي، إلى الضمير السيئ الذي يأتي من الخوف من إمكانية اللا عدل حينما توضع محل التساؤل، يقول ليفيناس:" لقد جرّبنا فينومينولوجيا اجتماعية تبدأ من وجه الإنسان الآخر، من خلال قراءته قبل أي تقليد ضمن استقامة وجهه، تعرض أعزل لوحدة الموت الغامضة، وبالسمع قبل أي تعبير لفظي، من أعماق هذا الضعف صوت آمر..."[2]، فالوجه لا يُرى، لكنه يحمل دلالة ومعنى يسمع، يكون إلحاحًا استعجاليًا يطلب إعانة ومساندة الإنسان الآخر.

3- نحو تجاوز القصدية وبلوغ الترنسندنتالي:

إذا كانت القصدية تصف الموضوعات التي يدركها الوعي والتي تظهر، فإنّ الوجه ليس من بينها لأنّ حقيقته لا تظهر، ورؤيته متعذرة قصديًا وحسيًا، فهو ليس شكلاً، ولا صورةً، ولا جسدًا، فهو الغير متشكل l'infigurable وهذا ما يجعل رؤيته متعذرة، وتعذر رؤية الوجه معناه أنّه ليس تجربة موضوعية يمكن اختزالها:"تظهر معاداة الصورة أو معاداة ظواهرية الوجه القطيعة الجزية بين تجربة

•**الغير l'autrui**: هو ذلك الشخص الذي يكون الأنا مسئولا عنه، حيث يتم مراعاة اختلافه، وحريته، وشروط الانفصال وعدم التماثل، يجسد الغير شخصيات: الأرملة، اليتيم، الفقير، الغريب، أو هو كل "قريب" تحقّ فيه المسؤولية الشاملة، فهو الذي يلزم الذات بتلبية النداء، وذلك من خلال خطابه من وراء وجهه الهش والعاري، الغير يتمتع بتفرده، إنّ طابع المسؤولية عليه يولد سلبية مطلقة نابعة من الخضوع لاستجوابه ومن فقدان الحرّية فالذات تصبح مضطهدة على ما لم ترتكبه في حق الجار،يُنظر: Rodolphe câlin, François David Sebbah, le vocabulaire de Levinas, p 8.

[1]- Emmanuel Levinas, hors sujet, fata morgana, paris, 1987,p 63.

[2]- Emmanuel Levinas, altérité et transcendance, p 49.

الظواهر والعلاقة مع الآخر، إذ يتم إنتاج تجربة الآخر كشيء غير قابل للاختزال لتجربة العالم"[1] فمحتوى الوجه حسب ليفيناس يأتينا فما وراء العالم au- delà du monde، أو الما وراء l'au delà• فإن كان يأتينا من عالم غير مألوف فهذا يعني أنّه منفصل عن ذواتنا، لا يمكن تملّكه، أو احتوائه، لكن قدومه من وراء العالم لا يعني أنّه لا يضعنا موضع استفهام، ولهذا السبب يكون الاعتبار الشكلي للوجه غير مهم إطلاقًا في العلاقات الاتيقية، بل ويصبح لا تجلي الوجه هو الأساس الذي لابد من توفره لأجل تأسيس أي علاقة ممكنة، وهذه هي قيمة المساهمة الفينومينولوجية:"إنّ قيمة المساهمة الفينومينولوجية تعتمد على استحالة حيازة شكله، فهو اللا- شكل واللا- صورة، فهذا الشكل ليس مهمًا إطلاقًا للعلاقة مع الآخر، بل إنّ هذا اللا-مظهر للوجه هو الأساس في العلاقة بالآخر"[2].

فدلالة الوجه تصبح "تعاليم enseignement " تأتي إلى الأنا على شكل استفهام ونداء، وإلزام، فالوجه يصبح خطابًا موجهًا، يتكلم بلغة اتيقية يرفض قطعًا أن يكون متمثلاً ضمن عمليات الوعي والقصدية، كما الآخر المطلق يأبى بدوره الانعكاس في الوعي فالوجه يقلب القصدية أمّا القصدية الحقيقية تكون في الاتيقا ولا تكون ضمن الوعي، فيعتبرها ليفيناس تَعدّ وتجاوز نحو اللانهائي والترنسندنتالي الذي نجده مع الآخر الحر، فبهذا القصدية أشبه باتحاد النفس مع جسدها وليست وحدة الذات مع غيرها، يقول ليفيناس:"إنّ القصدية بوصفها فعلا وتجاوزًا، وباعتبارها وحدة للنفس والجسد، أي كعدم تساوي بين الأنا والآخر: تعني التجاوز الجزئي للقصدية الموضعنة objectivationالتي تحياها المثالية"[3]، لكن هل رفض القصدية معناه رفض الترنسندنتالي؟

---

[1]-yasahilo Murakami, Levinas phénoménologue, édition Jérôme Millon, Grenoble, France, 2002,p 132.

•يعتبر مفهوم الما وراء l'au delà الذي يستعمله ليفيناس كثيرًا في أعماله للدلالة على طبيعة الوجه التي لا تظهر أمام أعيننا، فتقودنا إلى حقيقة مغايرة، فقوة الاستعارة لهذه الكلمة تحيل إلى: الترنسندنتالي، اللانهائي، الإله.يُنظر Emmanuel Levinas, carnet de captivité et autres inédits, oueuvres1, sous direction de Rodolphe câlin et de Catherine Chalier, Édition grasset et fasquelle/ IMEC, Italie 2017, p 267.

[2]- yasahimo Murakami, Levinas phénoménologue, édition Jérôme Millon, Grenoble, France, 2002 p 138.

[3]- Emmanuel Levinas, en découvrant l'existence avec Husserl et Heidegger, p 197.

تعتبر العلاقة مع الآخر معاناةً وتأثرًا، فالقصدية تكشف عن مدى الإنكار الذي تلحقه الذات بالآخر، ويصبح التوجه إليه تلبية للنداء، لأنّ تعذر رؤية الوجه لا يعني أنّنا لا نلتمس أثر سلطته وأوامره الموجهة نحونا، فالوعي هنا يصبح وعي الإلزام la conscience de l'obligation والخضوع له يكون واجبًا.

ينتج الترنسندنتالي ينتج مع الآخر، وذلك مع أوّل ظهور للوجه، وهذا ينتج كحدث اتيقي، فالعلاقة مع الغير هي الوحيدة التي تفتح مسافة التعالي، وتقودنا نحو علاقة مختلفة تمامًا عن التجربة بالمعنى الحسّي للمصطلح، النسبي والأناني، يقول ليفيناس:"لا يكون الترنسندنتالي la transcendance عبارة عن رؤية الغير، بل عطاءًا أصليًا une donation originelle ...لا يكون الترنسندنتالي بصريًا، لكنّه عبارة عن أوّل إشارة اتيقية"[1]، فالبداية الاتيقية هي أساس التعالي، فحسب ليفيناس يجب أن يكون هذا التعالي ممكنًا فقط مع الغير لكن فما يتعلق بالاختلاف التام بين الأنا والآخر، ودون أن يعتمد هذا الاختلاف على أيّ صفة على الإطلاق، كما يجب أن يقوم على العلاقات الإنسانية كالتضامن مثلا باعتباره خاصية تجسّد معنى الأخوة والإنسانية، يقول ليفيناس:"بدا لي أنّ الترنسندنتالي هو نقطة البداية لعلاقاتنا الملموسة مع الغير، وكل شيء آخر مطعّم بهذا،... هذا هو السبب الذي يجعل التعالي فكرة أساسية كما تبدو لي"[2] فليفيناس قد لاحظ عجز التأويل الفينومينولوجي "الهوسرلي" الذي يسقط الآخر ضمن منطق "المعرفة"، وبالتالي رده إلى الوعي لأنّه يتماثل مع الأنا الترنسندنتالي، والغير عند هوسرل ليس له خاصية تميزه عن الأشياء الأخرى التي تشكل عالم إدراك الأنا:" فالتعالي هو آخر الوجود، بل الوجود ذاته، فهو رفعة وعلو، لا مجرد صياغة ذهنية أو طبيعية"[3]، فالقصدية الليفيناسية يمكن القول عنها أنّها حركة انفتاحية نحو الآخر، لا مجال فيها لمحاولة اختزاله أو رده إلى نسق "الهو هو"، الشبيه والعينه، إنّ أسوأ ما توّلده هذه القصدية هي

[1]- Emmanuel Levinas, totalité et infini, essai sur l'extériorité, biblio essai, martinus nijhoff, paris, 1971, p 189-190.

[2]- Emmanuel Levinas, liberté et commandement, préface de pierre Hayat, fata morgana, 1994, p p109-110.

[3]- مصطفى الضاوي، من العلم إلى الاتيقا، ليفيناس قارئًا لهوسرل، دار كنور المعرفة، عمان، 2020، ص 341.

حالة التأثر بحساسية سلبية تضطهد الأنا وذلك عبر المسؤولية، فماهية التعالي ليست سوى اعتراف وإذعان للآخر، وطبيعة هذا الإذعان يكمن في تلبية النداء، وتلبية النداء بدوره يتوقف على معرفة حقيقة الاختلاف القائم بين الذات والآخر حيث أنّ الآمر هو الآخر الذي يتسلط بندائه وبتمتعه الكاملة بالحرّية، في حين أنّ الأنا هو ملبّي للنداء، المجيب بمسؤولية لا تقبل النقاش، ولا يوجد أي منفذ للاختباء منها، ولهذا السبب اعتبر "ليفيناس" الترنسندنتالي ممكنا فقط مع الغير، كما أنّه لا يمكن أن يكون دون هذا الاختلاف التام الذي يجمع بينه وبين الأنا، ومن اعتباره منفذًا للانهائي، وللترنسندنتالي الأصلي.

حرص ليفيناس على بعض القيّم كالتضامن الذي رأى فيه أنموذجًا للإنسانية والأخوة والتي تترجم حقيقة الأساس الترنسندنتالي، يقول ليفيناس:"بدا لي أنّ التعالي هو نقطة البداية لعلاقاتنا الملموسة مع الغير، وكل شيء آخر مطعّم بهذا، وهذا هو السبب في القول أنّ الترنسندنتالي هو فكرة أساسية كما تبدو لي" [1]، فالأخذ بأشكال التضامن، والايخاء، ومساعدة النّاس على قضاء حوائجهم المادية هو الأصل من تشريع المسؤولية الشاملة التي تقصد خدمة الآخر بشعار الإنسانية، التي تقف ضد بؤسه وعريّه، وحيث الإعلان التام للتخلي عن أيّ خصوصية، وتكون المسؤولية قصدية عندما تستقبل الآخر، وهي استماع وانتباه إلى أمر الإله• dieuالاتيقي:" إنّ الاتيقا متى أدركت كميتافيزيقا وكحركة دينية روحية، لا أثر فيها لألوهية متعالية، ولا سيّما كموطن لتعيين الإله في وجه الغير، تصبح

[1]- Emmanuel Levinas, liberté et commandement, p 110.

•الإله dieu: عند ليفيناس لا علاقة له بالعقلانية، هو مصدر المعنى، والدلالة، فالإله هو الذي يظهر مع العلاقات الاتيقية وليس من يظهر بالتفكير في ميتافيزيقا وجوده، أو وفق الطريقة اللاهوتية، فلذلك لا يمكن الاستدلال والبرهنة عليه بالعقل، أو بطريقة معينة في التفكير، وهو لا يكون أبداً حضورًا، أو وجودًا متجسداً، لأنّه ببساطة آخر هذا الوجود، فهو الغياب المطلق، ولا يرى ليفيناس أي اعتراض للنصوص الدينية بالقول أن الإله متاح عبر الاتيقا، لأنّ الإله هنا يعبر عن التعالي، وعن الانفصال والقداسة، والعلاقة معه تشكل وحي العلاقات الاتيقية، لكن العلاقة معه لا تعني الاندماج معه وفق الطريقة الصوفية، فهو دائمًا اللانهائي infiniوالمطلق absolu ، الإلهdieu، الذي يأمر علاقتي الاتيقية بالآخرين، حيث الاحترام والتضحية.يُنظر: Rodolphe câlin, François-David Sebban, le vocabulaire de Levinas, pp 13-14.

تلك الاتيقا فلسفةً أولىَ، يسعى ليفيناس إلى بلورة جملة من الأسس داخلها، ومن أهمّها مساءل المعنى والقصد، والحرية، والمسؤولية"[1].

يقتضي مضمون الفلسفة الاتيقية باعتبارها فلسفة أولى مناشدة الترنسندنتالي والمقدس، فما لا يمكن للفينومينولوجيا أن تظهره لنا عبر الوجه، يمكن سماعة، يحاول ليفيناس بذلك تجديد الفينومينولوجيا وكأنّ:" التوجه صوب الاتيقا والسلوك الأخلاقي من خلال مساءلة الذات بالآخر هو في أصله محاولة لتجديد روح خطاب فلسفي وفيّ وغير وفيّ للنص "الهوسرلي" ولمقاصده الجوهرية"[2]، فتصبح وظيفة الفينومينولوجيا كشف المتحجب، وتصبح بذلك القصدية غير محاولة تهميش الآخر، واختزاله، فهي حركة إيجابية تذهب نحو مناشدة الترنسندنتالي الذي يُلتمس في الوجه، فالترنسندنتالي عند "ليفيناس" ينتج من خلال معنى بيولوجي، ذلك أنّ الإله يُرى كأثر يقابلنا به وجهَ الغير، فيصبح الإله اللانهائي infini •متجليًا ضمن الإنسان النهائي، فالعلاقة مع اللانهائي تكون من خلال الغير، وتكون على شكل مخاطب للأنا، فنعتُ ليفيناس الاتيقا "بالفلسفة أولى" يأتي من خلال اعتبار "الغير" أثرًا للإله، الإله الذي لا يمكن أي يُتأمل أو يُرى في بشكل مجرد، فهو إشارة وعلامة يأتينا بها الغير وهي اللانهائي، فتعاليم الوجه هي أوّل علامة على اللانهائي، فالآخر يقدم نفسه على أنّه المطلق، وهيمنة على الحرية الخاصة بالذات، فسيطرته على الذات تأتي من علوّه وترنسندنتاليته ولا نهائيته ، فالآخر بهذا الشكل ليس موضوعًا وإنّما وجهًا حاضرًا أمام الأنا الذي يستجوبه بشكل دائم،

---

[1]-مصطفى الضاوي، من العلم إلى الاتيقا، ص: 442.

[2]- المرجع نفسه، ص 436.

infini•: اللانهائي هو أحد أشكال الترنسندنتالي، والبرّانية المطلقة والسلطة التي تتجلى عبر وجه الآخرين، قد عنوَن ليفيناس أحد كتبه "بالكلية واللانهائي"totalité et infini، فاللانهائي يقف ضد الأنظمة الشمولانية أو الكلية، وضد فلسفات الوعي، فهو يدل على الترنسندنتالي المطلق ويدل على احتواء أي شيء خارج عنه، ويدل عن فائض عن المعنى الذي يمكن أي يستوعبه، فهو ليس كائن، بل مجرد إحساس، اللانهائي عبارة عن رغبة. يُنظر:.Rodolphe câlin, François-David sebbah, le vocabulaire de Levinas, pp 37-38

أمّا اللانهائي في عمل ليفيناس الموسوم بالكلية واللانهائي يراه أساس تحقق الترنسندنتالي، فأساس العلاقة مع المتعالي le transcendant هي علاقة اجتماعية، وبالحديث عن العلاقة الاجتماعية وهي علاقة ميتافيزيقية، أي أن الميتافيزيقا تعني السلوك الحقيق، وليست تفكير لاهوتي أو موضوعا، فهي إدراك لسلطة هذا اللانهائي ومقاومته، إذ يشير إلى فائض المعنى، وعلاقتنا به لا تكون مباشرة، فالعلاقة مع اللانهائي لا تكون مباشرة، لأن عقلنا محدود وقاصر عن إدراكه، بل تكون باحترام الإنسان الآخر، يرتبط بالعدالة، والترحيب بالإله في وجه الإنسان الآخر،لأنّه يقودنا إلى اللانهائي.Emmanuel Levinas, totalité et infini, p 76

فلا تجد الذات أي مكان للاختباء فيه لذلك يستحيل الهروب، كما أنّ هذا الإلزام يعني عدم السماح لأيّ أنانية قد يفكر فيها من يلتزم بالمسؤولية، يقول ليفيناس:" إنّ العلاقة مع اللانهائي تدعو إلى التساؤل، ولكنّها تستدعي بشكل عاجل إلى درجة عدم السماح للوقت بالالتفاف أو حبس نفسها في الخاص"[1]، والمسؤولية في هذا الموضع تعتبر دينية لأنّها شبيهة بتطبيق أمر الإله، ذلك الإله الذي يجد حضوره المطلق واللانهائي فقط عبر الوجه الإنساني، يقول ليفيناس:"عندما يتعيّن عليّ أن أقول شيئًا عن الإله، يجب أن يكون دائمًا من خلال العلاقات الإنسانية"[2]، وبهذا الشكل يكون "ليفيناس" قد انتقل من الترنسندنتالي الفينومينولوجي المتعلق بالوعي والأنا الترنسندنتالي في علاقاته مع موضوعاته إلى التعالي الميتافيزيقي- الاتيقي- الذي يكون مع المطلق الآخر باعتباره الحقيقة، وهذا بمثابة تجاوز للطرح الهوسرلي لمفهوم الترنسندنتالي، وهذا ما أشار إليه في مقدمة كتابه الكلية واللانهائي بأن اعتبرها نقطة تحول داخل مشروعه من الاتيقا إلى العلاقات البرانية لا الجوانية المرتبطة بالوعي، فيقول:"قد أتاحت الفينومينولوجيا الهوسرلية هذا الانتقال من الاتيقا إلى البرّانية الميتافيزيقية l'extériorité métaphysique"[3].

إنّ الفينومينولوجيا التي نجدها داخل المشروع الليفيناسي عبارة عن فينومينولوجيا للإله الغير المرئي، أي الإله الذي يدرك من خلال الأثر، والماضي والخطاب الاتيقي، فبهذا يمكن القول أنّ ليفيناس سعى إلى فينومينولوجيا جذرية للدين، لا ترتكز على الظهور أو الكشف ولا البحث عن الإلهيات، فالغاية الرئيسية لها تتوقف عن البحث عن سبل لرؤية إله غير مرئي، تكمن قيمته في عدم تجليه للعيان:"ويلجأ ليفيناس إلى الدين بسبب صفته الوحيويةrévélationatrice الفينومينولوجيا في الأصل"[4]، فإن كانت الفينومينولوجيا الترنسندنتالية عند هوسرل تستقر على "الأشياء ذاتهاles choses elle mêmes"التي تُختزل إلى وعي الأنا،

[1]- Emmanuel Levinas, liberté et commandement, p 89.
[2]- Ibid, p 115.
[3]- Emmanuel Levinas, totalité et infini, p 15.
[4]- Ruud Welten, phénoménologie du dieu invisible, essai Et étude sur Emmanuel Levinas, Michel henry, jean Luc Marion, trad: de l'anglais; sylvain camilleri, l'harmattan, paris, 2011,p 25.

فإنّه بالنسبة "لليفيناس" الشيء ذاته لا يمكن له أن يوجد إلا باعتباره نداء الآخر الذي يمثل "التجربة الأصليةl'expérience originelle"، فالشيء ذاته عند ليفيناس هو الاختلاف القائم بين الأنا والآخر، والقائم على الضد والسلبية التي يتلقاها الأنا تجاه مسؤوليته السابقة على حريته، فالوجه الإنساني السبيل الوحيد لفهم القداسة الدينية وإدراك حقيقة الإله، فالدين يصبح أساس لفهم الفينومينولوجيا التي تساعدنا على كشف الوحي عن كشف الأثر الإلهي وبالتالي يضع ليفيناس المنهج الفينومينولوجي بمفاهيمه الهوسرلية بين قوسين، ليتوجه نحو فينومينولوجيا ترنسندنتالية دينية لا تتأسس على المرئي ولا على الأنا المتعالي، وهنا تبيان أنّ:"الفينومينولوجيا الكاشفة الأصلية هي اللقاء بوجه الآخر dans le but de mettre en lumière la phénoménologie révélateur originale est la rencontre avec le visage de l'autre »[1]

يصبح الدين عند ليفيناس مرجعًا اتيقيًا أساسًا، فهو ليس نصًا مكتوبًا ولا فكرًا لاهوتيًا، ولا تأملا في نمطية وجود الإله، كل ما هنالك هو النداء والأمر الاستعجالي الذي نسمعه متى التقينا بالوجه الإنساني، فالوصية "لا تقتل" هي خير مثال لفهم الدين، الذي لا يمكن التعرف عليه بالمفاهيم الفينومينولوجية الخالصة، لأنّ الوجه متعذر عن الوصف أو الاختزال، الوجه غيابٌ أكثر منه حضورًا لذلك يستحيل التمكن منه، فقد وجد ليفيناس في الإيمان فينومينولوجيا تحلل الأثر الإلهي، فاللانهائي يزعج ويحطم القصدية الهوسرلية فهي قاصرة عن إدراكه، لأنّه ببساطة ماض وليس حضورًا وهو سلطة وليس موضوعًا أو مفهومًا، فالوعي "الهوسرلي" قاصر تمامًا عن تحليل هذه الغيرية الجذرية، والدين إذن هو النهج الوحيد الذي يكشف المرئية الوجه، و وهو الذي يعوض غيابه، فالوحي الديني يتمثل في الكلام الذي يعبر عنه وجه الغير، بهكذا شكل يصبح الوجه كاشفًا بطريقة أصلية ترنسندنتالية غير متأصلة في الوعي أو الاختزال، إنّ الإله الاتيقي والإنساني(الذي يدرك عبر رؤية وجه الإنسان، أو هو المكان الأصلي للظهور فيه)، الذي يتحدث عنه ليفيناس لا يُرى، ولا يتمثل، فهو إله لانهائي متخفي، ماضي، يمكن سماعه عبر النداء الاتيقي أو الوحي"لن تقتل أبدًا"، كأول ظهور مقدس للوجه، وهذا النداء بمثابة التماس أثره الذي نجده قريبًا منّا، في وجه الجار.

[1]- Ruud Welten, phénoménologie du dieu invisible, essai Et étude sur Emmanuel Levinas, Michel henry, jean Luc Marion, p p 25-26.

المبحث الثاني: من الأنطولوجيا إلى الميتافيزيقا: البحث عن سبل لتجاوز هيدغر

- بواريه: أليس هذا قلق العدم(الوجود)؟

ليفيناس: إنّه ليس قلق العدم، إنّه رعب الـ–ثمة، l'il y a الخاصة بالوجود، وليس الخوف من الموت، إنّه فائض من الذات عينها du soi même ، على نحو فعّال منذ هيدغر وحتى بعد "كيركيجارد" تم تحليل القلق باعتباره عاطفة لعتمة الوجود، على أنّه قلق في مواجهة العدم، في حين رعب الثمة il ya يفسر بالاشمئزاز الذاتي، بالإرهاق الذاتي"..

فرانسوا بواريه، ليفيناس، محاولة وحوارات....

ليفيناس وإشكالية الأنطولوجيا

1- مكانة مارتن هيدغرMartin Heidegger(1889- 1976) في فكر ليفيناس

حاول ليفيناس إعادة قراءة النص الفينومينولوجي قراءة تأويلية نقدية يسعى بها إلى تجربة اتيقية جديدة، تكون بذلك رؤية "ما بعد هوسرلية" (نسبة إلى هوسرل)، لكن ذلك لا يتأتى إلا بقراءته للانطولوجيا "الهيدغرية" التي يرى من خلالها أنّ "هايدغر" كان من بين "الهوسرليين" الذين سعوا إلى تطوير الفينومينولوجيا واستمراريتها، وهذا لأنّ "ليفيناس" لم يكون يرى أنّ فينومينولوجيا هوسرل توقفت على المستوى الابستمولوجي، نحو مباحث قيمية وجودية إنسانية، جعل ليفيناس يصف فلسفة "هايدغر" بالمتينة والقويّة، إذ يقول في مقدمة عمله نظرية الحدس في الفينومينولوجيا هوسرل:"....فلسفة السيّد "هايدغر" القوية والأصلية والتي تختلف عن الفينومينولوجيا الهوسرلية في كثير من النواحي، ومع ذلك تعتبر استمرارًا لها"[1].

ويأتي هذا التصريح "لليفيناس" لتجاوز هوسرل نحو مبحث الإنسان والاتيقا فالجهود التي بذلها هوسرل كانت متوقف على بناء الفلسفة العلمية، أو الفلسفة كعلم صارم يهتم بدراسة الوعي، الذي يهتم بعلاقة المواضيع الخارجية بالوعي والإدراك، فالعمل الذي قام به هوسرل يتمثل في حل المشكلة المركزية للظواهر الترنسندنتالية، وهي الصفة المميزة لتكوين الوعي الخالص conscience pure ، قدّم بذلك نقدًا فتح به مجالا لدراسة الوجود، وعليه فإنّ الظواهر المتعالية تكون مصوّبة نحو

[1]- Emmanuel Levinas, théorie de l'intuition dans la phénoménologie de Husserl, p 15.

مشكلات وجودية بالمعنى الخالص مثلما يراه ليفيناس في "هيدغر"، فنقطة وصول هوسرل هي المفتاح الأساسي لفهم الانطولوجيا:" إنّ معرفة نقطة البداية في فلسفة "هيدغر" يكون من معرفة نقطة وصول السيد هوسرلM. Husserl"[1].

كان "ليفيناس" يرى في "هيدغر" الشخص الوحيد الذي استطاع تجاوز فينومينولوجيا الوعي، لأنّ هوسرل يستند إلى تجربة نظرية محضة، يكون فيها وجود الأشياء من العالم الخارجي بما في ذلك الإنسان متضمناً في الوعي الخالص، فهذه العملية تولّد صعوبةً في فهم العالم الخارجي والانتقال إلى الاتيقا أو مبحث القيّم، وهو ما يقوم بسؤاله "ليفيناس" في نهاية كتابه نظرية الحدس في فينومينولوجيا هوسرل قائلا:"أليست إمكانية التغلب على هذه الصعوبة أو التقلب fluctuation في فكر هوسرل ممكنًا مع التأكيد على الطابع القصدي للحياة العملية والأكسيولوجية axiologique؟"[2] وفي حوار قام به "ليفيناس" مع "ريشارد كيرني"Richard Kearney حول قيمة "هيدغر" بالنسبة للفلسفة وله، معتبرًا إياه الشخص الذي نفخ في الحياة منهجًا فينومينولوجيًا وأسلوبًا عصريًا، قد جعل منها قوة خاصة، فيقول مجيبًا عن الفرق بينه وبين هوسرل:" سأقول باختصار إن كان" هوسرل" قد منح لي إمكانات التحليلات الفينومينولوجية للمعرفة، فإنّ هيدغر أوّل من منح لي هذه الإمكانات

[1]-Emmanuel Levinas, la théorie de l'intuition dans la phénoménologie de Husserl, p 15.
[2]- Ibid, p 223.

على أساس وضعي وعيني لوجودنا اليومي، فقد بيَّن "أنا" لبحث الفينومينولوجي يتوجه نحو الحقائق والماهيات الأبدية، وينبع مصدره في الأخير من الزمن، ومن وجودنا الزماني والتاريخي"[1].

بالنسبة "لليفيناس" كان هيدغر يحاول فهم الحقيقة باعتبارها حدث للوجود، فقد بحث عن الأصل في الكائن الذي يتألف من فهم الوجود، والطريقة التي يتخذ بها الكائن المعنى، فهذه الأسئلة تحتل أولوية على حساب العلوم الفيزيائية والرياضية، وقد عرفت فترة لقاء "ليفيناس" "بهيدغر"• صدور كتابه الأساسي "الوجود والزمان Sein und Zeit " الذي أُعجب به ليفيناس الشاب كثيرًا، فكان يعتبره امتدادًا للفينومينولوجيا، وكل صفحة منه تعتبر تجديدية لها، والمشكلة الأساسية التي يتناولها الكتاب تمثل في الفرق بين الوجود والموجود être et étant، فيعتبر الوجود هو الحدث الأساسي في الميتافيزيقا الهيدغرية التي تُعيد تشكيل سؤاله من جديد، باعتباره أصل المعنى، يقول ليفيناس:" تقوم أطروحة هيدغر على افتراض أنّ الوجود هو أصل كل معنى، ممّا يعني على الفور أنّه لا يمكن للمرء أن يفكر فما وراء الوجود"[2].

---

[1]- Richard Kearney, de la phénoménologie à l'éthique, entretien avec Emmanuel Levinas, esprit, p 124.

•- بالنسبة للقاءات التي جمعت ليفيناس مع هيدغر لم تكن خارج المحاضرات والندوات، فلم يكون هناك لقاءًا خاصًا، إلا أنّه قد التقى به قبل هوسرل:"لقد قدمت لرؤية "هوسرل" وكنت قد رأيت هيدغر من قبل".ينظر: Salomon Malka, Emmanuel Levinas, la vie et la trace, p 53.، وقد صرح "ليفيناس" أنّه حضر الاجتماع الشهير في دافوس 1929 Davos عن هيدغر أين مكنّه ذلك من الحديث عن حديث هيدغر عن "كانط" kant وعن"كاسيرر"Cassirer، وأيضًا تفسير هيدغر "لكانط"، حيث هناك حسب ليفيناس يمكن للمرء أن يرى هيدغر خارج منبره:"اجتماع لا ينسى، كان لدي أيضًا مراجعة نظّمها الطلاب حيث كان عليّ أن ألعب دور "كاسيرر"، حيث تم تكليف "هيدغر" إلى الأستاذ المستقبلي بولنو bolnow ، كان لدي في ذلك الوقت شعري شديد السواد، لقد وضعوا الكثير من البودرة البيضاء على شعري لاستحضار تسريحة الشعر الرمادي النبيل للسيد.... يَنظر:. François Poirié, Emmanuel Levinas, p 81

[2]- Emmanuel Levinas, dieu, la mort et le temps, figure grasset et fasquelle, France, 1993p 143.

تمثل سنة 1940 إعجاب "ليفيناس" "بهيدغر" الأول، وقد توجت هذه السنة بإلقائه أوّل محاضرة لطلاب البروفيسور "جان قال" jean wahl (1888-1974) والتي حملت عنوان:"الانطولوجيا في الزمني " l'ontologie dans le temporel"[1]، إضافة إلى مقالة أخرى معنونة بسؤال:"هل الأنطولوجيا أساسية؟ l'ontologie est –elle fondamentale؟

فإن كان هيدغر قد قدّم دينًا معترفًا به حول فهم الوجود الإنساني باعتباره السؤال المنسيّ عبر تاريخ الميتافيزيقا الغربية والانطولوجيا الأساسية، فإنّ"ليفيناس" لم يجد من الانطولوجيا وحتى الفينومينولوجيا أي مخرج غير التراث العبري، والذي وجد فيه سبيلا للبحث عن ميتافيزيقا بديلة وجديدة، فبالرغم من حماسه وإعجابه بأنطولوجيا "هيدغر" إلا أنّه في نهاية المطاف يقدم نقد جذري يتهم فيه فلسفته بالغرابة étrangeté، فبقدر ما أتاح هيدغر الأول بدخول ليفيناس إلى عالم الانطولوجيا والاهتمام بالوجود، فإنّ هيدغر الثاني مهّد له سبيل تركها وهذا بعدما لجأ نحو البحث عن ميتافيزيقا الغائب والغير متجلية، نحو اللانهائي، تتنافى مع الزمن وترفض الحضور والانكشاف

[1]- Francisco Xavier Sanchez Hernández, vérité et justice, p 89.

في سنة 1932 قدّم ليفيناس دراسة بعنوان:" السيّد هيدغر والانطولوجيا خضوع الإنسان إلى الانطولوجيا والقلق كنرجسية للدازين."

M. Heidegger et l'ontologie, la subordination de l'homme à l'ontologie et le souci comme égoïsme du dasein ، كما قدّم سنة 1935 ضمن مقالته التلمص(الهروب)de l'évasion نقدًا لفلسفته، باعتبارها انغلاقًا على الوجود الخالص l'être pur ، فهيدغر قد ترك الإنسان في تيه وضياع، وأنّه "أخضع الحقيقة الوجودية التي تكون موجهة نحو الآخر إلى السؤال الانطولوجي من ذاته ولذاته بهدف جعل الإنسان السبيل الوحيد الذي يتحقق معه فهم الوجودla compréhension de l'être "[1].

2- مقولة الفهم

يعتبر سؤال الفهم la compréhension أساسيًّا داخل الأنطولوجيا الهيدغرية، إذ يمثل ماهية الدازين dasein، باعتباره الكائن الوحيد القادر على الفهم، والاستعاب، والنقد، فلدى كل إنسان حقيقة وفهم معين لما يكوّنه من امتلاء الوجود entité de l'être، لأنّه يشكّل فهمًا متراكمًا زمانيًا تاريخيًا، يجسد شتى خبراته، فهو إذن ليس ثابتًا أو جامدًا، الفهم يُبنَى ويُكوّن، الفهم جوهر الوجود، وهو أساس الدازين والوجود الإنساني ، الفهم بذاته مشروع المستقبل، فهو بهذا المعنى أساس الانطولوجيا التي تعبّر عن امتلاء وتشكل الوجود وإمكانية تحققه واكتماله مستقبلا فلا وجود للإنسان دون فهم، حسب هيدغر نسمي الإنسان من لديه خاصية فهم الوجود، أي :"أن يوجد

[1]- Francisco Xavier Sanchez Hernández, vérité et justice, p 90.

الإنسان بالطريقة التي يفهم بها الوجود"[1]، وأوّل فهم يكون الوجود الإنساني هو فهم الوجود لأنّ قيمة الانطولوجيا تتجه نحو الوجود بشكل عام، فالإنسان هو الدازين لا يمكنه أن يستوعب غير وجوده الذي ينتمي إليه.

إنّ التوجه إلى الكائن حسب هيدغر يعني تركه مستقلا عن الإدراك، فالدازاين يقدم نفسه ككائن وليس فقط موضوع ينتمي إلى الوجود، أي أن تكون في النسق مع الغير، هو بنية العلاقة الانطولوجية، بينما طبيعة الوجود ليست غير وجود الدازين، في المقابل ينتقد "ليفيناس" هذا الطرح الهيدغري بالقول:" مطلقًا الآخر ليس موضوع فهم أولاً، ومحاورًا لاحقا، بل علاقتنا الفهم والحور ممتزجتان، إنَّ فهم الآخر غير قابل للانفكاك عن دعوته للحوار، ...أن نطرح وجود الآخر بتركه – يكون يعني أنّنا قبلنا بشكل مسبق هذا الوجود، وأنّنا قد اهتممنا به"[2] ، الذي يدرك ذاته باعتباره كائنًا زمانيًا له نهاية محتومة تحدد مصيره الذي يرتبط بالعالم حيث حياته وموته، فكل ما يخص الدازين يُختزل لأجل وجوده الخاص، والطريقة التي يتواجد بها في العالم، أين تتشكل "حدثية الدازين la facticité des dasein"في حين لا يهم الوجود الذاتي من المنظور الليفيناسي، بل إنّ الحدثية الحقيقة تبنى من خلال العلاقة مع الآخرين، في نمط تواجدهم معنا، يقول:"موراكامي" عن هذه الحدثية:"لقد اكتشف هيدغر حَدَثية الدازاين la facticité de dasein في علاقته بالعالم

[1]- Emmanuel Levinas, en découvrant l'existence avec Husserl et Heidegger, p 85

[2]- ليفيناس، الانطولوجيا ، هل هي تأسيسية، تر: علي يوسف، مجلة المحجة، عودة الميتافيزيقا، العدد 21، بيروت- لبنان، 2010، ص 69.

وبموته، بينما اكتشف ليفيناس حقيقة أصلية أخرى وغير قابلة للاختزال، في مجال العلاقة بالآخرين وبالتالي في علاقتها بالحَدَثية الخالصة للغير"[1].

إنّ المشكلة الأساسية التي يعالجها "هيدغر" تتمثل في فهم الوجود الإنساني الذي تم نسيانه، كأنّه أصبح له دورًا محصورًا داخل الانطولوجيا، والذي بدونه لا يتم فهمه ولا استيعابه، وهذا ما يمثل الفلسفة الأساسية philosophie fondamental التي تتوجه نحو العلم الامبريقي، أي نحو تجارب الدازين في الوجود، أي أنّ استيعاب الوجود يشترط التواجد في الوجود والانخراط فيه، وبالتالي الفهم لا ينظر إليه على أنّه نظري بحت ، فمتى مر الإنسان بفرص الفشل والنجاح كان ذلك فهمًا وخبرات جديدة مكتسبة، في مختلف مجالات الحياة، فالحضور في العالم يتجسد بالوعي، فالفهم أساس تحقيق ذلك وبلوغ الغاية مثلما يرى ليفيناس بأنّه" أحد طرق الوصول"[2]، فالتحديد الذي قدمه هيدغر لم يعد متوقفا على الطابع النظري فقط، وإنّما صار يهتم السلوك الإنساني، فالإنسان هو كلية وأصل للأنطولوجيا التي بدونه لن تكون أساسية، فهي تهتم بالحياة العاطفية والاجتماعية، وحتى إشكالية موته التي تعتبر صلب الميتافيزيقا الهيدغرية، فالفهم الحقيقي ترتكز على هذه الرؤية التي تخص الإنسان بدرجة أولى، فأن نفهم الكائن يعني ذلك أن نوجد فعليًا ونحس عاطفيًا بوجودنا في العالم، أي أن نلج الوجود بكل كينونتنا، وبالتالي الفهم يصبح انفتاحًا على العالم.

[1]- Yasahiko Murakami, Levinas phénoménologue, p 138.
[2] - Emmanuel Levinas, en découvrant l'existence avec Husserl et Heidegger, p 112.

إنّ ما يراه ليفيناس حول "المنهج الفينومينولوجي الهيدغري" يتجه نحو فهم الوجود والكيانات entité والانطولوجيا، وبالتالي ليس محددًا بشكل واضح وتام، فهو محل الحياد لأنّه ببساطة يستبدل علاقة الكائن مع الكائن بالكائن مع الوجود، لكنّها ليست علاقة ذات مع موضوع، فالدازين يتشكل بفعل حقيقة الوجود، وهذه الحقيقة عبارة عن كشف وإيضاح، فمثل هذه الميتافيزيقا سمحت "لليفيناس" بالبحث عن ميتافيزيقا الغائب والماضي والغير مرئي invisible، واكتشاف حقيقة خارج الوعي وتحديدًا مع الوجه أين نرى اللانهائي الغير مرئي باعتباره الميتافيزيقا والترنسندنتالي الذي يجد حضورًا أصيلاً مع وجه الإنسان الآخر، فالأنطولوجيا لا تتحقق في انتصار الإنسان على مصيره، بل في تحقق التوتر الحاصل في الزمكاني للدازينdasein .

إنّ علاقة الحياد هي التي تصف خاصية الفهم لأنّه يستمد دلالته من الوجود، فهو لا يتكلم معه فالإنسان يسميه فقط، فخاصية الخطاب واللغة تموت مع أساس الوجود العام وليست علاقة مع الغير، ويصبح الفهم يمثل حسب ليفيناس "عنفًا ونفيًا للوجود"[1]، بمعنى أنّه لا يخص الوجود الإنساني، فالشخص الذي تربطني به علاقة أسميه "وجود"، لكنّنا عندما نسمي الوجود فإنّنا نكون قد سمينا معه الشخص أيضًا، وبالتالي لا نفكر في الإنسان باعتباره موجوداً فقط، فهو ذاك الشخص الذي نتحدث إليه.

[1]-Emmanuel Levinas, entre nous, essais sur le penser-à- l'autre, Bernard grasset, fasquelle, paris, 199, p 21.

يشكل الإنسان الشريك الحقيقي الذي نبني علاقاتنا معه، وهو لا يشبه الوجود، فعند الخوض في تجربة مع الإنسان الآخر أكون في علاقة مع الموجود الذي يمثل الآخر وليس الوجود، وبالتالي فإنّ الفهم الحقيقي للوجود يتجسد في فهم "الموجود" باعتباره إنسانًا، فالعلاقة بالغير إذن ليست الانطولوجيا، أي أنّها لم تعد فهمًا أو تأويلاً أو تمثلا لها، وتكون حيث لا يكون الشخص استحضارًا تاليًّا للفهم هذا الفهم لا يكون إلا باللغة حيث يمكن لنا أن نتحدث معه ونُلقي التحية عليه فهو لا ينفصل عن التعبير وهو الأمر الذي لم ينتبه له "هيدغر".

يبقى الأنا الهيدغري أو الدازين متأزمًا في وجود الموجود، لكن هذه الأزمة حسب "ليفيناس" لا تقف عند هذا الحد فهي اكتشاف عمّا إذا كان وجود الأنا مبررًا أم لا، أو هل هو حقا خاص به أو هو استئصال لحرّية إنسان آخر، أو مثلما يقول ليفيناس معبرًا عنها:"إنّها اغتصاب لشخص آخر"[1]، فالإجابة على الإشكال الذي يقع فيه الأنا الأنطولوجي لا يتوقف على مستوى الفهم والإدراك ولا في التواجد في العالم، وإنّما امتياز المجاورة الاتيقية proximité éthique ، في اشتراك الأنا مع الآخر، في حبهما دون شهوة فالذي يُعرّف الإنسان هو العودة إلى الذات وإلى تأثره بالآخرين، وهو ما يعبّر عنه "ليفيناس" دائمًا بالمعاناة والألم والاضطهاد الذي تعانيه الذات في حجم مسؤولياتها، وفي هذا الصدد يقول ليفيناس:" إنّ الإنسان هو الرجوع إلى باطنية الوعي الغير قصدي

[1]- Emmanuel Levinas, éthique comme philosophie première, p 97.

interaction de la conscience non intentionnelle وهو إمكانية خوفه من الظلم الذي يعاني منه على الظلم المرتكب، فهذا ما يبرر الوجود"[1].

تقدم الانطولوجيا الهيدغرية مساحة للفهم المشترك لكنّها على أساس الانتماء الانطولوجي، فالإنسان يتواجد في العالم وفق الزمن، ووجود الدازين ليس وحيدًا فهو دائمًا مرتبط بوجود الغير أي وجود معيّة l'être –avec يقول "هيدغر":"...العالم في كل مرة هو ما أتقاسمه مع الغير فعالم الدازين مشترك"[2]، فعالم الدازين إن كان مشتركًا حقا فهو ينتمي إلى العالم، فهو يعيش ليستوعب ويفهم وجوده الخاص، فالفرق بين الميتافيزيقا الهيدغرية واليفيناسية هو أنّه بالنسبة للموت عند "ليفيناس" يكون خوفاً وموتاً لأجل الغير، بينما لدى "هيدغر" الخوف والعدم خاص بالدازين نفسه، أي بالدازين الخاص بي être pour mon mort، أي تقديمه على حساب الشخص الآخر، وهو ما يمثل العاطفة befindlichkeit• أو هو بنية تأثُرِيَة لأجل الذات فهي تعبر عن نفسها وليست لأجل الآخرين، هي عاطفة لشيء كالخوف من شيء ما، أو فرح للنفس وحزن على النفس، حزن للدازين نفسه، فهو سبيل التأمل وفهم الذات، ليفيناس يعتبر أرسطوAristote الحافز الأول لهذا الفكر التأملي، وذلك من خلال مؤلفه الأخلاق إلى نيقوماخوس à l'éthique

[1]- Emmanuel Levinas, éthique comme philosophie première, p97.
[2]- Martin Heidegger , être et temps, trad: de l'allemand François vézin, édition Gallimard, nrf , paris,1986, p 161.

•هو مصطلح يشير إلى حساسية الذات، أو انفعالها، فهو انفعال الشخص لذاته، يأتي ذكر "ليفيناس" للمصطلح على اعتبار فينومينولوجيا الوجود والزمان ليست خوفًا على الشخص الآخر، بل خوفًا على الذات وعاطفتها، فالخوف على الغير عند "ليفيناس" هو خوف على موته، فهو يؤثر بشكل سلبي على الذات إلا أنّه لا يثير خوفها، فالمسؤولية تكون ردًا على نداء الغيرية وذلك بكل الإمكانيات المخولة للأنا، فوق كل اعتبار، فالذات تكون مكرسة للغير كما لو أنّها مضطرة على ذلك، مسؤولية دون ذنب، يُنظر: Emmanuel Levinas, éthique comme philosophie première, pp 91-94.

Nicomaque الذي يؤكد من خلاله على أهمية التأمل والسعادة في ظروف العزلة، باعتباره نهج الحكماء الذين تتوفر فيهم صفة الحكمة الذاتية، والتي تتوافق مع الحرية، يقول ليفيناس على لسان أرسطوAristote:"إنّ الحكيم لو ترك لنفسه وحده، لا يزال بإمكانه تكريس نفسه للتأمل"[1].

3- خاصية الوجود: العتمة أو il y a

تفطن ليفيناس في مقالته "الانطولوجي في الزمني سنة 1940" والتي ألقاها على طلاب "جان قال" إلى أنّ مشروع "هيدغر" في الوجود والزمان être et temps هو انطولوجيا العالم، وفي ظله أقحم المشروع الإنساني، فتحليلات هيدغر انصبت على الدازين، وفهم الكينونة يقع أولاً قبل الإنسان، والكينونة بهذا الشكل تمارس نوعًا من السيطرة والاحتواء على الوجود الإنساني، ويرجع ذلك ليفيناس إلى سيطرة الفلسفة اليونانية الما-قبل سقراطية على هيدغر والتي ألهمته فهم حقيقة الوجود، فالأنطولوجيا "الهيدغرية" تسبّق الوجود على حساب الموجود، أي الفعل على حساب الذات فهي ممارسة الحرية على الإنسان الذي تحتها، فهب بهذا الشكل تسبق الانطولوجيا على حساب الميتافيزيقا(الاتيقا)، وهي تمارس نوع من القوة والهيمنة لأنها تمثل حركة نحو العينه ver le même مثلما يقول ليفيناس في عمله الكلية واللانهائيtotalité et infini:"بأنّ اعتبار الانطولوجيا فلسفة أولى، تكون بمثابة فلسفة للقوة"[2].

[1]- Emmanuel Levinas, éthique comme philosophie première, p 98.
[2]-Emmanuel Levinas, totalité et infini, p 37.

تمثل انطولوجيا الحدث العام الذي به يؤول الوجود الإنساني فالإنسان يملك حرية داخل الوجود فقط، ولا وجود للإنسان دون الوجود، فإقحام الإنسان في دراما الوجود كان لغرض فهمه، فهو جزء من تشكيل الوجود وامتلائه، فبقدر ما يعطي الوجود للإنسان معنى، يساهم الإنسان كذلك في تشكيله، فقبل الوجود كان الإنسان تائهًا، ومنسيًا، وبالتالي فإنّ العلاقة داخل الانطولوجيا ليست علاقة مع موجود، لأنّه فهم الوجود هو المسيطر وهو الذي يمارس حرّيته على الإنسان وعلى الغير فالميتافيزيقا الحقيقية هي التي تتوجه الغير، لا تسَبق الحرية فهي تقصد ما هو مخالف وتقصد الآخر وتتوجه نحو اللامرئي•، وهذا منطلق الغيرية الذي غفلت عنه الانطولوجيا الهيدغرية، يقول ليفيناس:"إنّ العلاقة مع الغير باعتباره مخاطبًا عبارة عن علاقة مع موجود يسبق كل انطولوجيا"[1] فكانت انطولوجيا هيدغر بهذا الشكل صدمةً ورعبًا.

إنّ الحقيقة التي تصوغها الكينونة هي الإنصات لنداء الوجود، وهذا الوجود العام هو حالة زائفة يطلق عليها ليفيناس لفظ الثمة il y a(ثمة شيء ما يشكل وجودًا لكنّه غير معروف ولا محدد مجهول...) حيث كل ما هنالك داخل الوجود هو لاشيء محدد، فهو الفراغ، إنّ فعل الثمة il y a مثل ما يراه ليفيناس يمكن مقارنة بفعل نزول المطر كالقول إنّها تمطر مثلا، أو كأن نقول إنّه الليل فهو لا يبث أي بهجة أو سرور، إنّه فعل دون اسم، وهو مرجع لا أساس له، لا يجسد سوى الرعب

• الميتافيزيقا عن ليفيناس لا يقصد بها الانطولوجيا، أو الأمور الغيبية، أو ما يقع خارج سيطرة العقل، لأنّها ليست مفارقة للموجود الإنساني، أو مثلما يعرّفها على أنّها تتجه نحو ما هو مخالف ومغاير vers l'ailleurs ونحو الآخر، فهي تمتد نحو أيضًا نحو العلو hauteur ونحو اللا مرئي، فهذا الأخير هو الميتافيزيقا لأنها دلالته تكون أثرًا للإله، وحضور الإله إلى الوجه الإنساني، لذلك كانت المسؤولية مشروعة لصالح الغير رغم كل شي، فأن تموت لأجل اللا مرئي(الإله)، هذه هي الميتافزيقا كما يراها ليفيناس: يُنظر Emmanuel Levinas, totalité et infini, p 23

[1]- Emmanuel Levinas, totalité et infini, p 39.

والخوف فهو حسب ليفيناس:"الضجيج حيث لا عدم ولا وجود"[1]، فحدث الثمة التي لا تدل على أي شيء هي إقرار بلا شخصية الوجود، فلا يملك أي قيمة، ولا يثير أي انتباه، فلا وصف يمكن أن يقال عنه غير نكريه، فثمة شيء هنا وهناك لكنّه دون فائدة ، فهو غير معروف لأنّه غير شخصي هو سلطة لأنّه يجبر الإنسان على الانتماء إليه، ليقع رهينة لدائرة مغلقة تسمى الانطولوجيا، يسعى من خلالها الإنسان إلى التحرر من سذاجته ومن عدمه، "فهي سذاجة والأقل تأملية وتجريدًا على الإطلاق، وهي تجربة خوف الطفل الوحيد في ظلام الليل حين يسود الصمت المطبق الرهيب حتى وإن كانت الأشياء جميعها قد عادت إلى ما يشبه العدم والتلاشي الكلي"[2].

فبالرغم من أنّه لا يوجد شيء من خلال il y a، إلا أنّه يصدر فوضى تزعج الموجود وتجسد رعبه، فما يعانيه الإنسان في عتمته هو أشبه بحالة الطفل الذي لاستطيع فعل أشي في الظلام الدامس غير البكاء والهلع حتى وإن لم يكن ثمة شيء، لأنّ تلك حقيقته، فهو اللا-نور، واللا-تجلي، إنّه الخطر الذي يتربص بنا في كل لحظة، فهو في الحقيقة وجود الحياد neutre لا يخص الكائن ولا حتى العلاقات بين الموجودات، يقول موراكامي:"فعل الثمة هو فشل في العلاقات مع العالم، وبالتالي يبدو العالم أجنبيًا تمامًا"[3]، أمّا ضرورة الخروج من هذا الرعب لا تكون إلا باستعادة الإنسان التائه بين دروب الوجود والتي أفقدته قيمته، الأمر الذي جعل "ليفيناس" يقصد سبيلا آخر وهو العلاقات

[1]- Emmanuel Levinas, éthique et infini, p 38.

[2]- أحمد عبد الحليم عطية، ايمانويل ليفيناس وعادل ظاهر، مجلة أوراق فلسفية، العدد السابع عشر 2007، القاهرة، ص 133.

[3]- Yasahiko Murakami, Levinas phénoménologue, p 240.

الإنسانية، تقول هنسل:"إنّ الإنسان الذي دعا إليه "ليفيناس" هو انتصار على وجود الثمة il y a "[1]، فمتى وقع التهديد على الإنسان كان حافزًا على الهروب والخروج منه.

ينتهي ليفيناس إلى تحليل مسألة العدم والموت لدى هيدغر التي يقدم لها مرجعة ميتافيزيقية فانطولوجيا الدازين محكومة عليه في زمنية منتهية، تؤول به إلى الموت والتلاشي، فالجملة الهيدغرية:"الكائن نحو الموت" être vers la mort " تشير إلى حتمية الزمن التي تُؤول بالموجودات إلى الموت، وأوّله هو موت الدازين، والذي يقابله عند "ليفيناس" موت الغير، الذي يكون في المقام الأول.

إنّ زمانية الدازين تثبت أنّه كائن متجه نحو الموت، وهي مهمة أساسية تشكل عدمه، لكن موته يكون حياديًا، لوحده، فإن خاف منه فهو يخاف على نفسه، أين يموت الإنسان وحيدًا وذلك متى فقد وجوده، غير مهم بذلك وجود الغير والكائنات بالأخرى ،يقول ليفيناس:" إنّ العلاقة الأساسية للكائن لدى هيدغر ليست مع الغير، بل علاقة مع الموت، حيث كل ما يكون هناك هو اللا-أصالة في العلاقة مع الغير،بحيث نموت لوحدنا"[2] ، فالغير غير معني ضمن إشكالية الموت، إنّ هذا الغير الذي لا يترك الأنا دون استفسار، جعل هذا الأخير يفكر في موت الآخر قبل موت الذات، فالواجب هو عدم تركه يموت وحيدًا، ألا نتركه أمام لغز الموت، إنّ الموت بهذا المعنى يكتسي معنى اتيقيًا لا انطولوجيًا، فموت الآخر يتهمني بصفتي الفاعل الأول، فالمسؤولية تكون بعدم ترك الغير

[1]- جويل هنسل، من الموجود إلى الغير، تر: علي بوملحم، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص 56.
[2]- Emmanuel Levinas, éthique et infini, p 51.

يموت وحيدًا، وهذا بناءًا على خطاب الوجه الذي يمنع القتل والعنف،"لن تقتل أبدًا tu ne tueras point,"والتي تجسد وضعًا يستحيل فيه القتل، كما تشير إلى المسؤولية الشاملة التي لا تؤذي هذا الغير و أن تقف إلى جانبه، فالأنا يتلقى هذا الخطاب كأمر صادر من اللانهائي يُحتّم أمر الإصغاء والتنفيذ، وهو بدوره يجيب دون وقت للتفكير، وكأنّه صار قاتلاً أو مغتصبًا لحرية الإنسان:"لكن اللانهائي لا يظهر في الوجه كأنّه يمثل ..... فهو يجعل حريتي موضع سؤال والتي تجد نفسها قاتلة ومغتصبة"[1]، وفي الجهة المقابلة هي تنفيذ للوصايا التعليمية، التي تراعي الأثر الإلهي وقداسته المتجلية في الوجه.

[1] - Emmanuel Levinas, difficile liberté, quatrième édition, Michel Albin, 2006, p 378.

المبحث الثالث: اليهودية والغيرية الترنسندنتالية

...لكن المخطط الأساسي للكتاب المقدّس la bible هو وضع الآخر في علاقته معي،أو بالأحرى التأكيد على أنّ وجودي مكرّس للغير...

فرانسوا بواربيه، ايمانويل ليفيناس، محاولة ومقابلة...

1-اليهودية ومسألة حب الغير:

يحتل الآخر مكانةً أساسيةً في مشروع "ليفيناس" الفلسفي، إذ جعله أساسًا لفهم الدين والإتيقا، أمّا ذلك الفهم فيكون فوريًا متى كان اللقاء بوجهه، فرمزية الوجه في العلاقات الاتيقية الغيرية تمكّن الذات الوقوف أمام السيادة والسلطة، لأنّها تقدم وصايا إلزامية تقنّن أصول المسؤولية وتشّرع مبدأ الخطاب، وبهذا الشكل يرى ليفيناس أنّ تجذُر الوجه متضمن في الكتاب المقدس، والذي يقصد به أن تكون حياة الآخر أكثر أهمية من الذات، فذلك هو أساس القداسة والإنسانية، ويقول عن هذا الارتباط للوجه بالكاتب المقدس:"إنّه متجذر في الديانة اليهودية أقل من تجذره في الكتاب المقدس. إنّ للكتاب المقدس مستويات متعددة. ثمة مستوى تُقدم في أهمية الآخر، بالنتيجة، على أنّها مؤاتية لنفسي، أي أن يُقال لك بأنّك ستنال مكافأة على أفعالك الخيّرة- هذا موجود أيضًا في الكتاب المقدس."[1]

فبالرغم من أنّ الوجه يحتمل كل أوصاف الهشاشة والضعف والإغراء التي يمكن أن تؤدي إلى احتقاره وطمسه، فهو بذلك معرض بشكل دائم للعنف والموت، لكنّ الانكشاف الذي يميزه هو شكل من أنماط السلطة التي تُلزم بمسؤولية شاملة وكاملة، دون أي عذر للتقصير أو الرفض، في الأخير يشكل تجلي الوجه الأساسي دعوة لعدم ارتكاب فعل القتل، أو أي فعل يهدد حياة الإنسان

[1]- تامرا رايت وآخرون، مفارقة الخلقية- حوار مع ايمانويل ليفيناس، مجلة الاستغراب، الذاتية- الغيرية، إشكالية الإنسان على الإنسان، العدد 10، السنة 04، شتاء ، بيروت- لبنان، 2018، ص 17.

الآخر، يقول عنه ليفيناس:" إنّ وجه الآخر، بلا رجوع، بلا أمن، مكشوف لي في ضُعفه وفنائه، وهو الذي يأمرني لا تقتل أبدّا"[1]، وهذا لأنّه أساس القداسة والمكان الأصلي للبعد الديني الترنسندنتالي.

إنّ الآمر في الوجه ليس ضعفه ولا هشاشته، وإنّما سلطة اللانهائي التي تحميه وتمنع عنه أي تجاوز، فتعيق بذلك أي عنف محتمل، أمّا السلطة الحقيقة التي يأمر بها الوجه مستمدة من تعاليه، فالوصايا الدينية تُعتبر كلام الإله، لأنّ الوجه هو المكان الأصلي لكلام الإله والذي لا يمكننا سماعه إلا من خلال الإنسان الآخر، فأثر اللانهائي يكون عبر نداءاته للشخص القريب، والاستجابة ليست سوى تلبية لهذا النداء، فحقيقة المسؤولية هي تأديةً للواجب،je fais mon devoir فعندما أقوم بواجبي تعني بالحرف الواحد أنّه لا يمكن التنصل من خدمة الغير مهما كان وضعي، فلا يوجد سبب يمكن قبوله قصد اختلاق الأعذار أو لوضع شروط لهذا النداء أو محاولة لرفضه، لذلك المسؤولية التي تقع على عاتق الذات تكون كبيرة، لأنّها مسؤولية غير قابلة للإعفاء منها، تتعلق دائمًا بالمستقبل وبما سيكون، وهي التي تجعل الذات رهينة لهذا الغير، لهذه الأرملة ولكل هؤلاء الفقراء.

إنّ سلطة الوجه الآمرة على حُب الفقراء واليتامى والأرملة تجعل منه مهمة إنسانية مقدسةsainteté، فمفهوم الإنسان الليفيناسي يتعلق بكونية الآخر أكثر من نفيه، بغيريته أكثر من إنيتهipséité، وهنا قيمة الإنسانية التي تبدأ كلما كان الاهتمام بحياة الآخرين، وبحل مشاكلهم وبإقامة العدل وتحقيق شروط الأخوة، فالواجب الإنساني يترتب عنه تقيّد الرعاية اللازمة، وهذه

[1]-Emmanuel Levinas, altérité et transcendance, p 114.

الأوامر والوصايا ترتبط باللاهوت اليهودي•، لأنّ الوجه متجذّر في هذه الديانة أكثر منها في الكتاب المقدس• هذا لأنّ الكتاب المقدس حسب ليفيناس يقدم المكافأة للأفعال الخيّرة وهي ملائمة للذات، بينما القداسة الحقيقية لا تتجذّر في أشكال الخير والمحبة، فهي ترتبط بالعهد القديم عبر الوصية السادسة التي تعلمنا كيف نحب الجار وكيف نحترمه، وكيف نقف إلى جانبه متى احتاج إلى ذلك، يقول ليفيناس:" لا تقتل، هذا لايعني أن تتنزه شاهرًا المسدس في وجه النّاس، وإنّما يعني أنّ هناك طُرقا عديدة في الحياة لقتل بعضهم البعض مثلا: حين نجلس في الصباح ونحتسي القهوة فإنّنا نقتل أحد الإثيوبيين الذي لا يملك المال لشراء القهوة، بهذا المعنى يجب أن نفهم الوصية، وهناك العبارة التالية:أحب قريبك، تقال بطرق كثيرة هي أيضًا عليك أن تحب الغريب".[1]

يؤكد "ليفيناس" على أهمية الجانب الاقتصادي والمادي في المعاملة مع الآخر وهذا هو أساس البعد الإنساني، فتقديم العون والمساعدة هو أساس الوصايا التي نتعلمها من الكتاب المقدس والتي نسمعها من خلال الوجه، فبذلك يُفهم الدين في أحد جوانبه الاهتمام بظروف معيشة الفقراء والضعفاء، فهو يدعو إلى كل الالتزامات تجاههم، فدلالة الإله هنا يقدم نفسه كآمر أو كوصية

• تعني كلمة اليهودية le judaïsme جملة من المعتقدات والطقوس، والتعاليم الأخلاقية، وذلك بالاستناد إلى الكتاب المقدسla bible، والتلمود talmud، والأدب الحاخامي littérature rabbinique، وغالبًا ما يقترن بالتصوف la mystique، والتيو-صوفيا للقبّالة théosophia du kabbale. كما أنّ اليهودية تعني أيضًا الثقافة، يُنظر:.Emmanuel Levinas, difficile liberté, p 42

• الحديث عن اليهودية هو في نفس الوقت حديث عن قيمة المشناه والقيمارا la Michna et la Guemara، وتم إصلاح الكتاب المقدس في القرن الثاني تحت اسم المشناه.

– تمثل المشناه التعليم الشفهي للأجيال الجديدة من الحاجيات.

– تلقى هذا التدريس شكلا مكتوبًا في أواخر القرن 3ق.م تحت اسم الجمارا.

– يشكل كلا من المشناه والقمارا التلمود.

– التلمود الذي يتطور في الأكاديميات الحاخامات في بابل يسمى بالتلمود البابلي

يتوج التقليد التلمودي مدونة القواعد العملية التي تقوم عليها الحياة اليهودية، فاليهودية إن كانت تعلمنا حسب "ليفيناس" كتابيًا فإنّ التلمود هو الذي يظل التفسير الأصلي لهذا النّص، وهو بمثابة الموقد الحماسي الذي ينظم الحياة الروحية، وهو الأصل في تصحيح المشاكل الاجتماعية، فالوظيفة الجديدة لليهودية تتمثل في انتخابها الديني وفي مسؤوليات النخبة، وذلك في الوقت المناسب في الساعات الأولى وليس في الساعة الحادية عشر

" يُنظر: Emmanuel Levinas, les imprévus de l' histoire, livre de poche, biblio essai, fata morgana,1994, p 157.

[1]– تامرا رايت وآخرون، مفارقة الخلقية– حوار مع ايمانويل ليفيناس، مجلة الاستغراب، الذاتية– الغيرية، إشكالية الإنسان على الإنسان، ص17.

commandement، فمعرفة الإله في الديانة اليهودية تعني أن نعرف تمامًا ما يجب القيام به حيال المحتاجين دون تقصير، وهذه الديانة تقتضي المسؤولية على المعاناة الإنسانية وهي نفسها فكرة المسيحية• التي تشير المعاناة، وإلى الشفقة والحب، والتي تدعو إلى جوانب الاهتمام بالإنسان الذي يحتاج إلى دعم، فالهدف الأسمى منها هو إقامة العدل، والتي تبدّأ بإنصاف الفئات المعوزة، وإنصاف الأرملة واليتامى، والفقراء، والجيران، فالتركيز يكون على الجانب الاقتصادي حيث يتم الوقوف مع المحتاجين، من الأرامل واليتامى، فالأولى هو إطعامهم وتحسين ظروفهم التي يعيشونها، وأن نقدم لهم كل ما يحتاجونه، فالدين يبدأ من هذه المواقف العملية، ولا يركز على الجوانب الروحية المتافيزيقية المجردة، فمتى كان الاهتمام بهذه الفئة كان هناك عدل، "فليفيناس" يرى بأنّ هذا هو نهج الأنبياء الصحيح الذي مارسوه في حياتهم، ولم يكن لهم أي اهتمام بالإشكاليات الميتافيزيقية المفارقة كخلود النفس مثلا، فيقول:" لم يهتم "موسى" والأنبياء بخلود النفس، بل بالفقير والأرملة واليتيم والغريب، إنّ العلاقة مع الإنسان حيث يتم الاتصال مع الإلهي ليست نوعًا من الصداقة الروحية، بل هي التي تتجلى ويتم اختبارها وتحقيقها في اقتصاد عادل، ويكون كل إنسان مسئولا عنها بالكامل"[1].

إنَّ المسؤولية بهذا الشكل تعني أنَّ كل شخص يبقى غريباً فوق الأرض، فالذات إذن غريبة، فآية المزمور التي يستعملها ليفيناس هنا تقول:أعطني شريعتك"[2]، فهذه الآية لا تعني فقط قبول شعب لا يملك أرضًا، ولكن إلى أهمية هذا الوجود على الأرض، إلى ما وراء الموطن الأصلي، وهو تعريف للذات الترنسندنتالية الخالصة والضرورية للقانون الأخلاقي، فهذه الأوامر تمثل أساس تربية الذات

•– يهتم ليفيناس بالمسيحية لأنها تمثل المعاناة الإنسانية، وهذا هو الأساس الذي يتم النظر به إلى الأنا من حيث انه يقدم نفسه كرهينة للآخر، أن يتحمل معاناة لأجله، أن يكون في خدمته، فيكون مسئولا عن ألامهم، ومعاناتهم، يقول ليفيناس:" لا تنبئنا المسيحية بقدوم رجل يوقف التاريخ، فهي قدرتي على تحمل معاناة الجميع". ينظر: Emmanuel Levinas, difficile liberté, p 12

[1]- Emmanuel Levinas, difficile liberté, p 36.

[2]– François poire, Levinas, qui êtes vous, la manufacture, paris, 1987.

- Michael de saint Cheron, entretiens avec Emmanuel Levinas, 1983-1994, biblio essai inédit, livre de poche, librairie générale française, 1 er publication, France, 2006p 112.

éducation de soiالتي نراها من خلال الوجه، والتي تعلمنا عن كيفية حب الجار تماماً مثل حب الذات أو أكثر بكثير، وبفعل الإيثار والصدقة، يقول ليفيناس على لسان زوما zooma:"وجدت آية فيها كل التوراة، اسمعوا إسرائيل Israël الرب إلهنا واحد قال بن نناس:"وجدتّ آية تشمل كل التوراة:" أن تحب القريب، مثلك تماما، قال بن بازي:"وجدت آية تحتوي على كل التوراة:"فتذبح شاة واحد في الصباح وأخرى عند الغسق crépuscule"[1].

إنّ التراث الروحي لليهودية يرافق الجار الحياة الدينية، لأنّ الدين يبدأ بالاهتمام بالآخر، فالجار يحتل مرتبة ثانية بعد محبة الإله، فحب الجار دلالة على حب الإله، فلا حب للإله دون حب لهذا القريب prochain،وفي هذا الرباط تكمن معاني الأخوة والإنسانية، يقول ليفيناس على لسان باسكال:" إذا كان هناك إله، فيجب على المرء أن يحبَّه هو فقط عبر مخلوقاته العابرة".[2]

إذنّ الإنسان في الكتاب المقدس هو من يحب قريبه، ويتعاطف مع الناس، ولا يتكبر عليهم، فالمخطط الأساسي لهذا الكتاب هو وضع الآخر ومكانته بالنسبة لي، أن نحبه كما نحب أنفسنا،

---

[1]- Emmanuel Levinas ; difficile liberté, p 35.

كما في القرآن الكريم والسنة النبوية تؤكد أهمية حب الإحسان إلى اليتامى والمساكين والجار وهذا تذكيرا على أهمية حقوق الفقراء والمساكين والأرامل واليتامى،أما في القران الكريم وفي سورة النساء، يقول تعالى:"وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا".**الآية 36 من سورة النساء.**

ويقول أيضاً: " إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۖ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ".**سورة التوبة، الآية 60.**

وفي الحديث نجد:"قال رسول الله ﷺ: "ما تصدَّق أحدٌ بصدَقةٍ من طيِّبٍ – ولا يقبلُ الله إلا الطيب – إلا أخذَها الرحمنُ بيمينِه، وإن كانَت تَمرةً في كفِّ الرحمن، حتَّى تَكونَ أعظمَ من الجبل، كما يربِّي أحدُكم فَلُوَّه أو فصيلَه"، الترمذي وصححه الألباني.

وفي حديث آخر:" عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال» :لا يؤمنُ أحدُكم حتى يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه" **حديث صحيح.**

[2]- Emmanuel Levinas, altérité et transcendance, p 106.

فعبارة لا تقتل، وعبارة "أحب الغريب"، وان تحب قريبك كنفسك، تقتضي الإجابة عنهم مثلما نجيب أنفسنا، فالتعلق بذاتي يجب أن ينعكس بشكل دائم على الآخرين، فالإجابة على القريب لها أهمية بنفس عدد تكرراها في الكتاب المقدس، وهي تنفيذ لهذه الوصايا والتعاليم، إذ يشير "ليفيناس" إلى مسألة حب الغريب التي ذكرت أكثر من 63مرة في هذا الكتاب.

ترجع أهمية المسؤولية المتمثلة في حب الآخر إلى الأسفار السابقة، وهي موجودة في أسفار موسى الخمسة أعطيتك مثلا- الموجودة في الكتاب المقدس ستة وثلاثين مرة فقط في أسفار موسى الخمسة وهي الحب، وهذا الحب المخوّل للغريب هو بنفس الدرجة بحب ذاتنا،فلا اختلاف بينهما، فيجب أن يكون الحب هو الشعور الأول في العلاقة مع الآخر، مع الغريب، بأن يكون كل إنسان في مقابل إنسان آخر، فالمسؤولية تقتضي تنفيذ الوصية التي تقول لا تقتل، وأحب الغريب(الأجنبي) مثلك فهي لا تقل أهمية عن حب الذات يقول ليفيناس:"لا تقتل، أو أحب الغريب" أو تحب قريبك كنفسك تعني بالمعنى الدقيق للكلمة، أنّ التعلق بي هو الارتباط الأساسي، وأنّه من وقت لآخر يجب أن ينعكس على الآخرين، ولهذا السبب "ستحب الغريب" له نفس الأهمية –قال 36 مرة أو 46 مرة لا تقل أهمية عن أحب قريبك مثلك"[1]، فلهذا السبب يركز "ليفيناس" على حب القريب والإنسان الآخر بشكل عام، ذلك أنّه حيثما وجد إنسان وجدت معه قداسة وتأصلت معه أخوة، فبهذه الأخوة يمكن أن ينقلنا القريب من وجوده إلى ميتافيزيقا مفارقة تدلنا فوريًا على معنى الإله، فالحكمة الحاخامية rabbinique تعبر عن الإنسان باختصار،فاليهودية ليست الكتاب المقدس:إنّها الكتاب

[1]- Françoie Poirie, Emmanuel Levinas, essai et entretiens, p 135.

المقدس الذي يُرى من خلال التلمود، من خلال الحكمة الحاخامية، والتساؤل والحياة الدينية التي تتعلق بالواجبات والحياة التي تتماشى مع القانون وفكرة نداء الإله تعني أنّه جعلني في خدمة الإنسان، فالإله لا مكان له غير الإنسان، وهو كما يسمى "بالحلقة halakhah والتي تعني:السلوك اليومي، الديني الاجتماعي"[1].

إنّ التأكيد الذي تشير الحياة الروحية في التراث اليهودي هو محبة الجار، ولا يمكن أن يفهم الخوف من الإله على أنّه ينتمي إلى الأمور الأخروية التي تسكن الوعي البشري ضمن مغامرات أنطولوجية ففكرة الإله ليست عملية للوجود، ولا تنتمي إلى دائرة الانطولوجيا، بل تقال ضمن وصايا تعليمية تجعل الهدف الأسمى منها جعل كل شخص في خدمة الشخص المحتاج، أو الشخص الذي يجب أن نخاف عليه، ولذلك أهمية الاتيقا في اليهودية هنا تكون علاقة دينية بالمعنى الذي فيه يمكن أن يحضر الإله، وفقط من خلال العلاقة مع الإنسان يقول ليفيناس:"تظهر علاقة اليهودية بالإتيقا كعلاقة استثنائية يكون فيها الاتصال بكائن خارجي بدلًا من المساس بالسيادة البشرية، فهي تستثمرها وتؤسسها"[2]، "فاليهودية" حسب "ليفيناس" تُعلمنا الترنسندنتالي الحقيقي الذي لا تستطيع الروح احتواءه، فتبقى بذلك الذات وحيدة في عالم ممزق، فأمّا أن تكون الذات لأجلها تعني معرفة حجم الأخطاء المرتكبة تجاه الغير، تجاه حقوقه، كما تعملنا واجباتنا تجاه كائن مستقل منفصل عنا، يتمتع بحريته الكاملة، لذا يجب أن يُعتبر موضع العلوhauteur والمثال، والإله، فأي علاقة معه

[1]- François Poiré, Levinas qui êtes vous, p 156.
[2]- Emmanuel Levinas, difficile liberté, p 32.

تربطنا بالإله مباشرة، فالاتيقا هنا ليست نتيجة ضعيفة لرؤية الإله إنّها حسب ليفيناس:"هذه الرؤية بالذات فالأخلاق عدسة لذلك كل ما أعرفه عن الإله وكل ما يمكن سماعه من كلمته وكل ما أقوله عنه بشكل معقول يجب أن يجد تعبيرًا اتيقيًا"[1].

إنّ ممارسة الأخلاق مع الغير يهودي، أي مع الغريب، يعتبر أمرًا مقدسًا، إذ يكون التواصل بشكل وثيق وديني كما لو كان الحال مع اليهودي، فالمبدأ الحاخامي يؤكد على الصالحين وعلى العلاقة الحميمة، وهو لا يركز على مبدأ الحياة الروحية فقط، فهي لا تكتفي بديانة معينة ولا بشعب معين، ولا بشخص معين، "فليفيناس" لا يفتخر بفكرة شعب الإله المختار، فهي لا تتحقق بحقوق استثنائية بل بالواجبات،لذلك كان الجانب الإنساني هو الذي يقف علية النص الديني اليهودي:"فاليهودية جاءت للبشرية جمعاء"[2].

إنّ مبدأ الإنسانية الذي يشير إليه ليفيناس في اليهودية هو الحرص على الاهتمام بالفئات المهشمة والفقيرة، فالمسؤولية عليه تقتضي تحمُّل أخطائهم ومعاناتهم، إلى درجة تقبل الاضطهاد لأجلهم، وهنا يستعير ليفيناس عبارة "باسكال" والتي يوظفها في بعض أعماله:"مكاني تحت الشمس، ma place au soleil"[3]، فهذه العبارة تعني تحمّل الألم والمعاناة، وتعني أيضًا تعني المسؤولية الفردية، أمّا المكان تحت الشمس يدل على الاغتصاب المرتكب في بقاع الأرض، على حجم الخطيئة، والى حرمان الآخرين من مكانهم ومن حقوقهم، في الأخير تعبر عن ردُ الدَّين ومحاولة

[1]- Emmanuel Levinas, difficile liberté, p 33.
[2]- Ibid, p 231.
[3]- François poiré , Levinas qui êtes vous, p 112.

تصحيح التقصير والذنب المرتكب، فالعهد القديم متعلق بالنظام الإنساني حيث تسود فكرة الحب التي هي رمز الإنسانية الحقّة، فالحبُ هو الذي يخول تقديم الصدقة والمساعدة للفقراء والمحتاجين، فهو حب مجاني يقوم به الإنسان باعتباره وصية إلهية لا يمكن إهمالها، حيث يكون الإله هنا محبة، أي أن يُحبك بالدرجة التي تكون بها سخياً مع الجار، يقول ليفيناس:"للإله محبة" تعني أنّه يحبك، لكن هذا يستلزم أنّ الشيء الأكثر أهمية هو خلاصك برأيي، الإله يأمر بالمحبة، الإله هو الذي يقول إنّ على المرء أن يحب الآخرين"[1].

تعتبر المسؤولية على البؤس أهم فكرة تناولتها المسؤولية في الفكر اليهودي، فالعلاقة التي يبنيها الإنسان ليست صراعًا أو حسدًا، ولا حتى تكاملا، لأنّها مسؤولية فردية ذاتية تتجرد من النرجسية، فهي تكون فقط عندما يعترف الإنسان بحبه للآخرين ويرحب بهم، إلا أنَّ هذه المعرفة في نهاية المطاف لا تتم بتدخل الإله بينهم، الطريقة الإلهية المثلى لإصلاح البؤس يتمثل في عدم تدخل الإله فيه، فهي علاقة شخص مع شخص يكون فيه الأنا غير مساو للغير، وللتعبير عن هذا الموقف إضافة إلى قول "باسكال" يقول "ليفيناس" على لسان "فلاديمير جانكلفيتش Vladimir Jankélévitch:" أنا الذي لا يعرف نفسه بالتأكيد على أنّه هو الشخص الوحيد الذي ليس له حقوق"[2]، وبالتالي عدم محاولة اختلاق الأعذار أو التملص منها، المسؤولية في المقام الأول هي

[1]- تامرا رايت وآخرون، مفارقة الخلقية- حوار مع ايمانويل ليفيناس، مجلة الاستغراب، الذاتية- الغيرية، إشكالية الإنسان على الإنسان، ص 21.

[2]- Emmanuel Levinas, les imprévus de l'histoire, p 161.

مسؤولية الإنصاف التي تبدأ من محاربة البؤس، لا ترتكز على الخلاص الذاتي بقدر ما تهتم بإقامة السلام ومحاربة البؤس الذي يؤزم الإنسان ويسلبه.

يرتبط الذنب بالتاريخ، وكل ما يتعلق بالتاريخ يجسد ماض، خارج عن أوانه وهو الذي يتعذر فيه الإصلاح، فأن كان يمثل في شق الجوانب المأساوية والأخطاء المرتكبة، فهي دروس تعليمية تؤكد على عدم نسيان هذا الماضي الأليم، فالرسالة التي يحملها التلمود هي تخليص البشرية من حالة الندم، أي عدم تكرار الذنب الذي سبق له وأن حصل،فلا يمكن بأي شكل من الأشكال التكفير عن تلك المعاصي الماضية، فالتفكير في هذا العجز والقصور هو إعلان للتوبة التي يمكن للإنسان فيها أن يجد ما يصلحه مرتبطًا بالحاضر، والمستقبل، لذلك تشرع المسؤولية الميتافيزيقية التي تكون بناءًا على إدراك المعنى الحقيقي للخطيئة التي يحاول أي شخص تجنب إعادة الوقوع فيها، فالوظيفة الصحيحة لليهودية تكمن في انتخابها الديني وفي مسؤوليات النخبة في الوقت المناسب، أو ما يسميه "ليفيناس" بعالمية الأخلاق تكون بالاوميقا لا بالألفا، l'universalité est l'oméga, elle n'est pas l'alpha، فالتدخل يكون في الساعات الأولى لا المتأخرة الحادية عشر، وهذا تأكيد على الذاتية التي تكون وفق القول التعليمي:" أنت وحدك الذي مُيزت بين جميع عائلات الأرض لهذا اطلب منك أن تأخذ بعين الاعتبار كل ذنوبك"[1].

[1]- Emmanuel Levinas, difficile liberté, p 162.

ارتكزت اليهودية على قيم دينية باعتبارها علاقات أخوة هادفة، تحرم القتل والعنف، تقيم السلم بين الناس،فمن خلال هذا المنطق دعا ليفيناس إلى عالمية اليهودية لأنّها تهتم بالإنسانية التي تهدف إلى بناء مجتمع يسوده الوفاق والسلم وهو نفسه مجتمع لأخوة، مجتمع آدم، وفي نهاية المطاف هو طريق الإله.

2- التربية والتعاليم:

"يطلق على الموقد الحماسي لهذه الحياة الروحية ، والذي ينير الطرق العظيمة للفكر اليهودي عبر التاريخ، التلمود"[1].

يعتبر الإنسان في الفكر اليهودي الأساس الذي تفهم به القيم، وكذلك أي علاقة مع العالم الخارجي يجب أن تمر من خلاله، فالإنسان هو الذي يكتشف أولا قبل المناظر الطبيعية، كما أنّ الإنسان يفهم العالم من خلال الغير، أو من خلال المجتمع البشري، فاليهودية التي تعني الثقافة يجب أن تتماشى مع الإنسان، والتعاليم الدينية l'enseignement هي جملة من العلامات والإشارات التي تسبق العلاقات الما- بين شخصية، أي الأساس الذي تبنى عليه هذه العلاقات، فالتعاليم هي بنية خطاب موجه لتحديد أي علاقة يمكن أن تكون مع أي إنسان، فالذي يجمع الأفراد ليس اتحادهم، ونظام التعاليم الذي يؤكد عليه "ليفيناس" في الاتيقا هو منهج تربويéducation، كذلك التربية الصارمة تبدأ من تنفيذ التعاليم.

[1]- Emmanuel Levinas, difficile liberté, Ibid, p 57.

إذا ما حددنا أطر التربية فإنّ التلميذ ليس هو ذلك الطفل الذي يطلب العلم فقط، كما أنّه ليس ذلك المعلم، فالتعاليم تأخذ بعدًا فلسفيًا، يفتح أفقًا للحوار وتأسيسًا للغة، فنظامها لا يخرج عن دائرة المجتمع والعلاقة الاجتماعية،la socialité فالعقل ليس منغلقا على ذاته لأنّه إمكانية لعقل آخر وهنا يصبح العقل مثل المخاطب " أنت"، وهي في العلاقات الاجتماعية والتي تلعب فيها اللغة دورًا مهمًا ، يمكن القول حسب ليفيناس:" إنّ كل العلاقات الاجتماعية والتي تربط بين المعلمين والتلاميذ هي التعاليم، وماهية التعاليم هي اللغة"[1].

نظام التعاليم هنا يحدد نظام علامات ضرورية للتواصل لأنه أساس اللغة التي تحدد تلك العلاقات الاجتماعية، وفيها يتم الانفتاح على الآخر، فالبنية الاجتماعية la socialité هي عبارة عن علاقات عيانية بين كل الأفراد، مثلا بين الأسياد والخدم وبين الآباء والأبناء، وبين الرجال والنساء، وليست طاعة للقواعد والأخلاق المجهولة، فالتعاليم هي جملة من الأبنية الخطابية الموجهة للذات بهدف تربوي حتى يكون في استعدادا لخدمة الإنسان الآخر فهي تسبق العلوم، وتسبق حرية الذات، هي أشبه بإعطاء مهمة أو وصفة، تأتي منة ماض سحيق ينتخب الذات، وهو ما يعبّر عن سلبية تعبّر لشتى أنواع الاضطهاد والمعاناة• التي يمكن أن يتعرض لها الإنسان في خدمة الآخرين، يقول

[1]- Emmanuel Levinas, œuvres 02,parole et silence et autre conférences inédites, édition grasset et fasquelle, imec éditeur, 2009, p 85.

• تشير فكرة المعاناة la souffrance إلى التضحية ولى تحمل الآلام، فهي تشبه فكرة المسيحية من خلال الحياة الاقتصادية فهي تجسد المسيحي المتألم، وبالتالي هي ملخص لألام البشرية، حتى يكون بذلك مبرر لمجيء المسيحle messie قصد تحمل هذه الآلام وتخليصهم،فالمسيح مستعد للمجيء وهذا اليوم بالذات، قصد معرفة ألام البشرية التي تعاني فيه، إلا أنّ معاناة البشرية لا يكفي المسيح بتخليصها، لذلك لكل شخص مسؤولية صارمة تراعي حقوق وكرامة الغير. يُنظر: Emmanuel Levinas, difficile liberté, p 99.

ليفيناس:"إنّني أسمّي الطريقة التي يمكن بها إعفاء هذا الماضي المطلق لامتحاني وخلقي بالتعاليم enseignement"[1].

إنّ الثقافة التي تحوز عليها اليهودية هو البعد الإنساني الذي يحاول ليفيناس أن يركز عليه، والذي يثير بدوره بعض التساؤلات حول حقيقة البعد الإنساني للثقافة اليهودية••، فأساس التعاليم متوقف على قبول التضحية والاضطهاد في خدمة الغير، فبذلك نقترب من الجار، ومن الفقير، ولعّل هذا الاقتراب لا يكون خال الوفاض، فبهذا الشكل تصبح اليهودية عبارة عن إنسانية، والحياة الروحية هي بالأساس حياة أخلاقية، التي تهتم بالجانب الاقتصادي الذي يحتاجه منا كل معوز وكل غريب على الأرض، وبالتالي دعوة صريحة إلى المساواة الاقتصادية والتي تبدأ من التضامن والأخوة والرحمة، لأنّ ما يهم الذات في المسؤولية على الغير هو بؤسه المادي، فيتضمن بذلك الإطعام، والملبس مثلا وهذا بالتحديد ما ينص عليه النص التلمودي القائل:"إطعام الجياع وإكساء من يذهبون عراة، وسقي العطشان، وإيواء أولئك الذي لا يملكون مأوى"[2]، يقول ليفيناس:" لا يكون بتكلم فقير تشبه" (41-15)"[3]، وهذا هو الهدف التعليمي لقيمة الصدقة :" لذلك عندما يتحدث ليفيناس عن القتل

[1]- Emmanuel Levinas, difficile liberté, p 18.

•• يعتبر ليفيناس الفكرة الجديدة التي تحملها اليهودية هو الاهتمام بالإنسان، فهو الموضوع الأساسي الأوّل الذي يشغلها، وعليه فالمهمة الأولى لها تكمن في خدمة ورعاية الآخر المختلف والغريب، في هذا السياق تنتقد بتلر توجه ليفيناس في هذا السياق والذي تراه أنّه منصبا على الإنسان اليهودي فحسب، فهو يمارس نوعًا من الصهيونية إذ أنّه قد تناسى عددا من الفلسطنيين الذي كانوا على مطلب شرعي من الشعب اليهودي، ووفقًا لليفيناس يقتصر تحريم العنف على هؤلاء الذين نلتمس وجوههم مني مطلبا، ومع ذلك تتمايز هذه الوجوه، بحسب خلفياتها، الدينية والثقافية، وهو الأمر الذي يثير مسألة إن كان هناك أي الترام للحفاظ على حياة أولئك الذين لا يظهرون أو بالأحرى على الإطلاق بحكم أنهم بلا وجوه". يُنظر: جوديث بتلر، مفترق الطرق- اليهودية ونقد الصهيونية، تر: نور الحريري، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، الدوحة- قطر، بيروت- لبنان، ط1، ص 68.

[2]-Françoie Poirié, Levinas qui êtes vous, p 99.

[3]- Emmanuel Levinas, difficile liberté, p 87.

فهو لا قصد به فقط الفعل الانطولوجي، الموت، بل جعل منه قاعدة للحياة الروحية، فمدلول هذا الخطاب له دور تربوي، لأنّ النهي عن القتل الميتافيزيقي- الاتيقي غير الانطولوجي- هو منهج تربوي يقربنا من الإله الذي نجد سبله متاحة مع الإنسان الآخر، أمّا الهدف الأسمى للتعليم حسب ليفيناس هو إقامة"علاقة بين الإنسان وبين قداسة الإله"[1]، وهو نفسه المدلول الذي تشير إليه عبارة لا تقتل لأنّها بالأساس علاقة أخلاقية إنسانية نجعل من خلالها حضور الإله ممكنا، فرؤية الوجه الحقيقة تنقل إلينا إنذار القتل، لذلك رؤيته تتعذر على مستوى المظاهر، فالحقيقة التي يملكها تعتم على فهم جملة الوصايا التعليمية التي يخاطب بها، أمّا رؤية الوجه دون هذه الوصايا ليس له أي معنى أو قيمة وكذلك تجاوز الوصية الآمرة بمنع القتل وعدم ارتكاب العنف هو انتهاك لحرمته وتدنيس للمقدس فأي مقاومة لوصية التحريم "لن تقتل أبدا" tu ne tueras point هو فقدان للوجه وللترنسندنتالي،"عن الوجه يحمل تحريما للقتل لا يسعه إلا أن يذكر الشخص الذي يلتقي ذلك الوجه ويجعله خاضعًا للتحريم، الذي يوصله الوجه، وإذا حاول الشخص أن يتحدي التحريم فسيفقد قدرته على رؤية الوجه، وإذا رأى الشخص الوجه، لكن لم يرى التحريم فسيفقد الشخص الوجه بطريقة أخرى"[2].

أمّا العقاب الذي يتعرض إليه الإنسان ما إن قصّر أو أذنب في حق أخيه هو الطرد من رحمة الرب ، لأنّه رفض تنفيذ الخير، ولم يأبه بالوصية الدينية فلم ينفذها، فالتعاليم هنا تأكيد على الحياة المادية، وتأكيد على الحب اللازم إعطاءه لهذا الشخص المحتاج، في الحوار الذي يرده ليفيناس هو

[1]- Emmanuel Levinas, difficile liberté, p 293.

[2]- جوديث بتلر، مفترق الطرق، اليهودية ونقد الصهيونية، ص 91.

عقوبة من قام برد الفقراء كتأكيد على قيمة الصدقة فيقول:" لقد طاردتني، لقد طاردتني، متى طردناك؟ متى طردناك؟ لكن عندما رفضت إطعام الفقراء، عندما طردت الفقير بعيدًا، عندما كنت غير مبال تجاهه؟ كأن يكون لدي تجاه الفقير مسؤوليات تبدأ من الأكل والشرب، وكأنّ الآخر الذي طردته يعادل إلهًا مُطاردًا"[1].

– إنّ رفض مساعدة الفراء هو بمثابة طرد للإله.

–خلاص الإنسان متوقف على الإنسان وبعدم تدخل الإله فيه.

–تعتمد العلاقة الحقيقية بين الإنسان والإله على علاقة رجل برجل، وبمسؤولياته كما لو أنّه لا وجود لإله يعتمد عليه.

– معرفة الإله الحقيقية مثلما تؤكده النصوص الدينية تتم بإنصاف الفقراء والبؤساء وبالتالي تحقيق العدل.

الهدف الأساسي للتعاليم هو إخطار الفرد بحجم الذنب المرتكب جراء الأفعال التي يمكن أن تؤدي المساس بحياة شخص آخر، كالعنف والقتل، فالتعاليم التي تنص على تحريم القتل والإشارة إلى حجمها نجد نصوص دينية من التلمود، فعبارة "لا تقتل" تمثل قوة صارمة لا تعكس ولا تقاوم، فقصة الخطأ مع القريب مثلا نجدها في صورة كاملة في قصة "هابيلAbel وقابيلCaïn"، فعندما يسأل

[1]- François poire, Levinas qui êtes vous, p 99.

الرب قابيل، أين أخاك؟ يجيب بالقول: " لا أعلم، هل أنا حارس لأخي؟ فقال ماذا فعلت، صوت دم أخيك صارح إلي من الأرض"[1].

القصة السابقة بين "قابيل""وهابيل" يتخذها "ليفيناس" كمرجع للاتيقا، حيث يتم التعرف على حجم الخطأ والذنب الذي يمكن أن يرتكب، فالذنب الوحيد لقابيل هو أنّه قال أنا، قد سكن في عناده ونرجسيته، لم يدرك أنّه حارسًا مسئولاً لأخيه، فحمل بذلك ذنب أخيه، فتاريخ الخطيئة يعود إلى هنا، قابيل كرمز للشر والعنف أمّا هابيل رمزًا للخير والوفاء والتواضع، فالرمزية التي حملها موت هابيل ليس موته لوحده، وأنّ دمه قد ملأ جميع بقاع الأرض، فالشيء الذي يجب التنبيه إليه في هذا الخطأ هو أنّه لا يغتفر من الرب، فإن كان كل من آدم وحواء قد أخطآ من قبل وقد غفر الرب لهما، فإنّ قابيل ارتكب ذنبًا ضد أخيه لا يشبه الذنب المرتكب أمام الرب كذنب آدم، فذنب "قابيل" لا يغتفر إلا من هابيل الضحية، لكن هابيل قد مات، وبالتالي لا يتم الغفران، وأنّ ما يتبقى بعد ذلك هو العدالة الإنسانية، فالعبرة الأخيرة التي تستمد من القصة هو عدم التفكير في القتل، بل على الإنسان الالتزام وفق الوصيّة التي تجبره أن يقدم نفسه ضحية تحت رحمة الآخر، معنى ذلك أنّ القوي يتحول إلى عبد، والضعيف يتحول إلى سيّد، وهكذا تكون صيغة العلاقة اللا-تناضرية، وعن الخدمة اللانهائية للآخر، تذكر "بتلر" أنّه يستشهد بالمجلس التلمودي القائل:"أنّه إذا علمت بقدوم شخص ما لقتلك ، فعليك أن تنهض باكرا وتستعد للقتل أوّلا"[2].

[1]- Michael de saint Cheron, entretiens avec Emmanuel Levinas, 1983-1994, biblio essai inédit, livre de poche, librairie générale française,1er publication, France, 2006,p 184.

[2]- جوديث بتلر، مفترق الطرق، اليهودية ونقد الصهيونية، ص 97.

إنّ الهدف الأساسي التي تهدف إليه الاتيقا الليفيناسية هو إعادة فحص التراثين الفلسفي والديني، فلم يعد وطن الفلسفة لا اليونان ولا ألمانيا، ولا الانطولوجيا أو الفينومينولوجيا المعرفية، ولم يعد الدين مجردًا في تأملاته الميتافيزيقية حول وجود الإله، بل صار متزامنًا حصريًا مع الوجود الإنساني، الذي سبق له وأن تعذب في صحاري مصر للوصول إلى القدس، هناك حيث يعلمنا التلمود معنى الأثر الإلهي بوصايا قد بدأت مع الأنبياء، إبراهيم وموسى، هناك حيث كان انشغالهم الأول هو صناعة الوجود الإنساني الحقيقي، فالميتافيزيقا الليفيناسية تجد أرضها الموعودة والمقدسة مع التلمود، ومع مصر والقدس ومع تجلي الخطاب الديني، ومع الأثر الإلهي الذي يحضر مع الإنسان في كل وقت وحين، فالاتيقا تتسلح بقيم وأسس تجدها من خلال عودتها للتراث العبري باعتباره المشكل لبنودها الأساسية، والتي ترمي إلى احترام الناس، والى سيادة قيّم الحب والايخاء بينهم، فما-وراء الوجه يتعالي لأنّه يعرفنا على أصول الوصايا التي يقدمها، والتي تبدأ من مصر، ومع موسى، مع قصة التيه والأرض الموعودة مع الاضطهاد والمعاناة، مع الفقر والحرمان، مع الغرباء، ذلك منطق الفكر اليهودي وأصالة الميتافيزيقا الليفيناسية.

خلاصة الفصل الأوّل

كان الهدف الأساسي من هذا الفصل هو إيضاح الموقف الليفيناسي من الفينومينولوجيا والأنطولوجيا واليهودية، باعتبارها مناهل أساسية نجد آثارها ضمن مشروعه الفلسفي، فحقيقة الفينومينولوجيا كما سبقت الإشارة إليه هو أنّها لمتعد شرطاً أساسياً للعلاقات الإنسانية، وبناءا على هذا الموقف فإنّ الترنسندنتالي الموجود فيها ليس أصيلاً، وليس بنفس الأهمّية التي يحوز عليها البعد الميتافيزيقي (الاتيقي) للشخص الآخر، فالتعالي الحقيقي هو تعالي لغير مفارق للغير، وهو ضروري للبعد الاجتماعي، هذا ليس لأنّ الآخر هو إنسان، بل لأنّه يحوز دلالة اللانهائي، الذي يعطي للوجه سلطته التي يقاوم به هشاشته، فاللانهائي هو حقيقة تتجلى وراء تمظهر الوجه، فما وراء الوجه والوجود، هو أصل اللغة وحدثها، وهو أساس الوصايا التعليمة التي تحث على قيّم الاحترام، الاعتراف، المسؤولية، الأخوة، العدالة، فبهذا الشكل لم يعد المبدأ الترنسندنتالي مفارقاً ومخصصاً حصرًا لشروط هوية الأنا، أو ترنسندنتاليًا على موضوعاته، وإنّما صار محايثًا مع حيثيات كل العلاقات الممكنة للوجه.

لم يستثني ليفيناس الأنطولوجيا الهيدغرية التي لم يعتبرها بدورها شرطا لوجود الغير، بل إنّما العلاقات الميتافيزيقية هي الفلسفة الأولى التي تتعارض مع الوجودية، فهي لا تندرج من أسسه تحت أي شكل من الأشكال، فالوجود كما نعته ليفيناس هو في شكله العام والضيق، وجود للثمة، أساس الأرق والرعب، ممارس للسلطة، وهذه إشارات نحو حقيقته الأساسية التي لا يمكن أن يعبر عنها، فالعلاقة بالآخر ليست شبيهة بالمعرفة والفينومينولوجيا، كما أنّها ليس من جنس الانطولوجيا، وإنّما الميتافيزيقا لا تنتمي لأيّ فرع بالأساس لأنّها تمثل الفلسفة الأولى.

أمّا اليهودية فهو الاتجاه الذي أشاد به ليفيناس، لأهمية القراءة التأويلية الجديدة له، فهي منفذ لتجاوز قصور الاتجاهين السابقين، وهنا ليفيناس لا يقصد اليهودية بأفكارها العقائدية، بقدر ما يقصد تعاليمها التلمودية المهمة في الحياة والتي تتجه لصالح الإنسانية، فاليهودية الجديدة هي تجسيد للأخوّة والإنسانية، وسيادة قيّم العدالة، والحب، والمسؤولية، وهذا مع كل إنسان دون استثناء، أو عنصرية، فالترنسندنتالي الحقيقي كان أساسه وتأصيله ضمن البعد الديني التأويلي،وهذا لأن التلمود خطاب تعلمي يتلقاه الإنسان، وليس شرطًا للذات العارفة أو للأنا الترنسندنتالي.

الفصل الثاني

الترنسندنتالي والوجه

المبحث الأوّل: الأثر والترنسندنتالي

المبحث الثاني: الذاتية والوجه

المبحث الثالث: فكرة السياسة وإمكانية العدالة الترنسندنتالية

مدخل الفصل الثاني

يتناول هذا ثلاث مباحث ترتبط بشكل مباشر بالمبدأ الفينومينولوجي الترنسندنتالي عند ليفيناس، وهي تشمل علاقة الأثر بالترنسندنتالي، حيث يتناول عدة إشكاليات منها:إشكالية الخلق والرسالة التي يحملها هذا الخلق والتي يوصي بها الرب، مع تناول علاقة الأثر بالشخص الثالث الغائب الذي اعتبره ليفيناس شرطا لتحقق الغيرية والعدالة، كما اعتبره سببًا في معرفة الإله، ويتناول أيضًا علاقة الأثر باللانهائي وبالإله، وعلاقته بالترنسندنتالي، فالأثر بشكل أساسي يتعلق بقراءة الأوامر الصادرة من الآخر مثل نداء المسؤولية باعتبارها أوامر إلهية، مقدسة، لا يمكن لغير الوجه الإنسان أن يفصح عن معناها وقيمتها، أمّا المبحث الثاني معنون بـ:"بالذاتية والحرية وعلاقتهما بالمسؤولية الترنسندنتالية" نحاول من خلاله أن نبيّن فيه كيف نظر "ليفيناس" إلى المسؤولية الحقيقية التي تنبع من الذاتية، وتكون رغمًا عنها، تتقبل كل أشكل الاضطهاد والألم تجاه الغير، فيقوم بتوظيف نصوص دينية تؤكد على أهميتها، إضافة إلى حكم الإساءة والإهانة تجاه الإنسان الآخر، فطبيعة هذه المسؤولية يجب أن تستوفي على شروط الرهينة، والهوس، والسلبية، والتكرار، على أنّ الإله يأمر بالعدل وحفظ الكرامة الإنسانية كما يتوعد من يذنب في حق أخيه الإنسان، فسواء في السياسة أو في الأثر أو المسؤولية فإنّه يستدل بنصوص تلمودية تؤكد قيمة بعض الممارسات كما تحُرم ويتوعد فيها الرب بالعقاب.

أمّا المبحث الأخير يتناول الفلسفة السياسية، التي تبدأ من البحث عن شروط تحقق الكرامة الإنسانية والمتعلقة بالبحث عن الحقوق الأصلية للإنسان، وخصوصًا المساعدات التي تقدّم لصالح الفقير، والغريب، واليتيم، وفي الأساس تتعلق بالجانب الاقتصادي كتأمين المأكل والمشرب، والملبس وهذه كأوّل الحقوق الأساسية التي يمكن من خلالها الحديث عن العدالة، وليس هذا فقط وإنّما البحث عن شروط الوصول إلى العدالة الترنسندنتالية وأيضًا محاولة تطبيقها، وهي كمحاولة للخروج من الوجود المغلق الذي تسببت فيه بعض الأنظمة السياسية كفلسفة هتلر التي اتخذت موقفًا صارمًا تجاه اليهود وتجاه الإنسانية.

المبحث الأول: الأثر والترنسندنتالي

"إنّه ينطلق من الغائب المطلق، لكن علاقته مع الغائب المطلق الذي يأتي منه لا يدل ولا يكشف عن هذا الغائب، ومع ذلك فإن الغائب له معنى في الوجه..."

ليفيناس، اكتشاف الوجود مع هوسرل وهيدغر

1- الأثر باعتباره تجربة ترنسندنتالية مع الآخر وحدث مع الشخص الثالث الغائب.

إنّ مسألة إدراك الوجه لا تقتصر على الحواس أو عملية المعرفة، لأنّ الوجه ليس ما يظهر، فهو تجسيد لحضور الآخر في غيابه، حيث يصبح الغائب حاضرًا ضمن لقاء الوجه، والوجه هنا لا يقتصر على إظهار من يكون غائباً فقط، وإنّما يمثل أثرًا لهويته كشخص، فهو يتعلق بالسؤال كيف نفكر في حضور غير موجود؟ و ماهي الطريقة التي يتم بها إدراك أثر غياب كائن ما ؟

يختلف الأثر عند "إيمانويل ليفيناس" تمامًا عن معناه في الفلسفة اليونانية•، فلا يتم إدراكه عبر الرؤية بالعين المجردة وإنّما الطريقة الوحيدة لذلك تكون عبر الخطاب، كما لا يمكن رؤيته أيضًا لأنّه يخص الشخص الغائب، فقبل أن يتحدث "ليفيناس" عن الأثر يذهب إلى عالم الما وراءl'au delà، والذي يقصد به "ما وراء الوجود" au delà de l'être، أو عالم ما وراء الوجه الذي يبدو لنا ظاهريًا بعريّه وحشمته، والضعف الأساسي الذي نلتمسه فيه، إنّ في عالم "ما وراء الوجه"ما يسميه ليفيناس بالغياب l'absent الذي يحضر في الوجه"[1]، كما ينفلت من كل فعل كشف وفعل إخفاء، لأنّه أثر يحمل في سره لغزًا وإبهامًا،والأثر يكون أثرًا للشخص الآخر أو أثراً للاانهائي وكذلك هو أثراً للغائبية(ترجمة مُحَمَّد شوقي الزين)"هو" illéité••، لكنّه في الأخير يدل على ماض يحمل معه كل الحرص على

•-يعود مفهوم الأثر trace إلى الفلسفة اليونانية مع أفلوطين، حيث نجد اختلافا بينه وبين فلسفة ليفيناس، نجد جذور الأثر مع أفلوطين كما نجده في الفلسفة المعاصرة مع "دريدا"، فبالنسبة لأفلوطين يرتبط بمفهوم الصدور أو التتبع décisif، حيث يرسم يعد مفهوم الواحد l'un أو الخير le bien، فهذين المفهومين يرتبطان بما يسميه ما وراء الوجود au delà de l'être، أو بمعنى الماهية l'essence أو الجوهر substance الخاصة بالمرئي visible ، ففكرة التتبع أو الصدور تعني صورة الموجودات أو الكثرة عن الأصل أو الواحد، فالخير هو الذي يعطي الوجود مستوياته واختلافاته، وبالتالي فإنّ الواحد يترك أثره في الموجودات، والوجود هو أثر، هذا الأثر يصبح إيجاد ما لم يكن ...: Michel blay, grand dictionnaire de la philosophie, Larousse, CNRS canada, Québec, 2005, p 1031.

[1] -Emmanuel Levinas, humanisme de l'autre homme, livre de poche, biblio essai, fata morgana, paris, 1972,p 63.

••يدل المفهوم على هوية الشخص الثالث، ويستعمل ليفيناس لفظ illéité على أنه هوية لضمير الغائب il، يصعب إيجاد ترجمة مناسبة للمفهوم بالمقابل العربي، فيمكن تسميته الشخص الثالث الغائب، على غرار بعض الترجمات مثل: اللهووية التي يستعملها الباحث المغربي حسن الوفاء في ترجمة مقال "إله إنسان"un dieu homme، وترجمة عمر بدري بلفظ اللهوية في بعض مقالاته.

تلبية نداء اللانهائي، فحسب ليفيناس:"تكون الرغبة والاستجابة لهذا اللغز أو الأخلاقية moralité ثلاثية الأطراف، الأنا، الآخر، و الهو Il، ويقول في ذلك :"...فالأنا يقترب من اللانهائي من خلال ذهابه إلى الأنت بسخاء généreusement والذي يكون معاصرًا لي، والذي يحضر داخل -أثر الغائبية- illéité"•، وذلك عبر عمق الماضي، فأنا أقترب من اللانهائي بنفس القدر الذي أنسى فيه نفسي من أجل جاري mon prochain الذي يقصدني..."[1]. لذلك يتم سماع الأثر الذي يمر عبر الآخر فقط من خلال الوجه، ليصبح هذا الأثر منفلتًا من خاصية "الزمن والمكان"، لأنّه يظهر كأثر لغياب ولما لم يعد موجودًا، ولا يعني هذا معاصرته للأنا، لأنّه ضمن الأثر العلاقة الاتيقية تعتبر نهاية الزمن، لينقل لنا الآخر من فجوة الماضي منسية غير قابلة للاختزال في الذات، إنّ هذا لا يدل على الماضي فحسب، بل يدل على الماضي البعيد جدًا عن أي ماض وأي مستقبل، أو عن أي زمن، يستقر هناك حيث توحّد الأبدية كل الأوقات،فمهما كان الأثر دالاً على الماضي يكون دالاً أيضًا على أهميته في الوصل بين الأنا والآخر، لكن فما تتمثل طبيعة هذه الدلالة؟

لا يقصد من الماضي الزمن، وإنّما الحدث الفعلي للاتيقا، حيث يظهر الآخر على حقيقته، لأنّه يظهر غيرية تؤكد ذاتيتها في الحاضر ولأجل مهمة مستقبلية، أي بالمسؤولية التي يختص بها الأنا قد تم تكليفها له مسبقًا، من ذلك الماضي السحيق والبعيد، فهي مسؤولية تطالب بتنفيذها في المستقبل ، لذا لا يمكن محو هذا الماضي لا من الحاضر ولا من المستقبل لأنّه حرّية لا يمكن التحكم فيها لأنّها ببساطة خارج النظام، فالأثر يزعج النظام وينفلت من النسق، لكنّه يبقى علامة كاشفة تنبع من الماضي الأصل،" فيه سيجد المحقق كل شيء يريده

•- يعتبر الوجه غريبًا عن عالمنا، فهو يتصف بالغرابة absolument étrangère ، لذلك كان المطلق الذي يظهر بشكل مغاير لحقيقة الما-وراء. l'au delà، فكان الأثر دائمًا تعبيرًا رمزيًا عن هذه الحقيقة الغير ظاهرة للوجه:حقيقة اللانهائي- الإله- الآخر- الشخص الثالث- النداء والدعوة commandement، واللانهائي يأمر وراء عدة صفات منها:المطلقabsolu، بخلافl'ailleurs، الغائبية(ترجمة محمد شوقي الزين)illéité.

[1]-Emmanuel Levinas, en découvrant l'existence avec Husserl et Heidegger, p 300.

عن مسرح الجريمة، لأنّه أصل الحقيقة، وفي ظله تكشف الرسالة، يقول ليفيناس:"إن الأثر الحقيقي يزعج العالم، ومعناه الأصلي مستمد من البصمة التي تركها أولئك الذي أرادوا محو آثارهم من أجل تحقيق جريمة كاملة على سبيل المثال"[1]،إنّ نقطة الوصل واضحة وتشير إلى عدم التطابق مع الآخر،فالأثر هو الفصل وإقامة المسافة التي تقيم حدًا بين هوية الأنا وهويته، ليجسد بذلك منطق الاختلاف،إنّ هذه العلاقة يسميها ليفيناس بعد الصلة"–l'irrectitude"[2] حيث يصبح الحضور دالاً على الماضي وعلى حقيقة الآخر، الذي يظهر في وجود يستحيل أن يختزل فيه كحاضر، الأثر هو نفسه تحطيم هذا الحاضر، وحضوره أيضًا يمثل غياب الآخر"، لكن يتم الإشارة إليه ببساطة بعلامة من نظام العلامات أي أنّ نقول كائن يتجلى بدقة بقدر ما هو غائب عن ظهوره، إنّه مظهر في غياب الإنسان.

رؤية الأثر أيضًا لا يقبل المكان، فهو اللا–مكان أصلا، إنّه ما وراء الوجود أو ما وراء الوجه، إذ يقوم بإحضار الآخر عبر نقشه في الوجه، كشخص غريب يستحيل معرفته لأنّه الغائب،"فما وراء الوجه هو الشخص الثالث الذي لا يحدد بـ: العينه، soi même أو الإنيّة "[3]، ويستحيل احتوائه لأنّه المختلف، وهو يعبر عمّا لا يمكن التعبير عنه إذ ينفلت من الانكشاف والظهور، ولكن يتم الإشارة إليه ببساطة بعلامة من نظام العلامات أي أن نقول ككائن يتجلى بدقة بقدر ما هو غائب عن ظهوره، إنّه مظهر في غياب الإنسان. بذلك يكون حضور غير نقي، أو كأنه مكتوب مسبقاً، أو سواء كتبه المرء أم لم يكتبه، الأثر يشير أيضاً إلى archi–trace " بمعنى أنّه يسبق كل حضور (وجود الوعي) مثلما نجده عند "دريدا"Derrida" ضمن archi–écriture" الذي يعني إعطاء معنى جديد مغاير عن كلام قيل أو يقال، مستقل عن كل حضور"[4].

[1]- Emmanuel Levinas, humanisme de l'autre homme, p 66.
[2]- Ibid, p 64.
[3]- Ibid, p 65.
[4]- Michel Blaye, grand dictionnaire de la philosophie, Larousse, p 1031.

لا تتوقف الغيرية فقط مع تجربة الأنا والآخر، وإنّما هناك طرف آخر يمثل غير هذا الوجود،وهو شخصية الغائب" هو" il ويعبر عنه ليفيناس بلفظ illéité وذلك لأجل التنبيه على غيريته المختلفة، وعلى قصور معرفتنا له أو تشبيهه بنا، فيصبح الشخص الثالث شرطًا للعلاقات الاجتماعية، كما يوحي إلى أنّ معاملات الإنسان تتم مع كل إنسان دون استثناء ولو كان غريبًا غير معروف بالنسبة لنا، يقول" فرانسوا راي François Rey،"إنّ استخدام الضمير الغائب il هو طريقة لعدم التسمية، وهو طريقة لعدم إعطاء جوهر، بل للإشارة إلى بعد، ذلك العلو، ولكن ليس ذلك الذي يعلو فوق قريبي، علو أعلى من استقامة وجهًا لوجه"[1].

إنّ الحديث عن الشخص الثالث هو الحرص على المعاملة الحسنة للشخص الغريب المختلف، لذا أصالة للغيرية هي التي لا تتوقف عند أولئك الذين نعرفهم في شخصهم، بل أيضًا في لا شخصيةil ،لأنّه يدل على اللا- شخص non personneوالأثر الذي يتركه فعل الغائبية هو شخصيته illéité التي هي أصل الغيرية ، يعبر عنها ليفيناس بقوله:"يكون الوجه بحد ذاته عبارة عن زيارة وتعال transcendance، لكن الوجه هو مفتوح بشكل دائم، كما يمكن أن يكون في نفس الوقت ما يوجد في أثر الغائبية la trace de l'illéité"[2].

إنّ كانت حقيقة الشخص الثالث غير معروفة فهي أصل للمطلق، أو كما يسميه ليفيناس بـ"المطلق"-" il absolu"، فإطلاقيته نابعة من غيابه وانفصاله وكذلك استحالة ظهوره التي لن تكون إلا أثرًا، أين يمكن فيه للتعالي أن يظهر، لأنّه يستحيل أن نكشفه في الوجود باعتباره حضورًا متجسداً نستطيع أن نراه أو أن نعرفه، فالأخذ بالشخص الثالث"هو" يعني أنّه ينفلت من تحديدي "الوجود" واللا وجود" أيضًا de l'être et de l'étant ، فيرفض أن يقع تحت أي تحديد من سبيل الانطولوجيا:" الهو il هو أنا آخر alter

[1]- jean François Rey, Levinas le passeur de justice, édition Michalon, 1997, paris, p67.
[2]-Emmanuel Levinas, en découvrant l'existence avec Husserl et Heidegger, p 281.

ego(الذي أتوجه إليه بالكلام)، كما أنّه ليس هو أنت" un tu" حسب المعنى الليفيناسي للكلمة. كما أنّه ليس هو وجه الغير الذي يناديني m'interpelle ... وإنّما هو غياب مطلق للتعالي، يرسم كأثر في الوجه، وهذا الأثر يتجلى بشكل مبهم وملغز حيث يفتح مسافة للدلالة باعتبارها كمطلب أخلاقي، فالأثر يعبّر عن الغياب المطلق للهو il"[1].أمّاما يمكن معرفته عن "الهو"- الشخص الثالث يتمثل عبر ظهوره كغياب، والذي يحضر على شكل مطلب أخلاقي، من وراءه أثر للإله حيث التعالي والمقاومة الاتيقية، ففي حقيقة الإله المتعذرة الظهور، مثلما يرى ليفيناس، أنّه في الروحانية اليهودية والمسيحية تأكيد تام على لانهائية لغيابه infinité de son absence، فهو يظهر نفسه عبر أثره والذي لا يمكن العثور عليه سوى في العلاقات الاجتماعية، التي تدعو إلى الإنسانية، والشخص الثالث بغائبيته هو أفضل طريق للكشف عن الإله الذي نحتاج إليه، فغائبية الهو (الشخص الثالث) تعتبر طريق كاشف لأثر الإله المستعصي رؤيته في الوجود أو إدراكه فكريًا، ففي الفصل 33 من سفر الخروج تقول الآية:" إنّ التوجه نحوه(الإله) لا يعني إتباع هذا الأثر الذي ليس بعلامة، بل هو التوجه نحو الآخرين الذين يقفون في أثر الغائبية "[2].

2- تجربة الأثر واللانهائي:

تتعذر حقيقة ظهور الإله حسب ليفيناس عن طريق العلاقة مع الآخر، وبالتالي المفهوم يستقل عن التعريف والتحديد الأنطولوجي له، كما ينفلت من المعنى و اللا-معنى، كما أنّا لإله ليس فكرة ولا موضوعًا يمكن إدراكه بالطريقة الديكارتية (أنّ الإله مجرد فكرة ، فيمكن الاستدلال عليه بأدلة عقلية تثبت وجوده) التي ترى حضور اللانهائي في النهائي، فالأثر متوقف على إدراك حجم المسؤولية على الغير، لأنّ الأثر هو تمثل الإله من خلال وجه

[1]- Rodolphe câlin, François David Sabah, le vocabulaire de Levinas, pp 51-52.
[2]-Emmanuel Levinas, humanisme de l'autre homme, 1972, pp 69-70.

الآخر، ولذلك يقول ليفيناس لا يجب أن نعتبر هذا الأثر على أنّه:"مجرد كلمة مضافة، بل هو القرب من الإله داخل وجه الآخر القريب"[1].

إنّ نمط التفكير في اللانهائي يتم في داخل ذواتنا، لكن ذلك لا يتم بطريقة عيانية concrétude مع الإنسان الآخر، فالوجه يحمل صورة من مصدر غير معروف، ولا يمكن استعابه، يمكن فقط فهم اللغز عبر الوجه:" الذي يطلبنيme demande والذي يأمرني باعتباره إشارة للإله، على نحو شعور أخلاقي يتطلع للإله المتعالي:" يجب أن تكون المسؤولية دون الانشغال بالمعاملة بالمثل، فأنا أجيب على الغير دون أن أشغل نفسي بمسؤوليته تجاهي، فهذه علاقة دون ارتباط، وحب القريب هو حب دون ايروس، لأنّه لأجل الإنسان الآخر وبالتالي للإله"[2]. والإله يمكن معرفته لانهائيته الحقيقية باعتبارها أثر لماضي يتجلى في الآخر المطلق.

تحمل تجربة حضور الآخر المطلق تأويلاً لظهور الاستقامة الإنسانية لوجهه، الذي ليس فقط عبارة عن حضور، هو كذلك أثراً يتولد من كل علاقة قربة proximité مع الوجه، فالإله ليس نمط معين لهذا الوجه، هو خلاف الوجه وخلاف فعل الظهور أو الكشف، فالإله يتميز بالغياب واللانهاية infinité، وهو ليس علامة ظاهرة ولا معنى بارز، وهو الغياب المطلق، فالطريقة الوحيدة لإدراك أثره هو التوجه للآخر المطلق.

يُعد مفهوم الأثر أساساً لفهم تجربة الما وراء في فكر ليفيناس، فالمفهوم يحمل دلالة ميتافيزيقية، أشبه بشخص ما قد رحل وقد ترك من خلفه أثرًا، قد اختفى،أو قد يكون لشيء ما غير معيّن تحديدًا، سواء كان لشخص ما أو لشيء ما، أو هو لاشيء من هذا القبيل، الأثر يكون حاضرًا بشكل دائم كرمز أو كعلامة، وهو إيحاء إلى ماض لا يُرى إلا من خلال الوجه، فالوجه يكشف حضورًا للإله مختلف عن شكله ونمطه، أي رؤيته التي تكون فقط على

[1]- Emmanuel Levinas, un dieu homme, in entre nous, essais sur le penser-à- l'autre, Bernard grasset, fasquelle, paris, 1991, p 73.
[2]-Emmanuel Levinas, de dieu qui vient a l'idée, p 13.

شكل أثر، يذكر "سالمومون مالكا"Salomon Malkaفي عمله حول ليفيناس: الحياة والأثرla vie et la trace، كيف يمكن فهمه من الناحية الميتافيزيقية رؤية الإله على شكل أثر،"ففي الفصل الثالث والثلاثون من الأصل la genèse, chapitre 33 طلب "موسى": أرني مجدك montre moi ta gloire، فأجابه الرب:سترون أثري أمّا عن وجهي فهو غير مرئي•"[1].

في النص السابق إجابة الرب على طلب موسى بعدم الرؤية على شكل جسم أو صورة فكانت الإجابة بالرؤية التي تكون فقط على شكل أثره، وهنا يصبح الأثر كشفاً للترنسندنتالي وحقيقة تتم فما وراء الوجه، وهنا يمكن الحديث عن فينومينولوجيا للإله الغير مرئي، الذي يجد مجده من خلال اختفاءه، ضمن ماضي لا يشبه ماضي الزمن الذي يمكن تأمله في الحاضر، فهو زمن ميتافيزيقي يشير إلى استحالة تمثله أو استدراكه، ولهذا فالإله يملك قيمة في غيابه أكثر من حضوره:"فمرور الإله يكون دائمًا مرور من ماضي لا يمكن أبدًا أن يصير حاضرًا، ماضي منفلت من الزمن"[2]، وهنا يمكن استنتاج قراءة دينية تمنع وتحرّم تشبيه الإله بالوجه البشري، وأيضًا محاولة تخيّله على شاكلة صورة، ومنه نفهم كيف يتعامل الدين مع فكرة الصورة وذلك :

-تعذر رؤية الإله له غاية تيولوجية تحرّم التشبيه.

ا-لطريقة الوحيدة لرؤية الوجه لا تتجلى عيانيًا وإنّما أثرًا وماضٍ سحيق جذري.

إنّ علاقة الأثر باللانهائي(الإله) تتجلى في حل المفارقة الموجود بينهما، فمن جهة الإله يتميز بالغياب إلاّ أنّه يحضر عبر أثره الذي نلتمسه على شكل سلطة يفرضها علينا

•إنّ فكرة منع رؤية صورة الله لا تقتصر على اليهودية أو المسيحية فحسب، ففي القرآن الكريم ورد نص مشابه للقول العبري في خطاب موسى، حيث تم رفض طلب سيّدنا موسى وذلك بقوله تعالى:" وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ.الأعراف الآية 143.

[1]- Salomon Malka, la vie et la trace, p 98.

[2]- jean François Rey, le passeur de justice, p 66.

الوجه، ومن جهة أخرى الأثر أيضًا لا يُرى، فهو عبارة عن ماضي، فكأنّ تعذر الوجه عن الظهور دلالة واضحة على استبدال ذلك الظهور بتعالي اللانهائي الذي نجد أثره كوصايا إتيقية، وبالتالي القيمة الأساسية التي يمكن أن نستخلصها من الأثر تكون على خاصيتين:"أولا التمييز الواضح بين اللانهائي وأثره كموقع لوظيفته، ثم الطابع الغير واقعي للمؤسسة الأخلاقية"[1].فدلالة الوجه استثنائية، وتتمثل في أمره تجاه الأنا كم لو أنّ اللانهائي هو الذي يأمر، إذ ينص على المسؤولية التي تكون بمثابة استدعاء للرد على النداء وذلك من خلال كلام غير موضعي non thématisable (غير مكتوب أو مجسد، غير مدرك، لا يرى)، وبالتالي فإنّ الإجابة عبارة عن رد مباشر على شخص غير مرئيinvisible، يأتي إلى الحاضر(اللانهائي) ليترك أثرًا يجسد تعاليم ووصايا تُعنى بالإنسانية، إذ يحضر به شخصياً إلى الحاضر:"وهو أثر يلمع كوجه الجار، في غموض، فهو اللغز أو الاستثناءex-ception الخاص بالوجه- القاضيjuge et parti "[2] .

يمكن لنا فهم حقيقة الأثر من خلال الظهور المقدس للوجه، أين يتجاوز الظاهري الحسي إلى ما وراء العالم l'au-delà، وإلى وراء كل حقيقة ظاهرة، فالعلاقة مع الأثر تشبعه العلاقة مع الغائب مع الإخفاءdissimulation، فما وراء الوجه ينفلت منكل كشف، وماهية الأثر أصلها قلق أو انزعاج أو بمعنى محو مالا يمكن استعادته، فبهذا يكون إيحاء الوجه على الأثر من خلال الأمر الذي يصدر منه بشكل ترنسندنتالي-trans cendance•، ليكون بذلك معبرًا عن حقيقة "اللانهائي"، فليفيناس يرى أنّ:"الكائن المتعالي être transcendant هو الوحيد الذي يمكنه ترك الأثر"[3]أو نمط "شخصية

[1]- Yasuhiko Murakami, Levinas phénoménologue, p 172.

[2]- Emmanuel Levinas, autrement qu'être ou delà de naissance, biblio essai, livre de poche, édition nijhoff, 1978, p 26.

• يستعمل ليفيناس مفهوم trans-cendance للدلالة على أنّه ليس المقصود منه التعالي الذي ينظر إلى الآخر والشبيه بنفس النظرة، فمفهوم الترنسندنس أو التعاليtrans-cedance ليس ربطًا بين الآخر والشبيه عن طريق المحايثة كما أنّه ليس رفضًا للتعالي transcendance وإنّما هو علاقة مع الآخر المختلف، مع الفريد، مع الشخص الثالث مع اللانهائي..." يُنظر: Emmanuel Levinas, humanisme de l'autre homme, p 64.

[3]- Emmanuel Levinas, en découvrant l'existence avec Husserl et Heidegger, p 280.

الشخص الثالثil، الأثر حسب ليفيناس هنا يدل على نقش الوجهse grave في المرئي فيصبح حدث الظهور باعتباره اضطرابًا في هياكل كل شيء سيظهر.

3- الأثر والخلق la trace et la création:

تحمل تجربة حضور الآخر المطلق absolument autre تأويلاً لظهور الاستقامة بالغياب وباللانهائي، فالأثر ليس علامة ظاهرة أو معنى بارز، الطريقة الوحيدة لإدراك أثره هو التوجه للآخر المطلق.

تنفلت التيولوجيا من الاختزال القائم على الانطولوجيا، فالحكمة القائمة على الكتاب الحق تأتي من الكتاب المقدس أمّا اللغة العبرية حسب "ليفيناس" لها امتياز الإعلان عنها ومضمونها يتمثل في الحكمة التي تتجسد في :"مخافة الرب"، ويستدل "ليفيناس بموسى ابن ميمون"Maimonide إذ ترى كاترين كاليCatherine Chalier:أنّه إن كان قد عمد "موسى ابن ميمون" إلى الأخذ بالحكمة الناتجة عن الكتاب المقدس ومقارنتها بالفلسفة فقد انتهى في نهاية المطاف إلى الادعاء من شأن العقل المستوحي من التعالي كونه الأعلى شأنًا من العقلانية، لكن هذا لم يكون سببًا لجعل "ليفيناس" يقارن بين القدس وأثينا من أجل إرشاد الضائعين في عصره مهما كانت مأساوية ويائسة للغاية، ولم يقترح إخضاع الفلاسفة لسلطة الأنبياء في حالة الصراع النظري"[1]، وهذا ما يبرزه ضمن البحث في إشكالية خلق الوجود والإنسان ومشكلة الحرية.

تتضمن مشكلة الخلق ترك أثر أو صورة، لأنّ إشكالية الخلق عبارة عن "إيجاد"، وخلق فالكائن المخلوق هو من يعتمد في وجوده على خالقه أو صانعه:"لأنّه الوجود الذي يعتمد في وجوده على الآخر، ولكنّه كجزء منفصل عنه، الخلق من العدم يرفض أي نظام، ويطرح كائنًا خارج أي نظام، حيث تكون إمكانية لوجود حريته"[2]، وهنا يكون أثر الخلق،فأساس

[1]- Catherine Chalier, la trace de l'infini, p 11.
[2]-Emmanuel Levinas, Totalité et infini, p 108.

الخلق في النهاية يكون مقابل لانهائية ولا محدودية الخالق، المقارنة هنا تتم وفق مبدأ الانفصال الذي ليس سلباً بقدر ماهو رغبة في اللانهائي،فما المقصود بهذا الانفصال وما علاقته بالرغبة؟

إنّ انفصال النهائي عن اللانهائي هو البحث عن اللانهائي ضمن النهائي حيث يصبح الإنسان صورة للخلق وأثرًا للانهائي، ففعل الخلق يدل حسب" ليفيناس" بأنّ الإله قد خلق الإنسان باعتباره كائنًا قادرًا على البحث عنه أو سماعه من بعيد، من الانفصال أو من الإلحاد"[1]، "والإلحاد الميتافيزيقي"•يشير إلى علاقتنا بالميتافيزيقي التي تتضمن معنى الاتيقي وليس المعنى التيولوجي الذي يتناول الإله كموضوع قصد معرفة صفاته"[2]،لأنّ الإلحاد الحقيقي هو الذي يسعى إلى توطيد علاقتنا بالإله الحقيقي، التي تترجم بتعالي العلاقات الروحية الاتيقية انطلاقا من الوجه:"فجوهر الوجود المخلوق يكمن في انفصاله عن اللانهائي الفصل ليس مجرد نفي ...إنّها تنفتح على وجه التحديد على فكرة اللانهائي"[3]. فالخلق هو إمكانية بشرية، أو هو جوهر واقعي، ففي الخلق نص عبري cheskra قال:"قد كتب(مزمور 9.76)، من السماء العليا سمعت حكمك، ارتعبت الأرض وبقيت بلا حراك"[4]، وهذا كدلالة على قوة كلمة الرب في إعطاء الوجود، وبالتالي معنى الخلق هو تحقيق للتوراة (كلمة الإله–الخلق) ثم إتمامه بالاتيقا، بمعنى تحمل المسؤولية أمام الخلق ، فرفض التوراة هو إعادة الوجود للعدم، ولعّل الإنسان هو تجسيد لأفضل صورة خلق، فهو يشكل حدث الوجود يقول ليفيناس:"فالمجد la gloire هو وجود الغير autrui، أمّا مجد الوجود فيمر دون أن

[1] - Emmanuel Levinas , totalité et infini, p 31.

•– يرى ليفيناس أنّ علاقة الانفصال بين الإنسان والإله تسترد بعلاقة إنسان بإنسان، فكان الإلحاد توجهًا جديدًا إلى لاهوت أخلاقي يمكننا من معرفة الإله عبر الإنسان، و لكن لم يعتبر ليفيناس الانفصال سلباً لأنّه ينفتح على فكرة الإله التي تتجلى على شكل أثر، وقد تجاوز بذلك التفسير القبّاليcabalistes الذي يصر على عدم الفصل بين الخلق والمخلوقات: يُنظر: Catherine Chalier , trace de l'infini, p 28.

[2]-Ibid, p 76.

[3]-Emmanuel Levinas, totalité et infini, p 108.

[4]- Emmanuel Levinas, quatre lectures talmudique, édition de minuit, 1968, p88.

يلاحظه أحد فهو يبدو مثل الوفاة- القدرfatalité، فمجده يظهر في الآخرين، وهذا يعني أنّه يظهر كخلق création"[1].

تتمثل طبيعة الخلقcréature حسب القراءة الليفيناسية بأنه موضوع على مسافة مع الخالق والرابط بينهما هو" الكلمة" أو"صرخة" فكلمة الإله تصرخ في كل مكان، وهنا إشارة إلى الكلمة الخلاقة للإله التي تأمر بالخلق، إنّها تدعو المخلوقات لأن تكون، أن توجد، أمّا الإله فسيظل خارج السماوات والأرض، ففي رواية سفر التكوين :" الإله ينظر إلى مخلوقاته ويعلن أنّها جيدةtov ما يعني أنّ الإله يفرح بها، وأنّ الإنسان التوراتي لن يضطر للهروب منها، ما يعني أنّ الخلق يتم الحفاظ عليه في الوجود ويتجدد كل يوم، هذا ما أشار إليه موسى ابن ميمونMaimonide من خلال التأكيد على أنّ الكون لم يترك للصدفة والضرورة لأنَّ هناك سر- نية تعمل هناك"[2].

4- الأثر باعتباره حدثا للترنسندنتالي وللانهائي.

إنّ فكرة اللانهائي لا تمثل موضوعًا للفكر أو مجالاً لمبحث الوجود كما سبق وأن حددها ليفيناس، فالبحث عن اللانهائي لا يحتاج إلى أدلة عقلية أو براهين ميتافيزيقية كما سبق إلى تحديدها ديكارت•، فرأى أنّ إمكانية معرفة اللانهائي تكون "بالرغبة" désir"،فما هي حقيقة الرغبة وما علاقتها باللانهائي؟

[1]-Emmanuel Levinas, œuvres 02, p 96.

[2]-Catherine Chalier , trace de l'infini, Emmanuel Levinas et la source hébraïque, cerf, 2002, p 24.

•- يرفض ليفيناس الطريقة الديكارتية(1596- 1650) التي رآها ضرورية في معرفة اللانهائي، خصوصًا أحد أدلته العقلية القائلة أن الفكر لا يمكن له أن ينتج فكرًا يفوقه، وبالتالي كان علينا أن نضع هذا الشيء(الإله) فينا، وأن نعترف بإله غير محدود وضع فكرته في أنفسنا، لا يرفض ليفيناس هذا فقط بين أيضًا التناقض بين ما يسميه الواقع الموضوعي والحقيقة الشكلية للإله ،أو وضع فكرته في أنفسنا، وهنا ديكارت يضع معرفة الإله ضمن عملية التأمل والمعرفة، فكان رد ليفيناس بإعطاء إمكانية إدراك حقيقة الإله التي تذهب بنا إلى ما وراء الوجود والماهية بالرغبة الميتافيزيقية التي لا تشبه الحاجة التي يمكن إرضاءها.... Emmanuel Levinas, éthique et infini, p 86.

لا تشبه الرغبة الحاجة le besoin، لأنّها لا تتعلق بالرغبة الحسّية أو البيولوجية التي نرضيها ونحققها بالإشباع، كالمأكل والملبس التي يمكن أن تحقق لنا السعادة والرضى، فهي لا تتعلق بالإحساس ولا بالعاطفة، فالرغبة تتعارض مع عاطفة الحب والجوع... فالرغبات التي يمكن إشباعها تشبه الرغبة المتمثلة: في خيبات الرضى أو زيادة الفراغ الذي يفضح الشهوة، إنّهم مخطئون في حق الرغبة. الرغبة الحقيقية هي التي لا يحققها المرغوب فيه، يل يفرغها، إنّه لطف."[1]

إنّ الرغبة التي يقصدها "ليفيناس" هي "الرغبة الميتافيزيقية"، وهي مقاس لانهائية اللانهائي ففي الرغبة الميتافيزيقية نجد فكرة اللانهائي التي تعني أن تفكر أكثر مما تعتقد، وأكثر ما تعتقده هو هذه الرغبة ذاتها باعتبارها مقياسًا للانهائية اللانهائي infinité de l'infiniوالذي نجد أثرة عبر علاقاتنا مع الآخر، وبالتالي تقدونا إلى ماهية ما هو مخالف للوجود l'ailleurs (الإشباع) نحو حقيقة فما وراء- وبخلاف autrement (الإله)، و"هنا الرغبة لا تنفصل عن التعالي الذي نجده في الآخر، حيث يقودنا إلى المطلق الآخر absolument autre "[2]، إذن المطلق الآخر هو الغير وهو اللانهائي أو هو كل ما لا يظهر في الوجه، الرغبة إذن تنفي حقيقة الظهور والإشباع، إلا أنّها تقتات على جوعها وعلى المرغوب فيه، الذي لا يُرى، إنّها رغبة تتعلق بالسلبيةpassivité حيث الشعور بالنقص أو الحاجة إلى إدراك اللانهائي الذي قد لا يكون إن لم نستجب لكلام الإنسان الآخر، وبالتالي الرغبة الحقيقة عند "ليفيناس" هي الرغبة في الآخر اتيقيًا، فأيُ فشل في العلاقة الاتيقية هو فشل للرغبة، أمّا نجاحها هو سبيل الارتفاع نحو اللانهائي، يقول ليفيناس:" إنّ استياء الضمير الأخلاقي ، وخيبة الأمل أمام الغير يتزامن مع الرغبة...الرغبة في اللانهائي لا تنطوي على الرضا العاطفي في الحب وإنّما في صرامة المطلب الأخلاقي،وصرامة المطلب الأخلاقي لا يفرض بوحشية وإنّما بالانجذاب والارتفاع الغير محدود للكائن ذاته،الذي يمارس لصالحه

[1]- Emmanuel Levinas, en découvrant l'existence avec Husserl et Heidegger, p 242.
[2]-Emmanuel Levinas, totalité et infini, p 21.

الخير.فالإله يأمرني فقط من خلال الناس الذين أتعامل معهم"[1].فاللانهائي عند "ليفيناس" يرتبط بشكل مباشر بالترنسندنتالي transcendance، وهذا التعالي الخاص بالإله لا يتجاوز العالم ولا ينتمي إلى "ما وراء العالم"، فبالرغم من أنّه لا يُرى أو يُدرك إلا أنّه موجود في هذا العالم ومعنا، فهذا ما يقصده ليفيناس بقوله:" مجد الإله هو هذا "خلاف الوجود"autrement qu'être "، فهو يأمر(اللانهائي)"[2]. فالأمر هو أثر لسلطته، وهذا الأمر الذي يأتي من الوجه تتجلى فيه القداسة والسلطة، فطلب الإجابة بدورها تنهل من أثر الترنسندنتالي واللانهائي.

يمكن للإنسان بلوغ حقيقة التعالي واللانهائي فقط من خلال العلاقات الاجتماعية التي تترجم إلى معاملات إنسانية، تبد أمن علاقة الذات مع الآخر كعلاقة تذاوتية، ترفض أن تجعل من الآخر موضوعًا يمكن تناوله، وهكذا يصبح الوجه معبرًا عن حقيقة الما وراء l'au delà ومُعلنًا خروج الذات من نرجسيتها سعياً لحقيقة اللانهائي، فلا يمكن حسب ليفيناس" بلوغ اللانهائي إلا بالنظرة الأخلاقية regard moral ، فهو غير معروف، كما أنّه في علاقة اجتماعية معنا"[3].

أصبحت النظرة الأخلاقية أو الاتيقيا هي المنفذ الأول إلى فلسفة الدين عند ليفيناس، إذ لا يمكن بتاتًا تصور الإله خارج العلاقات الإنسانية، وهي القراءة التي يقدمها في الحقيقة اليهودية التي يريد للتجربة الدينية أن تكون على شكل ممارسات مع الإنسان حيث يقول:"إنّه لا يمكن للتجربة الدينية- على الأقل التلمودية- أن تكون سابقة عن التجربة الأخلاقية moralité"[4]، ويكون بهذا معلنًا على أسبقية الأخلاق على الدين أو يمكن للدين أن يمر فقط عبر ما هو إنساني، وبالتالي يمكن التماس أثر غياب الإله عبر تعاليم enseignement الوجه التي تجسد غيابه بحضور اتيقي، وهو ما يجعل الآخر متعاليًا بهذه

[1]-Emmanuel Levinas, en découvrant l'existence avec Husserl et Heidegger, p 246.
[2]-Emmanuel Levinas, éthique et infini, pp 106-107.
[3]- Emmanuel Levinas, difficile liberté, p 24.
[4]- Emmanuel Levinas, Quatre lectures talmudique, p 35.

السلطة التي يملكها، ليجعل حقيقة الإله ممكنة فقط اتيقيًا، لأنّ التوجه إليه allant à dieu لن يكون إلا إذا كنتُ معيّنا أخلاقيًا بتوجهي نحو الشخص الآخر، أين يصبح الاقتراب من الغير(النهائي) مقترنًا بأثر اللانهائي، الذي لا يمكن له أن يظهر فعليًا، فهو الإله الذي يصبح في غيابه أكثر من حضوره، فليفيناس يعتقد أنّ:"فكرة اللانهائي الموجودة فينا l'idée-de-dieu-en-nous- أو علاقتي مع الإله- تأتي من خلال صلابة علاقتي مع الإنسان الآخر l'autre homme، في العلاقة الاجتماعية socialité التي هي مسؤولية تجاه القريب prochain"[1].

إنّ الميتافيزيقا الليفيناسية باعتبارها فلسفة أولى تجعل الاتيقا متاحة فقط من ناحية اعتبار الآخر "وجهاً"،واللانهائي إشارة إلى البرانية المطلقة للوجه أو غير هذا الوجود الظاهر أو كما سبقت الإشارة إلى أنّ اللانهائي يتجلى شكل أثر، وهذا الأثر ليس غير المقاومة الاتيقية، إذ يصبح اللانهائي سلطة للوجه وحماية لهشاشته، الباعث على العنف، فيكون هو سلطة وحماية تأتي على شكل تعاليم تمنع أي شكل من أشكال العنف الاتيقي الممكن ارتكابه، فالوجه دون اللانهائي لا يملك سلطة ولا حماية ولا حتى هوية تخصه.

سبق "لليفيناس" أن نشر مقالا بعنوان "إله إنسان"un dieu homme " [2]، يفسح فيه المجال للتفكير في الإله خارج اللاهوت، وخارج الوجود، لأنّ الإله ليس أكثر من الأثر الذي يسجل فيه حضوره غياباً وغيابه حضورًا، يقول ليفيناس:"أعتقد أنّ تواضع الإله • l'humilité de dieu في حدود معينة يتيح لنا التفكير في العلاقة مع التعالي

[1]- Emmanuel Levinas. De dieu qui vient à l'Idée, p 113.

[2]-Emmanuel Levinas, un dieu homme-in entre nous, essais sur le penser-à- l'autre, Bernard grasset, fasquelle, paris, 1991.

•- يعود ليفيناس إلى سورين كيركيغارد(1813- 1855، فيلسوف ولاهوتي دنماركي) من خلال مفهوم الترنسندنتالي الذي قدمته التيمة الإنجيلية le thème biblique فما يخص تواضع الإله l'humilité de dieu، حيث يتساءل كيف يمكن للإله أن يرفع تحجبه، وعمّا إذا كانت موضوعية المؤرخين والفيلولوجيين والسوسيولوجيين الذين يُلوّنونها بكل أشكال وأسماء التاريخ.... والتي يختزلونها في نظام معين فيه جملة من العناصر لا معنى لها؟ كما يمكننا التساؤل عما إذا لم يكن من الواجب أن تأتي الكلمة الأولى في الوحي من الإنسان كما هو الحال في الصلاة اليهودية القديمة حيث يتقدم المؤمن بالشكر، ليس بسبب ما يحصل عليه، بل بسبب هذا الشكر نفسه؟ لأنّ التواضع

بمصطلحات غير مصطلحات السذاجة، أو وحدة الوجود، وأنّ فكرة التعويض- وفق وجهة معينة- إنّما هي لازمة وضرورية لفهم الذاتية"[1]، فالتواضع هو رفع التحجب عن الإله، وتواضع الإله ليس قصده غير البحث عن إله يقف إلى جانب المسكين، ومن لا وطن له، ويقف بجانب الأرملة واليتيم، وتلك هي المسؤولية التي يجب أن تقرأ من وراء الأثر، فبالتالي قد أصبح تعذر إدراك حقيقة الإله بالبراهين العقلية والوجودية ممكنًا من عبر البحث عن انطلاقا من علاقات تؤمن بالاعتراف والحب، تحترم وتحرص بحقوق الغير، فالذاتية هي الطريق الوحيد الذي يكشف لنا عن تواضع الإل في الوجه البشري، الحامل لكل معاني السلطة والقداسة والإمرة، التي تحتم فعل المسؤولية قبل الحرّية، وتدعو إلى نظام ترنسندنتالي خاص يبدأ من أثر الإله الذي يُلتمس على الخطاب الاتيقي للوجه الإنساني.

قصده البحث عن إله-إنسان، إله للفقير والأرملة واليتيم، إله للغريب وللعلاقات الإنسانية. Emmanuel Levinas, un dieu homme, p p 72-73.

[1]-Emmanuel Levinas, entre nous, p 70.

المبحث الثاني: الذاتية والوجه

"...هذه المسؤولية بما يتجاوز ما قد أرتكبه أو لا أرتكبه تجاه الغير وعن كل ما يمكن أن أفعله، كما لو كنت مكرسًا للشخص الآخر قبل أن أكون مكرسًا لنفسي..."

ليفيناس، الاتيقا باعتبارها فلسفة أولى...

1- الذاتية والحرية وعلاقتهما بالمسؤولية

تعتبر الذاتية la subjectivité من المفاهيم المركزية في الاتيقا الليفيناسية، لأنّها أصل لهوية الذات، كما أنّه لا يمكن الحديث عن المسؤولية دون العودة إليها، فالأنا يصبح" ذاتًا un soi " متى كان مسئولاً عن الآخر المطلق، والذاتية دائمًا تكون ضد انتظار مسؤولية المقابل أو الرد بالمثل وبالتالي فإنّها تكون مجانيةً تسعى لفعل الخير، وأيضًا تكون حرصًا على إقامة علاقة طيّبة مع الآخر فتسعى دائمًا لتقديم الأفضل، فالذاتية التي تنطلق من الأنا تهدف دوماً إلى إقامة السلم مع الإنسان المختلف عنه، وبهكذا شكل تمثل مبادرة للغيرية دون أنانية ممكنة، كما تنتهي هذه الذاتية إلى علاقة تذاوتية (أنا مسئول عن الآخر) باعتبارها علاقة طيبة وخير، لأنّ الآخر هنا ليس عدوّا، أمّا اللغة الأصلية لوجهه تتجلى عبر بؤسه وشقائه، وفي أمره الاتيقي commandement éthique الذي يطلب الاهتمام والمسؤولية على عدم إلحاق الأذى والضرر به، ذلك هو سبيل القداسة، يقول ليفيناس:"بل إنّ رفض هذه المسؤولية، وحقيقة ترك هذا الاهتمام بالابتعاد عن الإنسان الآخر هو الشرle mal"[1]

إنّ الذاتية في المسؤولية تعني أنّه لا توجد مسؤولية إلا للغير أو لأجله، فهي لا تخص الأنا، ويتولد هذا الشعور بالمسؤولية بشكل "مباشر ومتلازم" مع نظرة الغير للأنا، أي أنّ رؤيته هو سماع الأمر بالمسؤولية،" فهي ليست مسؤولية لأجل الذات pour soi، فهي مبدئيًا لأجل الآخر initialement pour un autre"[2]، أي أنّ هذه المسؤولية مخصصة حصريًا للإنسان الآخر فهي لغير الذات، لأنّها لا تعود عليها بالنفع، ويكون الاقتراب دلالة على رابط الإلزام، فيكفي على الذات أن تتقرب من الآخر لتشعر أنّها مسئولة، فمثل هذا الشعور بالمسؤولية هو الرابط الوحيد بين الذات والآخر. بالشكل الذي يجعل الأنا أوّل من يلبّي النداء، فهو دائمًا في حالة استعداد وانتظار للأمر الصادر، يقول ليفيناس:"فأن تقول مثلاً ها أنا ذا" me voici" معناه أن تُقدم أي شيء للآخر، فأن تعطي معناه أن تكون روحًا بشرية، ذاك هو المقصود"[3]، وبالتالي الروح الإنسانية تنسجم

[1]-François Poiré, Emmanuel Levinas, qui êtes-vous, p 102.
[2]- Emmanuel Levinas, éthique et infini, p 93.
[3]-Ibid, p 9.

مع العطاء، والعطاء بدوره هو قبول الطلب والرد على النداء، لأنّ التقرب من الغير يعني الاستماع إليه، فهو لا يعني شيئاً آخر غير الإنصات، الغير هو من يأمرني بأن أتفرغ لخدمته، وعلى هذا الشكل فقط يتولد الطابع الدلالي signifianceللوجه الذي يكون "أمرًا•" ordre، ليكون من اللزوم تنفيذه، أي أنّ هذا التنفيذ يتم على الأساس اعتبار هذا الآخر "سيداً"le maitre، بينما الأنا هو المنتخبl'électeur لخدمة هذا السيد، فما المقصود بهما؟

أولاً: السيّدle maitre: يتمثل الأصل في المسؤولية بالرد على أمر الآخر أو ندائه باعتباره سيّدًا، فالسيّادة تفرض تعاليم enseignement موجهة نحو الذات، وأوّل تعاليم المعلم –حضور الآخر– أي حضوره باعتباره معلمًا أو سيدًا، يقول ليفيناس:"إنّ استجوابي يتماشى مع تجلي الآخر من خلال سمو الوجه الذي تأتي منه اللغة، فهذا الذي نسميه بلفظ التعاليمenseignement"[1] فطابع الاستجواب هو الذي يميّز السيّد، فحينما نتكلم عن السيّد أو الآخر فنحن أمام وجه، والوجه طبعه السؤال، فالظهور المطلق للآخر هو الوجه الذي يستدعي الأنا ويأمرها من خلال عرّيه وبؤسه يقول ليفيناس:" إنّ طابع استجواب الذات يعني استقبال الآخر المطلق على شكل وجه يسأل ويستجوب"[2]، والسيّد بالطبع يعني الصفة التي يتميز بها الغير عن الذات، كسيّد بسلطته، فهو يتسيّد لكونه ذلك الفقير المحتاج، والضعيف والأرملة واليتيم، ويجسّد هوية كل شخص لديه معاناة، والمعاناة دائمًا تتطلب الالتزام لأنّنا حسب ليفيناس كبشر نعي جيّدًا ماهيتها، إنّ هذا الآخر يوّجه أمره وخطابه لأجل مساعدته وتقديم الإعانة له، وإقامة العدالة، واحترام اختلافه، "فليفيناس" يرى أنّ:"العدالة ترتكز على معرفة أنّ الغير هو سيّدي"[3]، وبهذا الشكل يكون السيّد صورة للغير في انفصاله، وحريته، لأنّه الأجنبي.

•ordre:الأمر هو نمطا الوجه ذاته، فالوجه يتكلم، ومتى اللقاء بالآخر كان الوجه هو الهوية التي تمثل، فرؤية الوجه تقتضي الاستماع إلى نداءه وأمره فهو بذاته أمرًا وماهية الوجه الأساسية هي الخطاب يقول ليفيناس:" إذا كان للوجه شيء معلق به فهو الطريقة التي يشير بها لأيّ علامة، إنّ هذا الأمر هو المدلول الخاص بالوجه نفسه".Emmanuel Levinas, éthique et infini, p 94

[1]-Ibid, p 185.
[2]- Emmanuel Levinas, liberté et commandement, p 70.
[3]-Ibid, p 68.

ثانيًا: المنتخب l'électeur:أهم دلالة يحمّلها السيّد للأنا هي صفة الفردية l'unicité، فالأنا يعتبر وحيدًا unique في مسؤوليته التي لا تستبدل أو تعوض، يستعير ليفيناس بنص من الكتاب المقدس حول هذه المسؤولية الخاصية بالفرد والذي يقول:" أنت وحدك من تعرفت عليه في جميع عائلات الأرض، ولهذا سأحسب كل عيوبك"،Amos, 3, 2"[1]، فليفيناس هنا يهتم بالفرد الذي يتم اختياره في ذاتيته لتكون له مسؤولية خاصة على حريّة أخرى، فلا يمكن له تجاهلها مهما كلّفه الأمر، لأنّه ببساطة المنتخب لوحده فليس معه غيره حتى يتحمل معه المسؤولية، فالانتخاب يُكرس الذات للآخر، فتفقد بذلك حرّيتها، وفي المقابل يجعل الأنا مسؤوليته غير قابلة للمساومة، فيسمي ليفيناس هذه الحالة بالسلبية passivité، وتعني أن تشعر الذات بصدمة الموقف حيث تستسلم بشكل كامل للغير، وهذا لأنّ الغاية تكون بإدراك حقيقة الإله، يقول ليفيناس أنّ:"الانتخاب يقود إلى المعاناة من أجل الآخر ولأجله، على أن آخذ مكان الغير حتى في موته، بسلبية أمام الحرّية، فهي مكان الخير حيث يجعل الإله نفسه مسموعًا، وحيث يأتي إلى الفكر"[2].

والمعاناة هنا هي تلبية النداء رغمًا عن الذات، لأنّه في نهاية المطاف الذات تُلبي النداء وتسمع لأوامر الإله التي تقصده، فالأمر الإلهي الأساسي للذات هو عدم ترك الآخر وحيدًا في معاناته، بل الأكثر من ذلك هي ضرورة الاعتراف بأحقية الآخر بمكانته الخاصة، التي يتمتع فيها بحريّه التامة، فهو الشخص الوحيد الذي بإمكانه التحكم في المكان، وإصدار الأوامر، فأيّ محاولة للتدخل في مصالحه يعد اغتصابًا حقيقياً له وبالتالي هدم لأيّ إمكانية لقيام العلاقة الاتيقية وفق شروطها الكاملة، تقول "جوديث بتلر":"فأن تكون ملزمًا بالآخر الموجود فعلا في مكان المرء يعني بصورة محددة إدراك أنّ هذا المكان هو موقع العلاقة الأخلاقية هذه، وأنّ المطالبة التي تلزم المرء لاحترام وجه الآخر، وكذلك لعدم القتل وعدم المطالبة بالسيطرة الحصرية على المكان"[3].

[1]-Emmanuel Levinas, au-delà du verset, lecteur et discours talmudiques, les édition de minuit, paris, 1982,p 172.
[2]-François Poirié, Emmanuel Levinas, qui êtes-vous ?, p 29.
[3]- جوديث بتلر، مفترق الطرق- اليهودية ونقد الصهيونية، ص 103.

تعتبر الحرية أهم عناصر الذاتية، فزمن رؤية الوجه يرتبط بوعي المسؤولية، والتي لن لا تكون إلا بحس قبلي، من ماض سحيق قد تم من قبل، هذا الماضي يخبر الذات بمسؤوليتها على الآخر التي لا مفر منها، حيث تكون الذات في هذا الوضع مجبرة غير مخيّرة، إنَّها المسؤولية التي تسبق الحريّة، بل "إنّها أقدم من كل حرية"[1] مثلما يسميها "ليفيناس"، فهذا هو جوهر الذاتية، وجل نداء الوجه، لأنّ الذي "يأمر" معناه يتجاوز الحاضر، فهو وعي بالماضي الذي يعود إلى حقيقة اللانهائي، فالذات تفقد حرّيتها وتصبح ضمن رهان الآخر، تحت رحمته، ولا يبقى لها غير الإحساس بسلبية الموقف وهاجس المسؤولية الثقيل، يقول "ليفيناس" في عمله بخلاف الوجود أو ما وراء الماهية autrement qu'être ou delà de l'essence:"إنّ المسؤولية تجاه الغير، وهي ليست حدث لموضوع ما، ولكنّها تسبق الجوهر l'essence، ولم تنتظر الحرّية التي كان من الإمكان أن يتم فيها الالتزام تجاه الغير"[2].

إنّ ما تفتقده الذات هو الحرّية، فلا تكفيها هذه المسؤولية المقررة سلفًا وإنّما تعني بالضرورة وحدة الأنا l'unicité du moi كما أشرنا إليه سابقًا، فتفرده يُقصد به انتخابه بصفته الوحيد المعني بالالتزام، ولا يمكن لأحد الإنابة عنه أو تعويضه، يقول ليفيناس:" إنّ تفرد الأنا l'unicité du moi، تعني أنّه لا يمكن لأحد أن يجيب في مكاني"[3] وفي هذه الحالة، يكون الأنا محددًا اتيقيًا ومسئولا بشكل غير محدود infiniment responsable ، حيث يكون بمثابة حارس لأخيه.

في عمله الإتيقا واللانهائي، يعتبر "ليفيناس" الذاتية كمسؤولية على الآخر استعاضة لأجل في مسؤوليته، وفي اتهامه substituer pour autre، ففي وضع الانتخاب لا يتم إعفاء صاحبها، لا يمكن لأحد الإنابة عنها، أمّا الخيار المتبقي للذات المنتخبة هو تحمل عبء الآخر، وتقبل جل أحكامه دون أي محاولة للاستفسار عنها، أي أن تصبح الذات في وضع لا يحسد عليه، أين تخضع للاستجواب، فاستجواب الذات لا يكون إلا بحكم الانتخاب، أي تتحمل مسؤولية ثقيلة، فيها كل

[1]- Emmanuel Levinas, autrement qu'être ou delà de l'essence, martinus nijhoff, 1978, p 37
[2]- Ibid, p 180.
[3]- Emmanuel Levinas, humanisme de l'autre homme, p 54.

الإرغام وكل إحساس بالمعاناة والآلام، وهذا هو يشير إلى مدلول العبارة الليفيناسية: "أن تكون لأجل الآخرêtre pour l'autre "بمعنى أن تأخذ مكانه وأن تسخّر كل طاقاتك وحريتك لصالحه، الأمر يشبه تمامًا الإيثار، يقول ليفيناس:" الانتخاب يدل على الالتزامات الأكثر جذرية، الإيثار التام"[1]، أمّا طبيعة المسؤولية عليه تشبه وضع **"الرهينة"•l'otage**.

ثالثًا: الرهينة

تكون الرهينة بلا قيد أو شرط، في هذه الحالة المسؤولية تحرص على عدم الاكتراث لما يحدث للذات من قلق أو معاناة أو ألم تجاه إمرة وسلطة الآخر، فيكون ذلك على النحو الذي يأخذ فيه الأنا مكان الآخر، بتحمل معاناته وآلامه والإحساس بمكانته التي كان يحس بها، فالشخص الرهينة يعرف خطر الموت والقتل لأجل الإنسان الآخر، وتعنى المسؤولية بهذا الشكل المخاطرة بشكل دائم، فالرهينة هو العبد الخادم لسيّده، لا ينتظر من وراء ذلك جزاءاً، وفي المقابل يكون مستعدًا في كل وقت لتنفيذ أيّ أمر مهما كانت عواقبه، وإن لم يعمل الرهينة ما لم يُطلب منه فإنّه حتمًا سيعاقب على تمرده، يقول ليفيناس:" إنّ الرهينة l'otage هو من يعمل في مكانك، فإن لم يعمل يُقتل"[2].

إنّ عمل الرهينة يتعلق بالتضحية ومواجهة الخطر تجاه إنسان آخر، بالشكل الذي يعاقب في مكانه، فهذا هو المعنى الحقيقي لمن يكون في موقف الرهينة، حيث يواجه خطر الموت في مكان الضحية، وهنا يمكن القول أنّ عمل الرهينة لا يضع شروطاً لتقبله l'inconditionné d'otage، وبما أنّها لا تضع شروط فهي شبيهة بالحب العفوي أي دون الإيروس بإغراءاته، وهذا الحب ترجمة للخضوع التام للغير، لأنّ الذات دائمًا تكون منتصبةً، مستعدةً، فهي لم تكن أبدًا في

[1]- Emmanuel Levinas, liberté et commandement, p 81.

•يعود مفهوم الرهينة إلى الوضع السياسي الذي عايشه ليفيناس، فيقول أنّ كلمة "رهينة"otage قد عرفتها خلال حقبة الاضطهاد الذي قامت به النازية، وهذا بعلمك بأن تعاقب مكان شخص آخر، فبؤس الرهينة هذا له مجد معين منه يعرف مدى مواجهته لخطر الموت، فنجد عدة أشكل لعمل الرهينة مثل الشفقة والحرمة والتضامن، فهذه جملة نماذج ممكنة في العالم، كما يرى ليفيناس أيضًا أنّ هناك خطر الوقوع رهينة عند قول الحقيقية، كما أنّ الرهينة مصطلح يستعمله "ليفيناس" للتعبير عن القداسة التي تعني المسؤولية التي تعبّر عن اللامبالاة تجاه الغير. يُنظر:" Michael de saint Cheron, entretiens avec Emmanuel Levinas, 1938- 1994,p-p 36-38.

[2]- Michael de saint Cheron, entretiens avec Emmanuel Levinas 1938-1994, p 56.

حالة الرفع عن الاتهام، أو البراءة، وكل هذا بالرغم من عدم ارتكابها لأيّ خطأ أو جنحة يستوجب التكفير عنه، فالمعنى الأساسي للرهينة يتجلى من خلال هذا الاتهام، وهنا الذات الرهينة لا تملك لنفسها أيُّ حرّية لذلك تطيع كل أمر قبل سماعه، أن تكون يقظة، متفطنة، تستعد وتلتزم بأن تكون مخلصة لالتزام لم تقطعه، لتكون بذلك مسئولةً وهي في حالة يقظة éveil"، يقول ليفيناس:"في الرهينة يحال الأنا إلى الغير، ومسؤوليته هي إيقاظ éveil ، أي إيقاظ على المجاورة proximité، ومسؤوليته لأجل القريب إلى أن يحل محله".[1]

يحاول ليفيناس إعطاء الرهينة معنىً إيجابياً وذلك باستعمال لفظ القداسة la sainteté كبديل عن مفهومي "الاضطهاد" "والسلبية"، فالعلاقة مع الغير تكون أيضًا علاقة مع القداسة، لأنّها تعبّر عن الحب والاحترام وحفظ الكرامة، وبهذا الشكل فإنّه يمكن لأيّ شخص فعل القداسة، لأنّها فعل متوقف على الخدمة المجانية، إذ تكون بالمعنى الإيجابي، لأنّ قبول الخدمة الطوعية لشرط "الرهينة" هو من أعمالها المحببة، وللقداسة طريق إلى الإله، لهذا السبب يربطها ليفيناس بمفهوم **القادوش kadoch••** وهو مفهوم ينطبق على الإله، لأنّه من يكون في مقام "**القادوش**" يكون قديساً، فالذات إن كانت تفقد حرّيتها في وضعية الرهينة، فهي أيضًا تكون حرة عندما تقرر الخضوع للغير، كأنّ الرهينة هي الالتزام دون تلقي الأوامر، فهي إيقاظ على العطاء، لأنّ تقبل الرهينة بكل حرّية هو أنّ الذات تكون في علاقة مع اللانهائي، فالذي يأمر بأن يكون الأنا في خدمة الآخر هو اللانهائي الذي يمثل حرية قبل أي حرية، أي الحرّية السابقة والمقررة سلفًا، والتي تعود إلى الماضي الذي لم يكن، إلى الماضي السحيق والبعيد، لأنّه حاضر يدعو إلى الخضوع والسماع للآخر، فاللانهائي يتجلى في حرية الذات التي تقرر أن تكون للآخر في حالة الرهينة، وهنا تتحول المسؤولية على الغير

[1]- Emmanuel Levinas, de dieu qui vient à l'idée, p 113.

••kadoch القادوس هي كلمة عبرية hébreu وتعني المقدس أو القداسة، وليفيناس يربط مفهوم القداسة بالقادوش، وهو نفسه مفهوم ينطبق على الإله، والقادوش تقليد قديم يعود إلى زمن التلمود، ففي الليتورجيا liturgique يُقال قادوش ثلاث مرات قديس، لأنّه إذا كان الأول لا شيء فهناك الثاني، فإذا كان الثاني لا شيء فهناك الثالث، وهذا لايعني أنّ هناك قداسة متعددة، وإنّما تأكيد للحرص على وجود قداسة واحدة وهي الأفضل،لا يتم رفضها، تتوافق مع قيم الصدقة والحب والعدل.يُنظر: Michael de saint Cheron, entretiens avec Emmanuel Levinas, 1983- 1994, p-p31-39

إلى إلزام ورغمًا عنها، فتلك هي الطريقة التي نسمع بها صرخة اللانهائي، والتي تتجلى بيقظة الذات وكأنّها تجنيد دائم متوقف على العطاء، ومنح أبدي، يقول ليفيناس:" الذات le sujet باعتبارها رهينة ليست تجربةً ولا دليلاً على اللانهائي، بل شهادة للانهائي، طريقة لهذا المجدgloire، شهادة لم يسبق لها إفشاء، فهذا الفائض المتزايد للانهائي، والذي تجرأنا بتسميته بالمجد، ليس جوهرًا، مجردًا، فله معنى في الاستجابة دون مراوغة، للاستدعاء الذي يأتيني من وجه القريب، إنّه الأمر القطعي الذي يأمر على الفور"[1].

2- المسؤولية الغير تناظرية

إنّ الذات من خلال وضع الرهينة،لا يمكن لها بأيّ حال من الأحوال رفض المسؤولية لأنّها قداسة، هذا هو المعنى الأساسي للمسؤولية بشكل غير محدود الذي يختص به "تفرد الأنا "، وهذا ما يسمى باللا مبالاةle non- indifférence حيث يكون الأنا غير مكترث تمامًا، وغير قلق لما يحدث له من إحساس على حجم المعاناة جراء أخذ مكان الآخر، فكل ما هنالك هو أن يكون معنيًا فقط بالشخص الآخر، بمسؤولية لا تخضع لأيّ نسق أو نظام، تخضع لعدم التماثل يقول ليفيناس:"مسؤوليتي غير قابلة للتبديل ، ولا يمكن لأحد أن يحل محلي...المسؤولية تقع على عاتقي حصريًا ولا يمكنني-إنسانيًا- رفضها، هذا الحمل هو الكرامة العليا للمتفرد suprême dignité de l'unique، فالذي يميّز الأنا في حالة التفرد تلك، هو المسؤولية التي لا يمكنه إعفاء نفسه منها لأنّ مدلول الانتخاب لا يعني سوى زيادة في المسؤولية التي تحدد الذات وتميّزها عن غيرها، فالأنا غير قابل للاستبدال بل إنّه من ينوب عن الآخرين، فأكون "أنا"je suis moi بالقدر الذي أكون فيه مسئولا، يمكنني أن أعوض عن الجميع، لكن لا أحد يستطيع أن يحل محلي"[2].

في خضم تعريف المسؤولية الشاملة على الآخر كونها غير تناظرية وتترجم على أنّها تمكن في أخذ مكانه، أي بمعنى أخذ أخطائه ومعاناته، فالأولى التخفيف عنه، أمّا محاولة التخلي عن هذا

[1]- Emmanuel Levinas, de dieu qui vient à l'idée, p 120.
[2]- Emmanuel Levinas, éthique et infini, p p 97,98.

الواجب فإنّه نوع من العنف أو الاغتصاب، فالآخر يتمتع بحريته الذي تجعل له مكاناً خاصًا لا يجب انتهاكه حيث يكون هو الشخص الوحيد المتحكم، فخاصية المتفردة هي التي تأصل للعلاقة الاتيقية، فإن لم يكن هذا الآخر في مكانته الخاصة فإنّ شروط العلاقة المتمثلة في العلاقة الغير تناظرية قد انتهكت، في المقابل قد تم اغتصاب وجود ما، فالأولى في المسؤولية توفير كل الوسائل التي تمنع القتل واغتصاب حريته، لذلك كانت المسؤولية متوقفة على الواجبات الغير محدودة، دون شروط، بالقدر الذي تشعر فيه الذات أنّها مغتصبة لحق الآخر، وهي مستعدة لدفع الثمن، وهذا هو مدلول عبارة ليفيناس:"مكاني تحت الشمس"، الذي له إشارة على العقاب وتحمّل الأخطاء المرتكبة، في هذا السياق تقول جوديث بتلر Judith Butler(24/02/01956):".. فأن تكون ملزمًا بالآخر الموجود فعلا في مكان المرء، يعني بصورة محددة إدراك أنّ هذا المكان هو موقع العلائقية الأخلاقية هذه، وأنّ المطالبة التي تلزم المرء لاحترام وجه الآخر وكذلك لعدم القتل وعدم المطالبة بالسيطرة الحصرية على المكانّ".[1]

في ظل تعريف المسؤولية على أنّها تفرد الأنا، يعني أن الذاتية هي أن تكون من أجل الآخر وليس لأجل الذات، فرؤية الوجه هي دلالته التي تشير إلى "الأمر" وإلى "السلطة" الموجهة إلى الأنا دون غيره، ما يعني أنّ العلاقة التذاوتية intersubjectivité تكون علاقة غير تماثلية asymétrique، وذلك بالنحو الذي أكون فيه مسئولا على الغير بشكل غير محدود، وهذا دون انتظار المعاملة بالمثل la réciproque، أي أنّ المسؤولية لا تتوقف على موقف الإنسان الآخر مني، بل تتم ضمن إعطاء الحرية الكاملة له، يقول ليفيناس:"أكون مسئولا عن الغير دون انتظار المعاملة بالمثل la réciproque، فالمعاملة بالمثل شأنه هو. إنّها تحديدًا تُقاس متى تكون علاقتي بالغير بصفة غير متبادلة، فأنا أخضع للغير، وأكون موضوعًا، هذا هو المعنى بالأساس"[2]، فالتسليم القطعي لسلطة الآخر متوقف على حقيقة وجهه التي تكشف طابع الهشاشة والحرمان الذي يخصه

[1]- جوديث بتلر، مفترق الطرق، اليهودية ونقد الصهيونية، ص 103.

[2]- Emmanuel Levinas, éthique et infini, pp 94 95.

فالوجه ضعيف من أن يعتد على ذاته، لذا يتوجب أن تكون علاقتنا به غير تناظرية، فالقوي هو الأنا الذي يمكنه في أي لحظة أن يدنس هويته، والواجب الأولى هو الاعتراف بسيادة هذا الآخر، ولا وجود لأيّ حسد أو تذمر تجاه تملّك الآخر للقوة والسلطة التي تكون آمرة للذات حتى تكون في خدمة مجانية، يقول ليفيناس عن فكرة اللا- تماثل هذه:" فاللا- تماثل لا يعني أنّ هناك ذاتًا تواجه موضوعًا، إنّه على العكس، يعني أنّني قوّي وأنّك ضعيف، أنّني عبد لك وأنّك السيّد بالتالي، لست مرتعبًا من فكرة أنّ الذي يملك القدرة هو السيّد – لا، أنا لا أستخدم هذه الألفاظ بهذا المعنى"[1].

يذهب أساس المسؤولية إلى أبعد من الالتزام تجاه الإنسان الآخر، فتكون المسؤولية على المسؤولية ذاتها، المسؤولية على حرية أخرى، فهذا النوع من الذاتية يتولد من الشعور الدائم بالتقصير مع الغير ولعل الذنب هو ما يراه "ليفيناس" أكثر محرك للمسؤولية الشاملة على الغير، أي أنّ الذات تكون مسئولة بنفس شعورها بالذنب والتقصير، فتصبح بمثابة طلب العفو والصفح من الغير، لأنّه لا أحد يمكن أن يغفر الذنب الذي اقترفه الأنا، ويكون بذلك وحيدًا في إثمه وفي مسؤوليته، ليملك بذلك أكبر إثم ممكن أن يرتكبه الغير، يستحضر هنا ليفيناس جملة شهيرة لدستوفيتسكي:" نحن جميعا مذنبون بكل شيء وكل شخص أمام الجميع، وأنا أكثر من الآخرين"، يقول ليفيناس:"أن" هذا الإحساس ليس بسبب ذنبي هذا أو ذاك أو بسبب التي لم ارتكبها، بل لأني مسئول عن مسؤولية كاملة، والتي تقع على عاتق كل الآخرين وكل شيء عن الآخرين، حتى عن مسؤولياتهم، فالأنا دائمًا مسئولة أكثر من غيرها"[2]، وتتحمل الذات هذه لمسؤولية كما لو كان لديها موقف مجرم في الالتزام تجاه الآخرين، والأمر الأساسي في هذه لمسؤولية الفردية هو أنّه لا يمكن لأيّ شكل من الأشكال أن يتدخل موقف الغير في مسؤولية الذات، لأنّها بالأساس مسؤولية مسبقة وأولية تجاه الغير الذي ينظر بشكل دائم إلى الذات، إنّ هوية الذات يتشكل بهذا التفرد وعدم التنصل من المسؤولية، ووجود المسؤولية هو وجود الذاتية التي تكون في وضعية اللا-مبالاة non- indifférence تجاه الآخرين، في وضعية رهينة l'otage لهم، أو هي رغبة في غير ما هو مرغوب فيه، شعور بالحرية

[1]- تامرا ريات وآخرونّ، مفارقة الخلقية، حوار مع ايمانويل ليفيناس، مجلة الاستغراب عدد10، مرجع سابق، ص 15.

[2]- Emmanuel Levinas, éthique et infini, p 95.

المفقودة، والاتهام بالباطل، يقول ليفيناس:"إنّ الإنسان باعتباره مسئولاً عن الآخر، فاقدًا للحرية، قد وجد نفسه جاهزًا ومستعدًا لهذه المهمة بالتزامات دون شروط، إنّها أشبه بعقاب، إنّه مسئول عما لم يفعله، فالإنسان مسئول عن الكون، رهينة له، ضيّق من الأمام والخلف ومن الأشياء التي لا يريدها والتي لم تولد من حريته، إذ يتم محاسبته"[1].

3- الحساسية والمعاناة: نحو تجربة ما وراء الوجه.

ترتبط الحساسية برؤية الوجه، والذي يمثل ماهية الإنسان، الوجه ينقل حقيقة الإنسان الغير متجلية في ظهوره، فحقيقته هي الما وراء l'au delà أو بخلاف autrement ما يظهر، فهوية الوجه هي عريّه sa nudité، دون أي تجميل أو زخرفة، هو تجريد وبؤس dépouillement et misère، يجسد غرابته الأساسية étrangeté foncière، فالوجه يدخل إلى عالمنا بشكل غريب، لكنّه المطلق absolu الذي يدعو الذات إلى الإنصات له، فاستجواب الذات ليس عفويًا، فإن كان الوجه هو الفقير والضعيف فهو أيضًا المطلق والسلطة، والذي يدعو إلى الاستقامة الأخلاقية التي تأتي من وراء عريّه، لكن هذا النداء ليس بريئًا لأنّه يمس حرية الذات، يقول ليفيناس:" السلبية المطلقة والتي تسبق الحرّية، هي مسؤولية، لكن المسؤولية التي لا تدين بشيء لحريتي هي مسؤولية عن حرية الآخرين"[2]، فالسلبية la passivité الخاصة بالذات تتولد من كونها تحمّلت مسؤولية لا يمكن لأي أحد تحريرها منها، هي بالأساس نابعة من تفردها وانتخابها ما يعني أنّه لا يمكن استبداله irremplaçable أو التنصل منها، كما أنّها مسؤولية لا يمكن تحديدها للآخر، في هذه الحالة يصبح الأنا رهينة الجميع، ابتعدت ذاته عن أي حركة تمكنها من العودة إلى نفسها، إنّها تمثل إنسان بلا هوية.

تنتقل المسؤولية على الإنسان الآخر من وضعية الذات الحراسة لأخيها أو الوصية عليه، إلى حالة الرهينة، هذا التحول ينتج بالأساس عن رؤية عرّيه الوجه، والذي يكشف بؤس وشقاء الغير، فهو

[1]- Emmanuel Levinas, du sacré au saint, cinq nouvelles lecteurs talmudiques, les éditions de minuit, France, 1977, p 136.
[2]- Emmanuel Levinas, humanisme de l'autre homme, p 87.

بالأساس يعبر عن معاناته، وهذا ما يسميه ليفيناس بالانفتاح l'ouverture الذي يعرض لنا هشاشة الوجه، يقول ليفيناس:" الانفتاح هو تعرية الجلد المعرض للإصابة la blessure والغضب، الانفتاح هو هشاشة البشرة vulnérabilité d'une peau المعروضة offerte للغضب والإصابة، فما وراء كل ما يمكن إظهاره وفما وراء كل ماهية للوجود..."[1] فالحساسية هي اكتشاف هذه الحقيقة، أو التعرض للوجه الأكثر عراء، حيث تشعر الذات بمعاناة الغير، من وراء حاجاته وآلامه، فالتعرض للآخر باعتباره حساسية ليس غير السلبية عري الوجه الفاقد لكل أشكال الحماية، "فكل غياب للحماية هو الهشاشة ذاتها"[2]، فالذي تنقله لنا الهشاشة ليس فقط غياب الحماية وإنما أيضًا وجود معاناة تنقل لنا بؤس وآلام الإنسان الآخر، وبذلك لا يبقى لحساسية الذات غير أن تتحول إلى المعاناة من أجل معاناة الآخر souffrance pour la souffrance de l'autre.

يسمي ليفيناس إحساس الذات بتجربة معاناة الآخر بـ:" الهوس"l'obsession، فالنشاط السلبي يوصف الذات بالاضطهاد ويحملها مسؤولية رغم حريتها، وشعور الهوس يسبق الوعي•، فهذه المسؤولية عن القريب تذهب إلى غاية الهوس، فالهوس هو نتيجة لتأثر الذات وإحساسها بمدى معاناة الآخر، وكذلك الهشاشة هي الهوس بالغير أو الاقتراب منه، كما أنّه تأكيد لسلبية الهشاشة ولسلبية الذات وهذا ما يصطلح عليه ليفيناس بالسلبية الأكثر سلبية من كل سلبية passivité plus passive de toute passivité، فلا سلبية أعلى من سلبية الذات في معاناتها لأجل الآخر، تتحمّل الذات هنا كل القلق، وكل الصبر، على شكل اللامبالاة وفي هوسها من أجل القريب، فأصبحت في مكانه، كما أنابت عن الجميع، في مسؤولية فردية لا تقبل التبادل لأنّها

[1]- Emmanuel Levinas, humanisme de l'autre homme, p 104.
[2]- Emmanuel Levinas, autrement qu'être au-delà de l'essence, p 120.

• الهوس عند ليفيناس ليس مرتبطا بالوعي، وهو عمل يتعلق بالتقرب من الأشخاص، فالهوس يسبق المعرفة كما يسبق الالتزام، فهو استقامة العلاقة ومسؤولية دون اختيار،سلبية، فهو لا ينبع من الحرية وإلا كان مجرد وعي، فهو يعني اللامبالاة والمسؤولية دون اختيار. ففي مسؤولية الهوس لا يستطيع الأنا الاحتفاظ بوعي الذات conscience de soi، فالذي يحضر هو القريب، لأنّه في هذه الحالة يكون هناك فقط تصاعد في المسؤولية التي تأتي من جوانية الذات التي تؤكد على الإلزام والاهتمام بالغير. يُنظر: Emanuel Levinas, en découvrant l'existence avec Husserl et Heidegger, p 320.

منتخبة، وهذا ما يؤكد تخلصها من نرجسيتها ومن جوهرها، فأصبحت رهينة لحرية الغير على شكل هوس به، يقول ليفيناس:"الجسد هو ألم الجهد وطاقة العمل، هذه السلبية هي انكشاف الموضوع للآخرين، لكن سلبية الذات أكثر سلبية من التي يعاني منها المظلوم... السلبية الأكثر سلبية، الذاتية الغير قابلة للتأمين أو من الخضوع للذات تنبع من هوسي بالمسؤولية عن المضطهدين غير نفسي. التعرض للغير هو القرب الغير مبالي والهوس بالقريب، هاجس على الرغم من الذات، وهذا ما يعني الألم"[1].

إنّ الذات في هوسها بالغير تكون عكس النشوة والاستمتاع، إذ تتحول الحساسية إلى معاناة وألم، هذا لأنّ الهوس لا ينفك عن لغة الرهينة، فالذات تقع في اتهام الجار المضطهد، ومسؤولية الهوس والرهينة تصل إلى حد الاستسلام للرجم وللإهانة للأشخاص للذين نستجب لهم، فأن تكون مهوسًا يعني بالتحديد تحمل المسؤوليات التي لا تعود إلى القرارات التي تتخذها الذات بكل حرية، فقد تم تكليفي دون ملاذ، دون وطن، فقد تم تكليفي، بإلزام يكون لأجل الغير، وبالتالي تصبح الذات مسئولة تحت اتهام موجه لها بفعل ما لم ترتكبه، لكن رغم ذلك لا يمكن لها هجر المجاورة والوجه، ومثل هذا الفعل هو قداسة الذات، لأنّه يخول لها البقاء في تضحية بشكل دائم، وإلى درجة أخذ مكان الغير، ووضعيتها تلك تكون غير قابلة للتبديل، وبهذا الشكل الذات تؤكد معنى السلبية والهوس والرهينة.

تمثل المسؤولية على الغير هي بالتحديد –عدم اللا مبالاة– بالاختلاف بين الذات والغير، وهذه المسؤولية تأتي من حرية الذات، ولكنّها لا تسمح لها بأن تكون ما تريد، فالاقتراب يعني أخذ مكان الآخر substitution à l'autre، حيث يستبدل الآخر بالأنا، وفكرة أخد مكان الغير تعني تحمل نتائج أفعاله، فالواحد هنا يكون لأجل الآخر l'un pour l'autre فالذات رغم فقدانها لحريتها إلا أنّها تحرض على أخذ مكان الآخر كما تكون مسؤولية عنه، يقول ليفيناس:" ... الاستبدال la substitution يعني أخذ مكانة الآخر، والذي تشير إلى الانتقال من وضعية عبر

[1]- Emmanuel Levinas, autrement qu'être au-delà de l'essence, p 92.

الآخرpar l'autre التي وضعية "لأجل الآخر pour l'autre"، فيكون ضمن الاضطهاد والإهانة قصد التكفير عن خطأ الآخر من قبلي أنا"[1]، فهذا زيادة على جهدها وسلبية تتجلى في الاستسلام، يستعمل ليفيناس لفظ le récurrence للدلالة على المسؤولية الغير محدودة، كتكرار مضاعفة العطاء، فإطلاقية الأنا تتجلى في استحالته الهروب من الذات التي تضحّي تجاه الآخرين فأخذ مكان الآخر أو الرهينة يعني الحرص بدرجة أكبر على المسؤولية إلى "درجة المسؤولية لأجل المسؤولية على الآخر" la responsabilité pour la responsabilité de « l'autre »، أمّا طبعة المسؤولية لأجل الآخر فهو يقتضي أمرين وهما: صاحب الفعل أي الذي يقوم بهذا الإلزام، بينما الأمر الآخر وهو المتلقي أي الذي تكون لصالحة مزايا الإلزام، أو لمن يستحقها وهو ما يعبر عنها ليفيناس بلفظي: ممن و لمنqui le de qui le a à "[2]، فالتكرار إذن يكون لمن يستحقه، ويستحق أيضًا الزيادة في المسؤولية قبل أيّ إلزام، وهذا يعني أن تكون الذات مهوسة بالغير ورهينة له إلى غاية أخذ مكانه، فتتحمل بذلك خطأه وتتولى التكفير عنه، لأن مسؤولية الرهينة مرتبطة بالاتهام والألم والمعاناة، وعلية فإنّ الذات في هذا الوضع لا تحوز على ذاتها، فهو أمر يتجاوز استعمال القوة، أو استعمال الحرّية، أي وضع الذات مكان معاناة لآخر، في الرهينة الأنا يشبه الشخص المتضامن• والذي يشفق على الآخر، فأن تكون رهينة للآخر يعني أن تأخذ مكانه le je est un autre.

يتمثل المعنى السائد للحساسية الخاصة بالمسؤولية على الهشاشة، لأن التقرب من الغير يعني مجاورة توّلد القلق والأرق، حيث تكون الذات أكثر قابلية للتأثر، وبالتالي فإنّ فورية الحساسية هي تعرض الذات للإصابة، إنّ تجربة الهشاشة لا تنقل إلينا فقط الإحساس بالألم الناجم عن الجرح، فهي

[1]-Emmanuel Levinas, autrement qu'être ou delà de l'essence, pp 186,187.
[2]-Emmanuel Levinas, liberté et commandement, p 84.

•يعتقد ليفيناس أنّه من خلال الرهينة يمكن أن تكون هناك شفقة، ورحمة، وتعاطف وتسامح، فالرهينة يصبح شرطًا للتضامن، كما أنّه شرطًا لزيادة حجم المسؤولية إلى درجة أخذ مكان الغير، والمسؤولية على المسؤولية ذاتها، فالذات في هذه الحالة تكون في سلبية لأنّها تعاني من الخضوع والاضطهاد المطلق، فالاستبدال هنا يتم وضع الذات مكان الآخر والإحساس بمعاناتها، فهكذا ينتج شرط الرهينة l'otage، فالأنا هو الآخر، le je est autre, le sujet et otage، والتكرار la récurrenceيعني زيادة في المسؤولية والتكفير عن الغير، وتحمل نتائج أخطائه، فالمطلق الآخر هو الغير، والغير ليس مجرد غيرية وإنّما شرط الأمر وشرط التعالي، وهو الماهية التي تحكم.

تعكس لنا الألم في صور عجز محض، أو حتى زيادة في الديون، أو أي مرض يضر بالشخص، أو حتى الفقير الذي لا يملك قوت يومه، فنزيف الآخر لا يكون من الجرح فقط، بل يكون أيضًا على شكل تمزيق لقمة العيش من فمه، وهنا يرد "ليفيناس" نص "لأشيعياءIsaïe58 "يقول:"تقاسم خبزك مع الجياع وافتح بيتك للمحتاجين"[1]، هذا النص الديني يدل على فعل الخير والإحسان وأخذ عوز وبؤس الإنسان في مقدمة المعاناة، فهذه كلها صور للألم، أمّا الحساسية هنا هي معاناة الذات قبل معاناة الجسد، والألم هو ألم الحرمان قبل ألم المرض والجرح، فلا وجود لتبرير خاص بهذه المعاناة، لأنّ محاولة تبريرها يكون شراً، وعمل غير إنساني، كما أنّ الذات لا مبرر لها أمام معاناة القريب، وهي تعبر عن إنسانية الإنسان، يقول ليفيناس:"بالنسبة للحساسية الاتيقية- مؤكدة في لا-إنسانية عصرنا inhumanité de notre temps- ضد هذه -اللا إنسانية- يكون تبرير آلام القريب مصدر لكل اللا-أخلاقية immoralité"[2]، وبالتالي فإنّ-اللا مبالاة- non indifférence هي إلقاء اللوم على الذات تجاه هذه الآلام، والأنا يكون محل اتهام، لذلك فهو دائمًا - من أجل الآخر- في جل أشكال صبره ومعاناته على الآخر، لكن المعاناة لا تتوقف فقط على الإحساس بسلبية الذات تجاه آلام الإنسان الآخر وإنّما أيضًا تكون هشاشة الأمومة.

4- الأمومة والحساسية: نحو منطق المسؤولية

تنقل الأمومة تجربة الحساسية باعتبارها معاناة على الإنسان الآخر، بدون شك هي مسؤولية على كائن يكون أكثر هشاشة وقابلية للألم، في هذه الحالة تكون الذاتية عبارة عن استعجال نحو كل من يحتاج للرعاية، فالأمومة هي الآخر الذي يملك نظرات تترك من وراءها إنسانية تحتّم على الذات التصرف حيالها وعدم البقاء ضمن قوقعة الذات.

إنّ النظرة الموّجهة للأمومة تتولد من رحم العاطفة،لأنّ كل قرب هو دلالة على رؤية الضعف خصوصًا في هشاشة الطفل المعبرة عن الضعف، والقابلية للمرض والموت، لأنّ الأمر هنا لا يتعلق

[1]- Emmanuel Levinas, liberté et commandement, p 120.
[2]- Emmanuel Levinas, entre nous, p 116.

بمسألة البحث عن العدالة الاجتماعية وإنّما الرحمة، ليس هذا فقط بل إنّ الأمومة تُعطينا تجربةً ملموسةً للهشاشة، بحيث تصور لنا حقيقة معاناة ألم الولادة، ولهذا السبب فإنّ الحساسية تنتقل من الاستماع بما يهوى النفس إلى حساسية تُعنى بالشخص الآخر ولأجل الأم حيث تكون فيها الذات في حالة تأثّر وشعور بالقلق تجاهها، فالأم هي أثر للأنوثة التي تتجسد فيها بشكل ملموس على سواء كان ذلك بالألم أو بالدم، فالحساسية هنا ليست متعلقة فقط بالأنثوي، لأنّها تحضر بشكل فوري عند رؤية المرض والضعف، وأيضاً لأنّها تعني التعرض المحقق للإصابة والتأثر والانفعال، وهو الأمر الذي يعني استحالة رفض المسؤولية التي تكون على شكل هوس ولا مبالاة للأنا أمام الآخر.

إنّ منطلق الغيرية تجاه الأم يكون بالهوس، والذي يوّلد علاقة غير قابلة للتخصيص، والدال على الفورية والمجاورة تجاه هشاشة الأم، وتجاه ضعفها، فالحساسية هي بالضبط ما تفرضه كل الحماية، وكل غياب للحماية هي الهشاشة ذاتها، يقول ليفيناس:" الأمومة، والهشاشة، والمسؤولية والمجاورة، وحساسية الاتصال بالوعي يمكن أن تنزلق نحو اللمس، نحو الجس، نحو الانفتاح على... نحو الوعي بـ...، نحو المعرفة الصافية، والاستفسار عن ماهية الأشياء الملموسة"[1]، فالهوس يتولد من خلال جملة من أشكال الاضطهاد والانكشاف المختلف، والذي يدل على غياب الحماية وعدم القدر، ومن مصير الاتهام، ومن الرغبة بالكفارة، فبالتالي فإنّ عملية الانضمام إلى الأمومة هو نفسه المعنى الملموس لمعنى المجاورة proximité، أي أن أكون مقيدًا بالآخرين قبل أن أكون مقيدًا بجسدي، والأمر هنا يتعلق بالآخر الذي ينزف ويقطر دماً، ففي الأمومة يتولد شعور متعال–ترنسندنتالي– حيث يتعلق المرء بالآخر في نفس الجسد، أي أن يتأثر به، ويحس بمعاناته الأمر الذي يؤدي إلى إصابته من البداية إلى النهاية، إلى ما بعد الولادة، مع الألم أو بدونه.

تأخذ الحساسية في الأمومة منطق الخوف على الإنسان حيث نكون مع حالة ينعدم فيها الأمان وتغيب فيها الحماية، فالعطاء يكون بتحول الحساسية إلى العاطفة على الأم وإلى الإحساس بالألم ومن هنا كل المسؤولية المطلقة التي تكون بارتداد لباس الأمومة وتحمّل مسؤولية المضطهد، يقول

[1]-Emmanuel Levinas, autrement qu'être ou delà de l'essence 122.

ليفيناس:" في الأمومة تعني المسؤولية عن بدائل أخرى للآخرين، وحتى المعاناة وتأثير الاضطهاد...ارتداء الأمومة بامتياز لا يزال يتحمل مسؤولية اضطهاد المضطهد"[1]، وبهذا الشكل تصبح الأمومة رمزًا لكل المعاناة الملموسة، من الضعف ومن اللحم والدّم، لأنّها تُعرض في جسديتها وفي هشاشتها، كما تُعرض قابليتها للمس والاتصال والمداعبة، الأمر الذي يستوجب الرعاية والحماية تجاه ضعفها.

إنّ العمل الذي تتجسد فيه الأمومة هو تحررها من الأنثوي ومن العقم، فتفتح منطق حساسية ترسم حقيقة الآخر،" فيتم اختيار الأمومة كنواة للظواهر البيولوجية لأنّها تقدم نفسها دون أن يكون مقدَراً لها أن تصبح نموذجاً لسلوك يجب تقليده، وهي أيضاً حساسية يكون فيها الآخر أكثر أهمية مني فهذه الحساسية تعتبر نفسها مسئولة عن كائن يكون أكثر ضعفًا"[2]، لأنّ الذات تتحطم تجاه الأم المتألمة الضعيفة، وتجاه كل ضعيف، والحساسية هنا تعود إلى سلبية الذات التي تدرك أثر الجرح، وتجد نفسها مسئولة عن كل هشاشة تمس الآخر، وبذلك تصبح الأمومة شرطا للغيرية، كما أنّها كشف عن تجربة مع جسدية الشخص التي تعبر دائمًا عن معاناة ترمي إلى كل أشكل الإنسانية التي تحث على الرحمة وتوفير أشكال الحماية ،والرعاية الأزمة لكل من يستحقها.

5- إله إنسان:أو المسؤولية الترنسندنتالية

إنّ التفكير في الإله هو جوهر فلسفة الدين الليفيناسية، والإله هو أصل التعالي الذي يظهر في الوجه، فالإله لا يتم التفكير فيه خارج الإنسان، فهو موجود في ذواتنا باعتباره مصدرًا للذاتية subjectivité المسئولة عن الإنسانية، إلا أنَّ ليفيناس يرفض أن تكون هذه الفكرة معبرة عن تأليه الإنسان، لأنّه هو المكان الذي يتجلى فيه الإله على شكل أثر، أو بمعنى أكثر وصية اتيقية فالإتيقا هي السبيل الذي يمكننا من رؤية الإله، فليفيناس يقول:" ليست الاتيقا نتيجة مباشرة لرؤية

[1]- Emmanuel Levinas, Autrement qu'être ou delà de l'essence , p 121.
[2]- Félix Perez, apprendre à philosophie avec Levinas, , ellipses, édition marketing s.a, paris, 2016,p 217.

الإله، فهي هذه الرؤية ذاتها"[1]، فالاتيقا لا تنفك عن الوصية أو النداء الذي يحث على الاهتمام بالآخر إذ يلزم الذات كونها مسئولة بأمر الإله نفسه، وما كان رد الذات على النداء إلا ردًا على الإله الغير مرئي، والذي ينفلت من الاختزال المعرفي الموضوعي non thématisable، يقول ليفيناس:" لقد اعتقدت دائماً أنّ الإله غير مرئيinvisible ، ليس فقط لأنّه غير قابل للتخصيص thématisable، فالمعنى الإيجابي الذي يكون رداً على هذه الفكرة السلبية• هو أنّني عندما التفت نحو الإنسان الآخر، وقد دُعيت ألا أتركه وحيداً، إنّه انعكاس يتعارض مع مثابري في الوجود، هذا هو الطريق حيث تكلم الإله".[2]وبالتالي الإله يتكلم اتيقياً فقط لينفلت من قبضة التجريد والأنطولوجيا (-التيولوجيا السلبية-التي تحاول أن تعرّفُه وفق مقولات العقل).

إنّ طبيعة الوعي لا تسيطر على ذاتية الفرد، لأنّه حينما يكون الفرد مرتبط به فهو يقصد الوعي الإتيقي، فمثلا أن أقول أنّي كنت لنفسي معناه أني أدركت خطئي الذي لم ارتكبه تجاه الآخرين، فيقع جراء ذلك استسلام الذات لسلطة الآخر وتعاليه، والاعتراف بحقه من جهة أخرى، فالخضوع يبحث دائمًا عن التعالي، أمّا علاقة الغيرية مع الغير لا تتم إلا على أساس المقدس، وهو الذي يربطني بشكل دائم بالإله، بحيث الاتيقا هي الرابط الوحيد بين الإله والإنسان، يقول ليفيناس:"لكن حقيقة أنّني لا أسأل نفسي عن حقول الآخر، تشير بشكل متناقض إلى أنّ الغير ليس إعادة إنتاج للأنا ،فبصفته غيراً فإنّه يقع في بعده العالي dimension de hauteur،

---

[1]- Emmanuel Levinas, difficile liberté, p 33.

•**سلبية الإله:** ينتقد ليفيناس الأنساق التي تنظر إلى الإله على انه كائن مفارق، متعالي، يخضع لعملية الإدراك والاستدلال، فالإله موجود معنا ولا ينتمي إلى عالم ما-وراء الوجود l'au-delà de l'être، وضمن الإنسان، مايعني أنّ الإله عند ليفيناس ليس كائناً، فهذا هو المعنى الذي يرفضه ليفيناس باعتباره سلبيا، الإله إذن فكرة، تتجسد في وده الآخر، فعند الاقتراب من الغير نرى أثر اللانهائي على سلطة وحكم يأتي من وراء الظهور العاري والضعيف للوجه الإنساني، إنّ هذا الإله هو الذي يقف إلى جانب الإنسان الغريب، فالمسؤولية التي تصل إلى الأنا مصدرها الإله الذي نسمع كلامه عبر الوجه المقدس للغير، يقول ليفيناس:"أنّ إيجابية الإله هي التحول إلى المسؤولية، فالاقتراب من الغير هو الاستجابة للانهائي الغير قابل للتخصيصnon thématisable ، والذي يتجاوز كل القدرات..." أنظر: (AE, 27)

[2]-Michaël de saint Cheron, entretien avec Emmanuel Levinas-1983-1994, p 119.

والمثالي de l'idéal، والإلهي du divin، فمن خلال علاقاتي بالآخرين، أكون في علاقة بالإله "dieu"[1].

تُعبّر محاولة الرد على نداء الإله هو القول:" ها أنا ذا" me voici، ومدلول هذه العبارة يشير إلى استعداد الذات بشكل دائم لتلقي الوصية الاتيقية والتي تكون عبارة عن وحيrévélation وهكذا تصبح كل التيولوجيا théologie صادرة من سلطة الوجه، ولعلّ عبارة الأنا من أجل الآخر l'un pour l'autre التي يستعملها "ليفيناس" بكثرة تمثل جوهر عبارة:" ها أنا ذا"، والتي تعني أيضاً بخدمة الإنسان الآخر، وذلك دون أي شروط، كما تعني الالتزام بالبقاء تحت إمرته، رهينة له، وكأنّ الذات تصبح في هذه الحالة مرغمة على الاستسلام وإعلان المسؤولية المطلقة على الغير، يقول ليفيناس:"إنّ الخطاب الديني السابق(أنا أؤمن بالإله)، وكل خطاب ديني ليس مجرد حوار، إنّه "ها أنا ذا me voici" قولٌ للجار الذي استسلمت له، وحيث أعلن السلام، أي بمسؤوليتي تجاه الغير".[2] وبهذا الشكل تكون القداسة la sainteté فقط عبر الوجه، وعبر مجاورة الغير، لأنّ القداسة هي دلالة عن الإله، والتي تعني أيضًا الموت من أجل الإنسان الآخر، وبالمعنى الذي أكون فيه بتمام الإخلاص للإنسان.

[1]- Emmanuel Levinas, difficile liberté, p 33.
[2]- Emmanuel Levinas, de dieu qui vient à l'idée, p 123.

يشرح "ليفيناس" الطريقة التي يُدرك بها الإله، فجعل قداسة الوجه- الإنسان- هو المكان الذي يعبّر عنه دائمًا باسم ما وراء الوجود•l'au-delà de l'être ، بالشكل الذي يأتي الإله إلى الإنسان، لتصبح العلاقات الإنسانية مجرد علاقة مع الإله، يعبر "ليفيناس" عن هذه العلاقة بالقول:"... إسمع، الإله ليس في السماء، إنّه في تضحيات النّاس les hommes، وفي رحمة النّاس لبعضهم البعض la miséricorde ، فالسماء فارغة ولكن رحمة الناس مملوءة بالإله"[1].

إنّ الإخلاص التام للإنسان الآخر، هو أساس النزعة الإنسانية وجوهر الاتيقا، أمّا عن الدّين فهو ليس أكثر من الاستجابة لنداء الآخر المطلق، فإن كانت السماء فارغة بالفعل فإنّه لا يوجد مكان يحوي الإله غير الوجه الإنساني، وهو الذي يدعو بشكل دائم إلى المسؤولية و التضحية، فالوجه سلطة لا يمكن قهرها، بل هو ذاته نظامًا، يجعل كل ما هو الهي متعلق بما هو إنساني:" إنّ صدمة الإلهي تتجلى من خلال تمزق النظام المحايث، ومن النظام الذي يمكنني أن أجعله تفكيري، ومن النظام الذي يمكنه أن يصبح ملكي، إنّه وجه الآخرين"[2]، و بهذا الشكل يصبح الإله نفسه هو إله الفقراء والمساكين، وإله للضعفاء، وهو الذي يخلق في الأنا ذاتًا مسئولة عن الغير، والحرص التام على عدم الإساءة إليه أو إهانته.

•يشير مصطلح"**ما وراء الوجود l'au-delà de l'être**" إلى أهم مكتشفات فينومينولوجيا الوجه، ليدل الوجه بذلك على إمكانات جديدة، ليصبح حدثا للاتيقي وتجليًا للإلهي، "فما وراء الوجود"الليفيناسي هو التفكير في الوجه بغير ظاهره، والتفكير في الإله غير الموجود في تعاليه الانطولوجي مفارق للطبيعة والخاضع لعملية محاولة معرفته وإدراكه بعملية المعرفة، وبالتالي نظرة الآخر تستمد وفق معنى فما-وراء l'au-delà.

[1]- Michaël de saint Cheron, entretien avec Emmanuel Levinas- 1983- 1994, p 28.

[2]- François Poirié, Emmanuel Levinas, qui êtes-vous, p 93.

يجد ليفيناس مبررًا للذاتية subjectivité التي تلزم الأنا بالمسؤولية الغير محدودة على الغير على باعتبارها المذنبة، أو على الأقل التي ترى نفسها مقصرةً في حق الإنسان الآخر، ولعل التجربة الاتيقية دين يقف إلى جانب الإنسانية، لذا يتوجب دائمًا على الشخص طلب الصفح من الآخر في حالة الإساءة إله أو الخطأ معه، فمسألة التقصير والإهانة التي يتعرض لها الإنسان هي ذات أهمية بالغة، أو يمكن أن نقول حسب ليفيناس أنّها أكثر أهمية من التقصير أمام الرب، لأنّه في نهاية المطاف يمكن للرب أن يغفر ذنوب العبد، بينما الظلم المرتكب في حق الإنسان قد لا يغتفر، وهنا يجد "ليفيناس" مبررًا في المشناهla Michna حينما تتحدث عن يوم الصفحle jour du pardon- le youm de kippour الذي ينص على مايلي:"تغفر ذنوب الإنسان المرتكبة أمام الإله يوم الصفحle jour du pardon أمّا الذنوب المرتكبة في حق الغير لا يغفرها(الإله) في يوم الصفح إذا لم يرضي الغير"[1]، لعل "ليفيناس" يجد ي هذا النص لا منطوق(non dit)، وهو أنّ يوم الصفح يسمح فقط بميزة حصول العبد على ذنوبه المرتكبة في حق الإله وبذلك تتطهر نفسه، لكن هل هذا يعني أن النفس المذنبة لا تحتاج إلى التوبة قبل ذلك؟ أم أنّها تكتفي فقط بطلب العفو من الإنسان الذي أخطئت معه؟

إنّ مسألة العفو من الإنسان الآخر هو ما تعلمه التوراة، ذلك أن الإنسان هو ذلك الأخ والجار، الذي يُلتمس فيه الإله، فقد قيل في النص السابق أن طلب العفو من الرب يحتاج إلى شرط طلب مرضاة الإنسان الآخر، ليكون الإنسان أوّل سبل طلب المغفرة والصفح، وبالتالي فإنّ قيمة

[1]- Emmanuel Levinas, quatre lectures talmudiques, p 35.

التقرب إلى الآخر هي نفسها قربة الإله، ليصبح بذلك الوجه أثرًا لقدسية العلاقة ولرؤية الإله، وبهذا الشكل يؤكد "ليفيناس" أنّ وسائل الصفح متاحة بين يدي أي إنسان لأنّ:"الإله بمعنى آخر هو الآخر بامتياز، والآخر باعتباره آخرًا هو المطلق الآخر،...وأداة الغفران بين يديّ من ناحية الجار، أخي الإنسان، الذين إن كانوا أقل بكثير من المطلق الآخر absolument autre فهما بمعنى آخر أيضًا أكثر من الإله، فلكي أحصل على عفوه (الإله)" يوم كيبور le jour du kippour "يلزمني أن أحصل على رضاهم..."[1].وبالتالي فإنّ الآخر هنا أصبح الوسيلة التي يُحصل بها على مغفرة الرب لكن ماذا لو رفض الإنسان طلب الصفح؟

تعتبر إمكانية الرفض ممكنة، فبالتالي لا مفر منها، وهذا لأنّه يوم الصفح بمجرد أن يوجد أكثر من شخصين، يمكن أن يرفض الآخر الصفح le pardon، فيترك ذاتًا غير مغفورة لها إلى الأبد، وهذا نتيجة للإثم المرتكب في حقه، فما طبيعة كل من الإثم المرتكب تجاه الإنسان وتجاه الرب؟

إنّ معاصي النهي والوصايا وعبادة الأصنام l'idolâtrie واليأسdésespoir وقوانين السبت le sabbat، هي ما يغتفر في يوم الصفح، لكن ما إن تم بفعل الندم والكفارة، "أمّا الذنوب المتمثلة في كل ما يلحق أي ضرر للجار سواء كان ماديًا أو معنويًا، أو أيضًا أي إهانة لفظية يتعرض لها، هو ما يمكن أن يعتبر إساءة تجاه الإنسان"[2]، "فليفيناس" هنا لا يفرق بين الإساءة للعبد والإساءة للإله، أي أنّ الأخطاء التي ترتكب تجاه الإنسان تعتبر جرائم ضد الرب، حتى أنّ أصل الخطأ مع الإنسان هو خطأ مع الرب، ولعل فعل الندم والشعور بالذنب هو الحالة النفسية للشخص حيال إساءته لغيره، الأمر الذي يدعوه إلى طلب العفو والتصالح مع الآخر، وذلك بمراجعة ذات كل

[1]- Emmanuel Levinas, quatre lectures talmudiques, pp 36.37.
[2]- Ibid, p 37.

شخص لأنّه لا يمكن لأحد أن ينوب عن الذات أمام الرب وهو ما يسمى•techouva، وهكذا يكون ليفيناس قد أعطى لليهودية نهجًا لصناعة الأخلاق الاجتماعية moralité sociale أعلى شأنًا من الممارسات الطقسية les pratique rituelles، فكان الأولى إرضاء الجار هو الجزء الأهم الذي منه يبدأ الدين قبل الاتيقا، وأكثر من ذلك هو ما يعده المرء أمام الرب.

يوجد نص آخر في القمار la guemara للأب يوسف بارهابو Youssef barhabou يقول فيه:" كيف يمكننا أن ندعي أن ذنوب الإنسان تجاه الآخرين لا تغتفر في يوم العفو بينما ما هو مكتوب من صموئيل(Samuel,1ch, 2): إذا احتقر إنسان آخر، اللهم Elohim سيصلحconciliera بينهم"[1].يرى ليفيناس أنّElohim هو نعمة حسنة لهم إذ يعتقدون أنّه سيغفر لهم الإساءة للآخرين، الأمر يحتاج إلى إدراك معنى اسم Elohim، فهل يعادل اسم الإله؟

إنّ الإجابة على سؤال من هو Elohim، تعني السلطة والقوة autorité et puissance وبالتالي تعني القاضي، أي أنّه حسب المشناه إذا ارتكب الإنسان خطأ تجاه الإنسان لا يتدخل الإله وإنّما تتدخل بينهم(الظالم والمظلوم) المحكمة الأرضية tribunal terrestre، وبالتالي العدالة هي التي تنصف، غير أن معصية الإنسان تجاه الرب تحتاج إلىtechouva أو فعل الندم .

•Techouva: "العودة"، أو "مراجعة الذات"، وهي صلاة أو طريقة في الديانة اليهودية، وهي متعلقة بمراجعة النفس وفعل الندم، أو هي سبيل نحو التوبة، وطلب مغفرة تجاه كل محضور أو خطأ ارتكب، هذه الطريقة ضرورية لأنّه لا أحد يستعيض عن الآخر أمام الرب، حيث يعبّر عنها ليفيناس بقوله:Techouva هي علاقة مع الإله، وحدث داخلي مطلق". يُنظر: Emmanuel Levinas, quatre lectures talmudiques, p 38.

[1]- Emmanuel Levinas, quatre lectures talmudiques, p 41.

المبحث الثالث:فكرة السياسة وإمكانية العدالة الترنسندنتالية

.." إنّ معرفة الإله كما يقول إرميا jerimé تعني: ممارسة العدل والصدقة..."

لفيناس، الحرية الصعبة

..." إنّ سلوك الناس الموحي بالعدل والمحبة هو سلوك مقدس..."

ليفيناس، الحرية الصعبة.

-نحو البحث عن العدالة الترنسندنتالية

1- الكلية والإنسانية

يأتي بحث ليفيناس في الفلسفة السياسية عبر إنسانية الإنسان، رافضًا بذلك نظرات الحقد والعنصرية الموجهة نحو فئة معينة من الناس، فالشعار الذي تحمله الكلية على المستوى الداخلي هو التمركز حول الذات، ورفض الاعتراف بالبرانية، حيث كل ما يوجد وكل الكائنات تكون في الذات، أمّا المستوى الخارجي هو اغتراب الإنسان وقمع حريته، في مقالة نشرها ليفيناس سنة 1935 بعنوان:التملص de l'évasion كانت ردًا على الممارسات اللا إنسانية للنّازية ضد الشعب اليهودي، فكان السبيل الوحيد لاستعادة الإنسان هو ضرورة الهروب من هذا الوجود الزائف، يقول ليفيناس:" إنّ وجود الأنا التي سمحت لنا الحرب وفترة ما بعد الحرب بمعرفته لم يترك لنا أي مجال للمناورةaucun jeu، الحاجة لأنّ نكون على صواب بشأن ذلك لا يمكن إلا أن تكون مجرد حالة للخروجd'évasion"[1].

إنّ السياسية المنتهجة من طريف النازية لم تكن تهدف سوى إلى استيلاب الوعي والحد من حرية الأفراد، في مقالة نشرها ليفيناس سنة 1934 معنونة بـ:بعض التأملات في الفلسفة الهتلريةquelques réflexions sur la philosophie de l'hitlérisme عبّر فيها عن جملة أشكال الاغتراب التام d'aliénation لليهود، فالنّازية هي تجسيد لإنكار حقيقية

[1]- Emmanuel Levinas, être juif-suivi d'une lettre à Maurice blanchot, Édition Payot et rivage, paris, 2015,p 13.

الإنسان ورفض لوجوده من جهة ومن جهة أخرى هي تعبير صريح عن تمجيد للقوى البائسة البدائية التي تمجد الروح الألمانية، يقول ليفيناس:" الهتلرية هي أكثر من مجرد عدوى أو جنون، إنّها إيقاظ المشاعر الأساسية، لكن من الآن فصاعدا، أصبح الأمر خطرًا بشكل مخيف، أو أصبح مثيرًا للاهتمام من الناحية الفلسفية، لأنّ المشاعر الأولية(الحنين السري للروح الألمانية) تخفي فلسفة، إنّهم يعبرون عن الموقف الأساسي للروح أمام كل الواقع ومصيره، إنّهم يجددون مسبقًا أو يصورون مسبقًا معنى المغامرة التي ستجريها الروح في العالم".[1] فالنّازية مارست سياستها باسم قوى العنصرية، ووصل بها الأمر إلى أنّ شككت في مبادئ الحضارة، ونتيجة ذلك صار الوجود مغتربًا.

لا يوجد أكثر من تحمل ثقل النازية من الشعب اليهودي، فقد أدرك تماما أنّ الأبواب موصدة أمامه، وأنّ هويته صارت مفقودة، كما أنّه لم تعد له أي نفس أو ذات، فالتاريخ الذي يصف النازية هو التاريخ الاستبدادي العنصري الذي قمع الحريات، وسياستها كانت تتم في المعسكرات والمعتقلات، فتجسدت في المحارق والقتل، إنّها في نهاية المطاف إنكار لما هو إنساني، فلم يكن غير تاريخ ولّد الرعب في نفوس البشر ولم يكن إلا سببًا في الآلام والمعاناة وجميع الشرور في العالم، يقول ليفيناس:"لم يشعر الجميع بتجربة الهتلرية كواحدة من تلك العوائد الدورية إلى البربرية، التي باختصار من أجلها نواسي أنفسنا من خلال استحضار العقوبة التي ضربتها معاداة هتلر للسامية l'antisémitisme إلى الخرافة العرقية– تجعل اليهودي يتذكر عدم تغير كينونته– كان عدم

[1]-Emmanuel Levinas, quelques réflexion sur la philosophie de l'hitlérisme, in les imprévus de l'histoire, biblio essai, fata morgana, librairie générale française, édition 04, mars 2017, p 23.

التمكن من القيام بذلك بالنسبة للكثيرين بمثابة نوبة دوار vertige، وضعية إنسانية وفي نفس الوقت يمكن للروح البشرية أن تكون يهودية بالأساس"[1].

يتجلى موقف "ليفيناس" من النّازية من خلال قراءته الفلسفة الهتلرية يومكن اعتباره كردة فعل على خطاب الجامعة الذي عبّر عنه "هيدغر" علنًا عن تمسكه بالنّازية 1933، لكن رغم ذلك بالنسبة "لليفيناس" يبقى من بين أهم فلاسفة القرن وهو الذي تأثر به كثيرًا، إلا أنّه من الصعب أن يكون قد سامحه جراء التزاماته بتوجهاته النّازية، وليفيناس نفسه قد تعرض لأشد سياسات النازية ضد الشعب اليهودي التي لم تستثني معه عائلته أيضًا، فالشعب تحت أي ظرف كان لم يكن ليرضى باستعباده أو لقتل إنسانيته فمثلاً أحداث 8 ماي 1968 في فرنسا التي استمرت لأسبوع ، كانت تعبر عن إرادة شعب كامل رافضًا للطبقية وداعيًا إلى الحرّية والمساواة، فكان مطلبهم الأساسي هو استعادة حقوقهم، وقد كان خروجهم نتيجة عالم متجمّد ومترسب يعبّر عن التعرض للعنف،"فلم يعد الشباب بالنسبة "لليفيناس" عصر انتقال أو انتقال ، بل هو مظهر من مظاهر إنسانية الإنسان"[2].

تتميز الروح الأوربية بالشعور التام بالحرّية والاستقلال فما يتعلق بارتباطها بالعالم، فماهية الإنسان تتشكّل وفق ذاته الحرّة التي لا تنتمي لأي تعريف خاص بالكلية totalité، فنصي ليفيناسquelques réflexions sur la philosophie de l’hitlérisme سنة 1934 و 1935 "de" l’évasion عبّر من خلالهما عن الرفض التام للفلسفة الهتلرية التي تصنف الأشخاص وفق معطيات دينية وعرقية، فكانت الحاجة الماسة لخروج من الذات من هذا العالم

[1]- Emmanuel Levinas, être juif, pp 59,60.
[2]- François- David Sebbah, Levinas, Édition Perrin, France,2010, p 174.

الضيق والنزوع نحو التعالي، ليصبح الإنسان بذلك منفصل عن العالم الذي يصنع وفق تصورات معينة والانفصال عنه يمكّن الذات من حصولها على الحرية لأنّ جملة صفات الإنسان تبقى مضافة للعالم فالفلسفة الهتلرية تمجد من يعتبرون أنفسهم جوهر الإنسان وروحه النقية الأصلية:" فالمعرفة جوهرية خالصة، محررة فما يتعلق بالعالم، لا أن يلتزم بالعالم، لكنّها أنا mais elle est moi.استبعاد الوجود. وهو الفعل نفسه للجسد، من حيث تأتي ضرورة الهروب de l'évasion، بالخروج الحقيقي من الذات de soi، وبالترنسندنس d'une transcendance"[1].

2- حقوق الإنسان

يأتي اهتمام ليفيناس بفلسفة القيّم والعودة إلى الحق والعدالة عبر تجربة الغير وذلك ضد الأنظمة الشمولية وبالخصوص تجربة النازية التي تمثلت في إبادة الشعوب، وبالخصوص محرقة الشعب اليهودي الذي صار يمثل أنموذجًا لمعاناة الإنسان عبر التاريخ، فالإصرار الذي يدعو إلى حقوق الإنسان يبدأ بالرغبة في تجاوز أشكال الهيمنة والعنف، نحو احترام الإنسان الأخر. لأنّ الشعور الذي عانى منه الفرد الأوروبي لم يكن في أساسه متعلقًا بالسلم، لأنّه عايش حربين عالميتين كانتا أكثر تجربتين دمويتين على الإطلاق، وقد عان منهما الشعب كل تجارب القمع والإبادة الجماعية التي كانت ترتكب في حقهم كالإرهاب، والبطالة، والفقر، والسجن، فكانت هذه جملة من النماذج قامت باستئصال كل ما هو إنساني، وترتب عنها أيضًا مرحلة لإعلان نهاية العقل المنتصر للمعرفة.

[1]- Emmanuel Levinas, carnet de captivité et autres inédit, p 56.

إنّ مسالة حقوق الإنسان ترتبط مباشرة بالعدالة التي تضمن للموطنين المساواة بينهم، والحق له دلالة بيولوجية حيث يشير إلى الحق في الحياة والحرية، وأنّه أيضًا من حق الأفراد أن يكونوا متساوون أمام القانون، وهذا التساوي يجب أن يجب أن يراعي كرامة الإنسان باعتبارها الحق الأصلي le droit originel ويتمثل هذا الحق في:"احترام الكرامة الإنسانية لكل فرد وحقوق الحياة والحرية ومساواة الجميع أمام القانون، وهذا يندرج ضمن الوعي الأصلي بالحق، أو الوعي بالحق الأصلي"[1].

إنّ طبيعة هذه الحقوق تستقل عن الأسباب والمعايير الاجتماعية والنفسية، فيجب أن تكون قانونية وتظهر في وحدة كل شخص من مجموع الأفراد دون سواء، وطبيعة هذه الحقوق تتمثّل بعدم مشروطيتها، أي يجب أن تُعنى بدرجة أولى بالفردية l'unicité بحيث تعطي لكل شخص حقه من بين المجموع، كما يجب أن تراعي غيرية كل فرد، خصائصهم التي يتميزون بها عن بعضهم البعض، إلاّ أنّ هذا لا يعني إعطاء الحقوق باسم الأشخاص وصفاتهم، وإنّما الفرد هو ذلك الذي لا ينفصل تمامًا عن الجنس البشري le genre humain ، أي التي تُعنى بالإنساني، فيصبح الفرد البشري جزء من الكل، لكن ذروته يبلغها متى يكون فيها متميزًا ومستقلاً عن غيره، لذلك يسميه"ليفيناس" بالمتفرد أما عن غيريته الشكلية التي تُعرّفه هي أنّ:"أحدهما ليس هو الآخر l'un n'est pas l'autre مهما كان محتواه، كل شخص مختلف عن الجميع وهو موجود بشكل منفصل، ويوجد من جانبها"[2]،"فلكل شخص غيرية المتفردaltérité de l'unique والمتميز incomparable"[3]،

[1]- Emmanuel Levinas, hors sujet, p 159.
[2]- Emmanuel Levinas, de l'unicité, inédit, rivage poche, petite bibliothèque, Payot, rivage, paris, 1985,p 38.
[3]-Emmanuel Levinas, hors sujet, p 160.

وبهذا الشكل تصبح الحقوق التي تنفصل عن كل رتبة collation تبين أن لكل شخص غيريته المطلقة، الذي يتمتع باختلافه وحريته، وتكمن حقيقة الفريد l'unique في تميّزه عن الآخر فأحدهما ليس هو الآخر، كل شخص مختلف عن الكل، وكل وأحد من الأفراد يستثني الآخرين، لأنّ يتواجد منفصلا، الجانب الإيجابي الفرد حسب "ليفيناس" هو إرادته في العيش وفي الحرية التي تؤكد أنانيته وجوانيته، أمّا الجانب السلبي في حريته يتمثل في استبعاد حريات الآخرين التي تحد من ذاته، إلا أنّ الأفراد بالرغم من اختلافهم وخصوصياتهم فإنّهم قابلون للمقارنة لذلك تعرض أنفسهم للحكم كما تخضع للموضوعية اللازمة لممارسة العدالة التي تعيد نشر السلام في النهاية، كما تهدف على اعتبار الإنسانية وحقوق الإنسان باعتبارها حقوق عالمية، تبدأ في أساسها في إضفاء الطابع الإنساني على الفرد وعدالته وسلامه، " فمن يذهب أولا؟ كيف يمكن المقارنة والوزن والحكم؟ فمشكلة "ليفيناس" برمتها تبدأ من التفكير في نفس الوقت في التفرد الذي لا يضاهي لكل شخص، والعدالة كمطالبة بين مالا يضاهى"[1].

إنَّ حقيقة الفرد l'individu الإنساني تكمن في انتمائه إلى الجنس البشري، فالفرد يختلف عن الآخر، ويتواجد منفصلا، فالكل هو آخرًا بالنسبة للجميع، فالذي يتمتع به الشخص في فرديته وانفصاله هو شرط الحرية، كما أنّ الفرد ينفتح على السلام البشري من الدولة والمؤسسات والسياسة يقول ليفيناس:" الفرد l'individu، إنسانية الإنسان، الشخص في الفرد ، مصدر حقوق الإنسان ومبدأ كل تبرير"[2]، فالفردية تراعي اختلاف الأشخاص ، وفي تميّزهم عن بعضهم البعض، فالآخر

[1]- jean François Rey, le passeur de justice, Michalon, 1997, p 21.
[2]- Emmanuel Levinas, entre nous, p 210.

يصبح غير قابل للاندماج، وغير قابل للاختزال، فقط المتفردl'uniqueاهو الآخر تمامًا، والشخص الفرد هو مصدر كل حقوق الإنسان، كما أنّه دعوة للتعددية البشرية التي تراعي في البداية كرامة الفرد، وبذلك المسؤولية تجاهه تكون بمثابة مسؤولية على المحبوب،لأنّه أيضًا المطلق الآخر والعدالة ليست سوى حب القريب وحقه الأصلي في التفرد، والغير عند "ليفيناس" بطبيعته هو الوجه الذي ينظر إلى الذات، فنظرات هذا الغير باعتباره القريب تكون دائمًا بعيون الغريب الذي يلزم الأنا بالرد، فالطيبة la bonté هي التي نقابل بها أوّل القادمين، باعتبارها حق للإنسان الآخر، العدالة التي تتوقف على الفرد تكون ضمن الذاتية التي توصل بعلاقة القربة بين الأنا والآخر، يقول ليفيناس:"أريد أن أقول بشكل مغاير، أنا ضد الحق السياسي للدولة، بتشجيع العلاقة التي تعترف بالشخص الفرد"[1].

وبما أنَّ الحق يعطى للفرد فيجب أن تتم المساواة بين النّاس، لأنهم يجب أن يتمتعوا بنفس الحرّية، ونفس المعاملة، فهويتهم تتشكل وفق الترنسندنتالي والاختلاف، إمّا مساواتهم تكون عبارة عن وجود من أجل الذاتexistence pour soi ، ومثل هذه الحرية امتحانًا للعدالة والسلم، يقول ليفيناس:"يعود الحق الإنساني droit humain إلى الدولة والى العقل الكامل logique de l'universel .وعلى الخصوص فإنّ حق الإنسان droit de l'home دون شك سيكون نظام محتم لانسانوية الفرد humanisation de l'individu وأيضًا لعدالته ولسلمه"[2] ولاشك أنَّ الإشارة إلى حقوق الإنسان العالمية والخاصة هي بلا شك النظام الذي لا مفر منه في

[1]- Emmanuel Levinas, oeuvres02, p 183.
[2]-Ibid, p 211.

إضفاء الطابع الإنساني على الفرد المتمثل في عدالته وسلامه، وهذا بعد ما عاش الإنسان الضمير السيئ الذي عايش الحربين العالميتين والقمع والإبادة الجماعية، والمحرقة والإرهاب والبطالة والبؤس.

إنَّ إقامة السلم يبدأ من تجنب القتل، فوراء الغيرية التبادلية للأفراد يوجد أمر تجنب القتل فأمر"لن تقتل أبدا" tu ne tueras point موجه إلى الأنا بشكل حصري، وكأنه موجه إليه فقط، فمثل هذا الأمر يؤسس لمسؤولية ترى أن العدالة تكمن في اعتبار إلا أن الفرد الوحيد المنتخب الذي يواجه الموت، فإقامة السلم متوقف على عدم اللامبالاة indifférence بالآخر واختلافه، حيث يكون الواجب هو السماع له، والاعتراف بحقه، حيث تُصان كرامته كأنها كرامة المحبوب، يقول ليفيناس:"المسؤولية التي تكون لأجل الآخرl'un pour l'autre هي إجابة على أول لغة أساسية، تفترض السلامpaix، وتؤسس لحب دون شهوة، بأخذ فيه حق الإنسان، حق المحبوب أي كرامة الفرد، معنى"[1]، أي أن السلام الحقيقي يكون معنيا بالتوجه نحو الآخر الغير قابل للامتصاص inassimilable والذي يرفض المقارنة والاختزال، أي إلى الآخر المتفرد ، فقط المتفرد هو الآخر المطلقabsolument autre .

[1]-Emmanuel Levinas, de l'unicité, pp 52.53

3- العدالة والشخص الثالث:

السؤال الذي يطرح في السياسة عند ليفيناس هو: هل يمكن التفكير في العدالة انطلاقًا من الوضعية الاتيقية وجهًا لوجه؟ أو هل يمكن التفكير في دولة اتيقية تعترف بالتعدد؟

طبيعة السياسة لا تنفصل عن الاتيقا، كما أنّ العلاقات الإنسانية بدورها تنفتح على السياسة وعلى قضية العدالة، إذ لم يعد التفكير في العدالة متوقفا على السياسة وإنما صار عبر الاتيقا التي تمثل منعرجًا يعني للفكر السياسي، لأنّ ليفيناس يرى أنّ قدوم السياسة متوقف عل الاتيقا باعتبارها فلسفة أولى، لذلك يصبح الحديث عن الميتابوليتيك métapolitique• بدل السياسة politique ،التي تعني الانتقال من وضع إلى آخر، فالسياسة تجعل من الاتيقا أساس لها، وبالتالي فإنّ حضور الآخر هو الذي يرسم معالم السياسة،" فالمجاورة proximitéتعني التعرض للآخر بأخوة وإنسانية، "وبذلك فإنّ ارتباط الاتيقا بالسياسة :هو العدالة والحب"[1].

فعند الحديث عن إشكالية العدالة لا يجب أن تتوقف العلاقات فقط عن شخصين، فالإنسان ليس الكائن الذي ينغلق على ذاته، بل هو الذي يستقبل الآخر، فالمجتمع الإنساني يتشكل عبر مجموعة من الأفراد وهم نفسهم من يؤسس للعدالة، فهناك دائمًا الثُلث والربع، ولهذا كان الشرط

---

métapolitique•: هو لفظ يستعمله "ميقال أبنصور" Miguel Abensour وله دلالة تقنية ويشير به إلى حالة الخروج من السياسة politiqueإلى شيء آخر تمامًا هو الميتابوليتيكmétapolitique ، وبهذا فهي ترسم منعرجا نحو المسؤولية على الآخر، أي بالتفكير في السياسة عبر الاتيقا والوجه، فالبرغم من أنّ ليفيناس لا يستعمل المفهوم métapolitique إلا أنّه فكر في السياسة عبر الوجه، واعتبر أنّ العدالة تتوقف على حضور الغير وفي إقامة السلم معه. يُنظر: Miguel Abensour, Emmanuel Levinas, l'intrique de l'humain- entretien avec Danielle Cohen –Levinas- entre métapolitique et politique, Hermann éditeurs, paris,2012, p-p 91-94.

[1]- Marie Monnet, la relation à l'autre, p 114.

العدالة الوحيد عند ليفيناس هو التعدد، فالشخص الثالث le tiers هو طرف في علاقة الأنا والآخر.

يعتقد ليفيناس أن العلاقة البينذاتية "وجهًا لوجه" تعود إلى دولة الحق، وهذا يأتي كنقد للعدالة المؤسساتية الغير شخصية، يقول ليفيناس:" إذا كنتُ وحدي مع الآخر ، فأنا مدين له بكل شيء، لكن هناك الثالث le tiers. هل أعرف ما إذا كان الطرف الثالث لديّ معه استخبارات، أو ضحيته؟ من هو جاري؟ لذلك يجب علينا أن نزن، أن نُفكر، أن نحكُم، وأن نُقارن مالا يضاهى. فالعلاقة الشخصية التي أقيمها مع الآخرين، يجب أن أقيمها أيضًا مع أناس آخرين، لذلك هناك حاجة لتعديل امتياز الآخرين، ومن هنا تأتي العدالة"[1].

إنّ حضور الشخص الثالث يجعلنا نلتقي معه، فهو مجموع الأشخاص الذين نلتقي معهم، وهم نفس الأشخاص الذين يتحدثون نفس اللغة، وكل هؤلاء يحضرون ضمن لقاء الذات بالجار، فالشخص الثالث يختلف عن جاري أو قريبي في المسؤولية، فمتى حضر الشخص الثالث تضاعفت المسؤولية لأنّها مسؤولية عن القريب أو الجار وعن الشخص الثالث، فيجب أن يأخذ بعين الاعتبار كل الادعاءات الخاصة بهم، لأنّها ليست موّحدة، فالعدالة يتم التنظير إليها وفق اختلافاتهم، مما يستوجب ضرورة مقارنة ما هو غير متوافق، أو مالا يتضاهى، مقارنة تخص تفرد وخصوصية كل

[1]- Emmanuel Levinas, éthique et infini, p 84.

واحد منهم:" أن تحول مسؤوليتي في حضور الثالث مرتبط بضرورة مقارنة الآخرين وادعاءاتهم وأوضاعهم من أجل العدالة"[1].

يصبح الأنا في ظل تواجد الغير والشخص الثالث مسئولا عن اللا مساواة inégalité حيث يصبح الغير بعلو أوامره بمثابة عدل مع الأنا، لأنّ الآخر يكون عبر العلاقة الحضورية ذلك الفقير الذي يكون بداية إعلان العدالة ونسيان الذات، فالشخص الثالث لا يتحدث إلينا إلا بعيون الغير فالشخص الثالث يولد مسؤولية عن القريب في حالتها لفريدة التي لتشبه الجميع، فالثالث هو قريبي وهو من يعبر عن الإنسانية ككل لذلك توّجب الاعتراف به، يقول ليفيناس:"العدالة تتوقف على الاعتراف بأنّ الآخر هو سيّدي"[2]، فبمجرد حضور الوجه- الآخر اللانهائي- الفقير، الشخص الثالث tiers أي بالمعنى الذي يجعل كل الإنسانية تنظر تجاهي، يكون النظر إلى العدالة بهذا المعطى وهو ما نسمعه عبر نداء الوجه، فالشخص الثالث يحضر كلما حضر الغير، وهو الذي يتكلم من خلاله، لهذا يجب على الذات أن تمارس العدل مع كليهما، والأنا دائمًا يحس بنظرته كما يحس برغبته في أن يصبح أخًا، أو عضوًا في الإنسانية التي نمر إليها من خلال نظرات الشخص الثالث التي تنطلق من الغيرية التي يُبنيها الأنا حيث يكتشف وجود الآخرين، الجار، الغريب، الذين معهم تتشكل العدالة ومعهم يبدأ التعدد:" فالتعدد معطى في عنصر الغيرية، وليس لأنّ التعدد مرتبط بوجود الثالث، فالجمع يكون لأنّ الآخر لديه آخر، جار مزدوج الغيرية بالنسبة لي"[3].

[1]-Joélle Hansel, Levinas in Jerusalem, p 77.
[2]- Emmanuel Levinas, totalité et infini, p 68.
[3]-jean François Rey, le passeur de justice, p 46.

يحمل الطرف الثالث الإنسانية كاملة، وهي نفسها التي نراها بعيون الغير، فمتى كان للقاء بالغير كانت هناك تجربة إنسانية تتحقق مع الإنسان، ولهذا السبب ليفيناس لا يعتبر الشخص الثالث ذلك الذي يقدم صورة الإنسانية، فالإنسان يظهر من خلال تفرده، من خلال حقوقه وحرياته التي تتأسس على اختلافه عن غيره، والتي تجعله منفصلاً عنهم، وبهذا الشكل تتجلى الإنسانية من خلال فردية الأشخاص، ولهذا السبب كان "ليفيناس" حريصًا على إقامة العدالة مع الغير، لأنّ العلاقة مع الغير تكون دائمًا مع الثالث، والثالث هو أيضًا القريب، وهو أيضًا ما يستبعد لمعاملة بالمثل، فالمشكلة الأساسية تتمثل في أن تُقارن وتزن، وأن تقيم العدل، فإن كنا بحاجة إلى لإنصاف فنحن بحاجة إلى المقارنة والمساواة، أمّا فما يخص العدالة فهي تنطبق فقط على العلاقة مع الثالث أكثر مما تنطبق على الغير، لأنّ الثالث هو بداية الفلسفة السياسية وظهور العدالة، قبل مجيء الشخص الثالث يعني لا وجود لأيّ قضية عدالة، لكن في الواقع العلاقة مع الغير في أيضًا علاقة تولد العلاقة مع الثالث، فالثالث هو منطلق العدالة، بينما الغير هو منطلق الإنسانية وإشارة إلى الشخص الثالث أيضا، يقول ليفيناس:"...فبالفعل يتم تمثيل الثالث في الغير، فحين ظهور الغير، يكون الثالث قد نظر إليّ بالفعل".[1]

إنّ دلالة الشخص الثالث هي المسؤولية الغير تناظرية، والتي تخول كل الحرية والسيادة للإنسان الآخر، وهذا لأنه المطلق والمتعالي الذي يتسيّد، فالشخص الثالث يقدم لنا الإنسانية كاملة، رجل أو امرأة، قريب أو بعيد، فهم جميع أجزاء يساهمون في تشكيل معنى التعدد الإنساني،" فالشخص الثالث

[1]- Emmanuel Levinas, de dieu qui vient à l'idée, p 133.

لا يظهر مباشرة، لكنّه ينظر إلى الأنا بعيون الغير، فهو شخص ثالث تصوري يتمثل من خلال الأخوة الإنسانية"[1].

4- العدالة الترنسندنتالية: نحو عدالة الإله.

هل تتوقف المسؤولية على الأخر الميتافيزيقي دون العدالة؟

هل العدالة الترنسندنتالية يختص بها الإله؟

يمكن للعدالة أن تصبح قيمةً أخلاقيةً كلما كانت متعلقة بالاعتراف بالآخر، فالآخر هو الكائن الوحيد الذي لا نكتفي بالنظر إليه، وهو الذي لا نستطيع أن نلتقي به دون أن نشرح له سبب ذلك، الشرح هنا يتضمن الرد على أسئلته، والاستماع له، إعطاءه الحرية والاستقلالية، الاستماع بالأساس يكون بالمسؤولية، فالعدالة في المقام الأول مطلب احترام وحب، واعتراف، فالذات لا تتعلق بالآخر إلا حارسة مطيعة، لأنّ الذين يدخلون معها في غيرية تتوجب عليها عدالة تختلف تمامًا عن عدالة المؤسسات، لأنّ عدالة المؤسسات في أصلها تتطلب المساواة، ومعاملة الجميع على سواء، فالأنا في خضم هذه العدالة يقوم بمسؤولية شاملة تراعي الاختلاف واللا- مساواة، والانفصال التام، لأنّ الشخص الغير يقدم نفسه في صورة هشة ضعيفة تثير إغراء القتل والاغتصاب وإغراء الشفقة معًا، لأن يقدم لنا في صورة الأرملة واليتيم، والفقير الذي لا يكاد يجد ما يقتات به، وعليه تكون المسؤولية بدافع اللا- عدل والتي في أساسها روح التضامن والرحمة والشفقة وباعتبارها صدقة، وتتم بطريقة

[1]- Francisco Xavier Sanchez Hernandez, vérité et justice ; dans la philosophie de Emmanuel Levinas, l'harmattan, paris, 2009, p 271.

عفوية من الذات لأنّها ملزمة من اللانهائي بأمر كان قبل حرية الذات، لذلك العدالة هنا لا تقبل المعاملة بالمثل، فالآخرون يعرضون كأشخاص متفردين، مستقلين، لا يتشابهون معنا، فهي عدالة لا تمليها النفس على الفرد، بل نابعة من التعالي الديني الذي يوصي بتعاليمه عليها، والتي تنص بإنصاف الفقراء ومن تحق فيهم، فتطبيق العدالة له طريقً مقدسًا يتم به معرفة الإله، فمثلما يرى ليفيناس تتم" معرفة الإله وفق الآية 16 من إصحاح ارمياء22 أنّها تتم بإنصاف الفقراء والبؤساء"[1].

تمثل العدالة طريق معرفة الإله، وهي لا تستقيم إلا بالمحبة المخولة لأصحابها المذكورين في الآية السابقة، المحبة بهذا الشكل تساهم في إقامة مجتمع يسود السلام والعدالة والاقتصاد المطلوب، فمثل هذا النهج يجسد طريق النبي المسيح، الذي لم يكن أبدًا يهتم بدعوة النّاس إلى معرفة الروح وخلود النفس أو طرق الخلاص، وإنّما إلى الاهتمام بالفقراء والبؤساء، فنحن نقتلهم متى رفضنا تقديم العون لهم، بهذا الشكل تكون اليهودية قد قدمت درسًا للترنسندتالي الحقيقي، الذي يبدأ من محاسبة النفس على أخطاءه أمام الغير، فمراجعة الذات يعني التخلص من النرجسية والمعرفة التامة بمدى التقصير والذنب المرتكب الذي سبب أذى وإهانة للغير، لذلك متى كانت الذات في اتصال مع الغير كانت بذلك في علاقة مع الإله، لأنّ الإله ليس سوى سلطة تتحكم في الإنسان بتطبيق العدالة، فيقدم نفسه كمقاومة اتيقية تمثل سلطة الوجه، فلهذا السبب كانت رؤيته متعذرة على الإنسان وعلى موسى النبي، فأهميته تكمن في تعاليمه، في خطابه، وفي سلطته، وفي وقوفه إلى جانب الإنسان الضعيف والمظلوم، لهذا السبب كانت لا مرئية الإله– تحجبه– أكثر أهمية من معرفته نظريًا أو وجوديًا من خلال

[1]- Emmanuel Levinas, les imprévue de l'histoire, p 160.

طرق البرهنة عليه، وبهذا الشكل يعبّر "ليفيناس" عن هذا الإله والعدالة بالقول:" أنّ الإله devin يمر من خلال الناس ويرتبط بالعدالة الاجتماعية، فذلك هو روح اليهودية"[1]، فطريق الإله هو طريق العدالة، وهي بدورها لا تحقق إلا بالعلاقات الإنسانية، ومتى كان الطريق معروفًا وممكنًا، كان تحمّل الصعاب والمعاناة ممكنًا، لذلك فالذات تتحمل الاضطهاد، وتتحقق فيها السلبية بكل معانيها لأن مطلبها الأوّل هو "المقدسle sacré ومعرفة الإله، فتقبل عدالة تتم بالانتخاب من الماضي، من لا زمنيته ، من اللانهائي، فهي عدالة تتم مع لا تزامنية الأنا والآخر diachronique، وعلية فإنّ الذات تفقد الحرية، وتكون مسئولة إجبارًا، تنفيذًا مقررًا من الماضي الذي لا يمكن تداركه، وهذه العدالة هي الداعية إلى تخويل النفس للمسؤولية بشكل غير محدود إلى درجة الهوس، لا تضع حدودًا لنفسها، وهو مثلما يقول عنها "ليفيناس" في الكلية واللانهائي:" العدالة لا تشملني في ميزان كونيتها، العدالة تدعوني إلى تجاوز خط العدالة المستقيم، وبالتالي لاشيء يمكن أن يشير إلى نهاية هذه المسيرة، خلف خط القانون المستقيم، تمتد إلى أرض الخير والغير مكتشفة وتتطلب كل الموارد ذات الحضور الفردي"[2].

في خضم عدالة الذات يتم السؤال عن حرية الذات، والذات بالطبع لا تكتفي بالموافقة وإنّما أن تقدم الكثير، أن تصنع الاستثناء والتميز، وبالتالي الإنسان ليس بحاجة إلى عدالة ذات نظام معين أو أُطر قانونية، فعدالة الفرد النابعة من ذاته تكون أبلغ، وأفضل، وهذا مطلب إلهي ومقدس، فليفيناس لهذا السبب يرفض أن تكون علاقة مشابهة للقصدية والترنسندنتالي بالمعنى "الهوسرلي" أو

[1]- Emmanuel Levinas, difficile liberté, p 36.
[2]-Emmanuel Levinas, totalité et infini, p 274.

بالمعنى "الوجودي الهيدغري"، فالدافع لتقبل مثل هذه العدالة هو الإنسانية التي يدعو إليها الإله، ليصبح حضور الإله المتعذر رؤيته في الوجه أو الوجود متحققًا في علاقات المحبة والأخوة والتعاون بين النّاس والتي تصنع بذلك المجتمع، "فليفيناس" يرى:أنَّ " العدل الذي سيحكم العلاقات بين الناس يعادل حضور الإله بينهم"[1].

إنّ محاولة تطبيق العدالة ليس بالأمر الهيّن، لأنّها تتعقبها معاناة لا تحاول الأنا التخلص منها، لأنّ مطلب الهي ومقدس، لذلك كانت المسؤولية على تحقيقها مجانية، فالعدالة لم تبقى نظرية مجردة، بل وأصبحت متواجدة بيننا حيث تسمح لنا كيف نسمح للإله أن يحضر من خلالها ويعيش بيننا، ففكرة التوراة تغرس هذا المبدأ في نفوس النّاس حسب ليفيناس، كما أنّ الإله يفصح عن وجهه اللا مرئي بإجرائية العدالة، وهو ممكن التجّلي والانكشاف اتيقيًا وإنسانيًا، فكانت اليهودية إلى جانب المسيحية نظامًا واحدًا يحرص على حفظ الأخوة الإنسانية، بفرض إقامة التسامح والتضامن وفرض الإيثار، وإن لزم الأمر تحمّل الآلام مقابل تحقيق مجتمع الإنسانية العالمية، فمثلما يرد ليفيناس آيات ونصوص تنهى عن الخطايا وتتوعد بالعقوبات وذلك بالقول:" قال يوسيل بن سوسيل:" إلهنا إله الثأر وتوراتنا مليئة بعقوبات الموت من أجل الخطايا العرضية"،...ومع ذلك يأمر إله الناس أن يحبوا كل مخلوق يشبهه فبسببه أُريقت دماؤنا منذ ما يقرب ألفي عام"[2]، وهكذا رأى "ليفيناس" أنّ إنسانية الإنسان الحقيقة تدخل إلى العالم بكلمات قاسية من الإله ، لكن بالطبع ليس حضورا عيانيًا وحسيًا

[1]-Emmanuel Levinas, difficile liberté, p 57.
[2]- Ibid, p 192.

بل بالقانون وتعاليه لا يولد أي خوف أو اضطراب، بل يولد الذات أفكار مميّزة تدخل بها في عالم الإنسان.

يمثل الأمر الميتافيزيقي تعليمًا ولغة ترنسندنتالية تتعلق بفكرة الإله الذي يتجلى باعتباره وحيًا révélation عبر وجه الغير، وهذا الوجه بدوره يستمد قوته وسلطته منه، باعتباره حاكمًا ومستبدًا، فعدالة الإنسان هي عدالة أمام الإله، لأنّها طاعة للأمر الذي يقدم للذات، فحقيقة هذه العدالة تتوقف على أولوية الإنصات والتنفيذ على الكلام، وأولوية الواجب على الحق، فالمسؤولية الاتيقية تعتبر إجابة للانهائي وتجسيدًا لحقيقتيه الترنسندنتالية، لأنَّ حقيقته تكون ضد الحرب والعنف، ودعوة للسلام، وإقامة الاختلاف، وهذا هو النمط الوحيد الذي يمكن به أن نشرح جميع لقاءاتنا بالآخر، وكذلك الموت من أجل الآخر الميتافيزيقي، الذي هو في الحقيقة موت من أجل اللا مرئي، اللانهائي، فمتى كان الاعتراف بأنّ الغير هو السيّد كان تحقق العدالة ممكنًا، ومتى غابت العلاقات الإنسانية يكون قد غاب معها الترنسندنتالي والإله، وهذا لا يعني أنّ الآخر تجسيدا للإله، وليس واسطة له، فغيابه تأكيد لحضوره وفعاليته كتعاليم دينية ووصايا إيتيقية وخطاب يحرص على ممارسة العدل، وتأتي أهمية العدل بعد رعب السياسة بحروبها التي تعارضت مع الأخلاق:" فالإله يتحقق في العدالة وفي الإنساني، عدالة فقط عندما تنكشف حقيقته"[1]..

[1]- Francisco Xavier Sanchez Hernandez, la vérité et justice, p 141.

خلاصة الفصل الثاني

عالجنا في هذا الفصل ثلاثة مباحث رئيسية وهي العدالة والفلسفة السياسية، وتجربة الأثر، والذاتية، وهي أسس إيتيقية محضة، لها بعد ترنسندنتالي به يفهم معناها، فتحقيق العدالة بشكل أفضل يكون بالحب والمسؤولية على الغير، عدم ارتكاب العنف والقتل، فالعدالة الاجتماعية الحقيقة تتحقق مع الإنسان وفي ظل العلاقات الإنسانية التي تراعي حقوق الناس، وتهتم بالأخوة التي لا تضع أي شروط، وهذا تعجز عنه المؤسسات والهيئات الرسمية في تحقيقه للمواطن، وهنا كان الأساس الترنسندنتالي الديني مهمّا جدًا لمراقبة صرامة تطبيق العدالة، ومعرفة حقوق الإنسان الأساسية، وجعل الأرملة واليتيم والغريب في المقام الأوّل لتطبيقها، فمعرفة هؤلاء وحبهم وإسعادهم دلالة على حب الإله ومعرفته الحقّة من الذات.

في المبحث الثاني من هذا الفصل نكون قد توصّلنا إلى قيمة الأثر باعتبارها حث أساسي دال على الماضي، للما قبل أصلي، ما قبل الحرية، للترنسندنتالي، فحقيقة هذا الأثر ميتافيزيقية تعود بدرجة أكثر للخطاب التعليمي الذي يلقّن الذات بوصايا وأوامر رسمية تتعلق بمصير النّاس وهذا بالنسبة لأهميته، أمّا حقيقته الأساسية فهو أثر للانهائي وللإله الغير مرئي، أثر لكل ماهو غير مرئي ومفارق لحقيقته، وهذا يفتح قراءته بصورة مختلفة،حيث يصبح هذا الأثر أفضل موضع تتجسد فيه الحقيقة الغائبة، فهو ربط أساسي بين الماضي البعيد بالحاضر المشتت الخارج عن أي نظام، كما أنّ الأثر يتجلى مع حقيقة الإله في قدرته، أي في قدرته على الخلق والإبداع، على عنايته بكل شؤون الإنسان والحياة.

أمّا في المبحث الأخير المخصص للذاتية أو المسؤولية، فهو مهم لمعرفة شروط هذه المسؤولية، التي تُخصص للآخر وللغريب، وللأرملة، الذاتية هي تخلص من تعالي الأنا وخضوع مطلق للغير،فهي التزام وانتخاب للذات، وهي انصياع وحالة تأهب لخدمة الآخرين، فهي حالة في المسؤولية وتخلص تام من أي نرجسية وأي شروط قبلية، إنّها إشارة الذي العلاقة الغير تناظرية، في وضع اللامبالاة، والهوس، والرهينة لما يمكن للذات أن تعاقب عليه جراء ما اقترفته من ذنب، ولهذا السبب المسؤولية حالة تأثرية، حساسية وسلبية للذات، في الأخير هي تذكير بالواجبات الإنسانية حيث عن الذنوب المرتكبة بين الناس لا تغتفر من طرف الإله، لذلك كان المسؤولية ابتغاء مرضاة الإله والتي تبدأ من العناية بالآخرين.

الفصل الثالث

فينومينولوجيا الفن والأنثوي

المبحث الأول: الفن والحقيقة الميتافيزيقية الترنسندنتالية

المبحث الثاني: الأنثوي والمقدس الترنسندنتالي

المبحث الثالث: قراءات لأهم أسس الميتافيزيقا الليفيناسية

مدخل الفصل الثالث

من أهم المفاهيم التي تخضع للقراءة النقدية فما وراء الوجه نجد الاستطيقا والأنوثة، فبالنسبة للفن نجد الكتابات الليفيناسية قليلة في هذا المجال، وهذا راجع إلى موقفه الصريح منه، ولعلّ أهم عمل أساسي فصل فيه آراءه حول مختلف الميادين الفنية نجد مقالته الأساسية المنشورة ضمن سلسلة مجلة الأزمنة الحديثة سنة 1948 تحمل عنوان:" الحقيقة وظلها" la réalité et son ombre، وهي بمثابة طرح نقدي أنطولوجي للفن الذي لا يمثل الواقع بأيّ صلة، لذلك سيحاول "ليفيناس" من خلال هذه المقالة اتخاذ موقف تجاه كل الأعمال الفنّية، فهو حسب رأيه لا يؤدي سوى وظيفة اللبس، أو عدم الفهم، ولا توجد لديه أيّ غاية استطيقية تنقذه من الغموض، فهو محتوم عليه بالسقوط في الغموض، ورعب الليل،وهو خارج الزمن، الاستطيقا بهذا الدور لا تؤدي أي وظيفة إيحائية، فهو تمامًا كما سبق وأن مثله أفلاطون بأنّه تقليد التقليد، فلا يدل على الأصل بأيّ صلة، ويرجع المبرر الحقيقي للتجربة الفنية عند ليفيناس إلى الرغبة الاستطيقية التي لا تريد تقحم ذاتها في حياة الناس، فهو يعبر عن غياب الحرّية، يريد من وراءه الفنان فرض أفكاره، ومثال ذلك لوحة الموناليزا، لوحات غوغول،...

أمّا بالنسبة لمفهوم للأنثوي فهو الذي يربطه بالترنسندنتالي لأنّه يجسد حقيقة لأثر الخلق، كحقيقة إنسانية تشكلت مع الإنسان منذ آدم وحواء، فهذا الخلق للأنثوي تجسيد للإرادة والقدرة التي تركت أثرها على الإنسان، وقررت منذ ذلك الزمن أنّه الفرق الحقيقي بين الجنسين لا يمكن في اختلافهما، فالخطاب التعليمي يوصي باحترام الجنس الآخر، فهو ينتمي للعلاقات الاجتماعية، وهو ينفتح على الآخر، لذلك ليفيناس يفرغ الخطاب الأنثوي من غرائزه الإغرائية والايروسية التي تُدنسه، وتصنفه ضم منطق متانة العلاقة وأصالة اللغة، والمكان....

ختمنا هذا الفصل والأطروحة بمبحث يحمل بعض القراءات المختلفة للأفكار الليفيناسية كالضيافة، مفهوم لشبيه، العنف الميتافيزيقي، استطيقا الوجه، العطاء المتبادل، فاعتمدنا على نماذج لعدة فلاسفة أمثال:"جاك دريدا"، "بول ريكور"، "مشيلا مرزانو"، إضافة إلى القراءة العربية التي قدّمها المفكر السعودي "عبدالله المطيري" من خلال عمله: فلسفة الآخرية، الآخر بين ساتر وليفيناس وبهجة الضيافة...

المبحث الأول:الفن والحقيقة الميتافيزيقية الترنسندنتالية

إنّ القول بأنّ الصورة عبارة عن صنم هو التأكيد على أنّ أي صورة بلاستيكية في نهاية المطاف وأنّ أي عمل فنّي في النهاية عبارة عن تمثال، أو توقف للزمن، أو بالأحرى تأخيره عن نفسه....

ليفيناس، الحقيقة وظلها.

1- الاستطيقا والإغرابيةexotisme: نحو نقد أنطولوجي للفن

تتوقف النظرية الاستطيقية عند "ايمانويل ليفيناس" باتخاذ موقف نقدي من العمل الفنّي من حيث المضمون والغاية، والوظيفية الأساسية في الفن هي التعبير، لأنّ الفنان يقول شيئاً وكذلك الرسم الموسيقي، إلا أنّ قولهم لا يتناسق مع وصفهم للفن، أمّا أساس الفن فهو الخيال المطلق الذي يجعل منه الفنان طريقاً لمعرفة المطلق، لكنّه يتوقف في نهاية المطاف على المعرفة la connaissance، فالفن منذ الوهلة الأولى يُتَهم "بالزيف" أو "التظليل"، ولهذا السبب لا يضعه "ليفيناس" فوق الاعتبار الجمالي، لأنّه يوضع فوق الواقع والحقيقة التي ينشأ منها، وبهذا يكون الفن قد فقد الجانب الاستطيقي الجمالي الأكاديمي،الذي يهدف إلى شعار الفن لأجل الفن، فقد وقع في الصيغة الخاطئة الزائفة، فالسبب هو أنّها تُحرر الفنّان من واجباته الإنسانية، فحسب "ليفيناس" الفن ليس مجرد لغة أو معرفة، فهو يقع خارج "الوجود في العالم « en dehors l’ «être au monde وهذا ما يبرر المهمة النقدية له والتي "تأخذ طابعًا إنسانياً من شأنه أن يشير إلى التدخل الضروري للذكاء للاندماج في حياة الإنسان وفي الروح اللا-إنسانية وانقلاب الفن".[1]لكن أين يكمن موقع لنقد في هذا الفن؟

إنّ المفهوم الجمالي في فلسفة ليفيناس الأول يميّزه الطرح السطحي الساذج، وقد يصبح أساسًا لعدوانية خبيثة، فطبيعة الفن تدعونا إلى التأمل، والذي هو تأمل الوجود الزائف الذي طُمست هويته عبر التمويه والتحويل، فهو يُحوّل المحتوى إلى صورة مجردة، وهو بهذا يسقط نفسه في دائرة التجريد، لأنّه لا يقوم سوى برسم ظلال له، أي أن تحل العناصر الجمالية محل الكائن نفسه، فهذه هي الفكرة الأساسية التي يقوم على أساسها ليفيناس بنقد الفن وإسقاطه في دائرة عتمة الوجود، وهكذا الجماليات لا تجد لها أي أثر سوى في التجريد والاغتراب، ولذلك لا يتم النظر إلى المواضيع الجمالية بناءا على سذاجتها وسطحيتها وإنّما إلى النوايا الخبيثة التي تكمن في أعماقها والتي لا أساس لها من

[1]- Emmanuel Levinas, la réalité et son ombre, revue les temps modernes, n38, 4 année, novembre, paris, 1984,p 772.

الصحة، وهذا ما يجعله بعيدًا تمامًا عن القيم الإنسانية، ويتعمد الفن في ذلك على اللامبالاة بالمسؤولية في الأعمال الفنية والتي يقوم بخلقها الفنّان، فلذلك لا تجد الصرامة والجدّية اللازمتين، وهو ما يعبّر عليه ليفيناس بقوله:" لا يمكن للفن أن يمثل القيّم السامية للحضارة، لأنّها تُعفي الفنّان من واجباته كإنسان ويضفي عليه نُبلاً سطحيًا وغير مستحق، وبالتالي لم يعد الفن ينطوي على- لامبالاة- التأمل، وإنّما بالأحرى على اللامبالاة باللا مسؤولية the indifférence of the irresposibility"[1].

هناك نقد لا ينفك عن ذهن المستمتع باللوحة الفنية ولا حتى القارئ، يحاول هذا النقد الكشف عن الغموض الذي يتلبسه، فهو يريد أن يجعل الذات منغمسة في المتعة الجمالية، فأهمية النقد هي أن يصبح وظيفةً مميزة في الحياة الأدبية ويصبح رغبة في الكلام، لأنّ النّاقد لا يُفكر بصمت، وكذلك الجمهور الذي يتأمل اللوحة لا ينغمس في المتعة الجمالية(الاستطيقية) la jouissance esthétique،لأنّه يشعر حينها برغبة في الكلام لا يمكن مقاومتها، لكنّ الفنان حينها لا يُعطي لهم فرصة لذلك فيتم إقصاء رأي الجمهور، فحتى وإن كانت هناك رغبةً في الكلام أو النقد لن يكون هنالك الوقت لذلك ولا حتى الحرّية على ذلك، فاللوحة الفنية هي انتهاء الكلام لأنّه حينها قد قيل كل شيء،" وبالتالي يجب لا يكون هناك أي شيء يمكن قوله من التجنب العام، هذا عندما يرفض الفنان أن يقول أي شيء بخلاف هذا العمل، حتى يسعد بصمت الشخص الذي لازال لديه ما يقوله عندما يقال كل شيء..."[2].

تتمثل الحقيقة التي تميز الفن والتي من خلال يبنى النقد الفني على اللبس، فهو يتناقض مع المعرفة التي تشترط الوضوح، فالحدث الموجود في الفن هو الغموض l'obscur ، إذ تسقط عليه نفس خصائص الوجود وهذا:"لأنّه لا يعرف نوعاً معيناً من الواقع،إنّه يتناقض مع المعرفة، إنّه حدث

[1]- Joëlle Hansel, Levinas in Jérusalem: phénoménologie, ethics, politics, aesthetics, springer, volume14, 2009, p 158.
[2]- Emmanuel Levinas, la réalité et son ombre, p772.

التعتيم ذاته l'obscurcissement ، أو سقوط في الليل، أو غزو الظل l'envahissement de l'ombre"[1]، فليفيناس هنا يصف الفن بنفس صفات الوجود، التي تعتمد على الغرابة، وهذا لأنّ الفن يبتعد عن الواقع، وعن الحقيقية، ولأنّ الأشياء الموجودة في الخارج لا تنقلها لنا اللوحة كاملة وبالتالي توجد علاقة انفصال وتباعد بين العمل الفني(اللوحة) والواقع، فهو وجود لعالم زائف، دون الحصول على درجة المعرفة الموضوعية،يقول ليفيناس:" الفن حتى الأكثر واقعية، ينقل هذا الطابع الآخر للأشياء، مع ذلك هي جزء من عرينا، في هذا العري الحقيقي الذي لا يعني غياب الملابس، ولكن إذا جاز التعبير، غياب الأشكال، وهذا يعني عدم تحويل المظهر الخارجي الذي تحققه الأشكال"[2]، فتجربة الفن تشبه الغيرية، وهذه الغيرية ينقلها الفن إلى الأشياء الممثلة، وهذا ما يشكل ما يطلق عليه ليفيناس في كتابه من "الوجود إلى الموجود" de l'existence à l'existantاسم الغرابة exotisme، ليشير إلى واقعه الغريب، فالغرابة تجلب تعديلاً للتأمل نفسه، لأنّ الأشياء تكون موجودة في الخارجdehors »« لكن دون أن يدل هذا الخارج على الداخل» « intérieur دون أن تكون مملوكة »« possédés بشكل طبيعي، وهذا يقود إلى إشكالية أخرى وهي استبدال الأشياء الخارجية بالصورة، إلا أنّ الواقع الممثل في الصورة لا يستوعب بالشكل الكافي، فلا يتم فهمه، لذلك لا يمكن الحديث عن أي علاقة بين الصورة والموضوع سوى عام غرابة، وانفصال يقول موراكامي:"إنّ المفهوم هو الشيء الذي يتم إدراكه، فالصورة لا تفهم موضوعها، فالموضوع هناك بعيد المنال"[3].

2/ الصورة وعلاقتها بالاستبدال

إذا كان فن الرسم• يُعبر عن نقل الحقائق الخارجية التي يقوم برسمها، فهذا يعني أنّه يستبدلها، أمّا فكرة الاستبدال في الفن تفيد حلول الصورة l'image مكان الشيء المرسوم، أي تأخذ مكان

[1]-Emmanuel Levinas, la réalité et son ombre, p 773.
[2]- Emmanuel Levinas, de l'existence à l'existant, p p 84,85.
[3]- Yasahiko Murakami, Levinas phénoménologue, p 87.

الموضوع الأصلي،فهي من تجعل من الفن تجريدًا وبعيدًا عن الحقيقة الموضوعية، كما أنّ الصورة هنا لا تكون علامة على الكائن، ولا مُعبرةً عن نية الأشخاص، لأنّ لقضية الأساسية هنا هي استبدال الشيء بصورته، لكن القضية الأساسية هي أنّ الصورة image تختلف عن المفهوم le concept

فالاختلاف بينهما هو أنّ المفهّوم هو الشيء المدرك أو الشيء المعقول، و من خلاله نحافظ على علاقة حيّة مع الشيء الحقيقي، فنستوعبه بشكل جيّد، في حين أنّ الصورة على العكس تماماً، فهي تُحيّد هذه العلاقة الحيّة، وهذا المفهوم الأصلي للفعل، إضافة إلى غياب عدم اللامبالاةdésintéressement• الفنية التي تراعي في نهاية المطاف الحرّية، فالذي يقوم به الفنان هو اللامبالاة، فهو يستمع إلى فنّه، إلى ذاته، لا إلى الجمهور، إنّ ما يقوم به الفنّان عند رسم لوحة فنّية هو استبعاده للحرّية، حيث يقوم على إثرها بتحويل الجانب الموضوعي إلى منطق للقوة تسيطر على الذات، وهي ما يشير إليها ليفيناس بمفهوم بالسلبية• حيث يقول:" تمثل الصورة قبضًا علينَا بدلاً من مبادرتنا: إنّها سلبية أساسية une passivité foncière "[1].

يشبه تأثير الصور على أنفسنا نمط الإيقاع le rythme، فالشعر مثلاً يُوّلد إيقاعًا، غامضاً، يعود إلى الطريقة التي يؤثر فيها الناظم الشعري علينا، بدلاً من القانون الداخلي لهذا النظام، في الإيقاع نتيجة حتمية وهي: أنّه لم يعد هناك وجود للذات، وهو نفسه ما يسميه ليفيناس بالسحر، أو

• مصطلح اللامبالاة الذي يستعمله ليفيناس كثيرا في أعماله قصد وصف نمط العاقة الاتيقية هو فكرة كانطية، حيث يستعمل كانط اللامبالاة في العمل الفني وحيث يتعلق الأمر بملكة الحكم والذوق، حيث أنّ الحكم يكون مستقلا عن وجود الموضوع، وبالتالي تشكل هذه اللامبالاة موقفا حياديا تجاه الموضوع، ليبقى العمل الفني موضوع حر، لا يتعلق بالمتعة أو الميولات الشخصية، يُنظر: yasahilo murakami, Levinas phénoménologue, p 87.

•يصف ليفيناس الصورة بالسلبية، والسلبية نجدها في الموسيقى والشعر، والأغاني، وفكرة السلبية هنا تختلف عن السلبية في الهوس الاتيقي، لأنّ السلبية في العمل الفني يحول الموضوع إلى القوة، وهذا يرجع إلى الطريقة التي يؤثر فينا الشعر مثلا، فقوانين الشعر مفروضة علينا دون أن نتحملها، وكذلك الصورة مارست علينا قبضها بالرغم من بعدها عن الواقع، وكذلك ما يقوم به الفنان هو استبعاد اللامبالاة désintéressement، أو استبعاد مفهوم الحرية الذي ينطوي عليه مفهوم للامبالاة، فالتأثير الذي تمارسه الصورة علينا يشبه تأثير الموسيقى، لذلك كان نعت ليفيناس للصورة بالموسيقية، فالفنان ملهم ، وممسوس،كأنه يستمع إلى وحي.

possédé, inspiré, l'artiste, dit-on, écoute une musse. L'image est musicale, passivité directement visible dans la magie, du chant, de la musique, de la poésie.

يُنظر: Emmanuel Levinas, la réalité et son ombre, p 774.

[1]-Emmanuel Levinas, la réalité et son ombre, p 774.

تعويذة الشعر والموسيقى، أمّا المكانة الأساسية للإيقاع فهي موجودة في الموسيقى، لأنّ عنصر الموسيقى يتحقق في نقاءه، بإزالة مفاهيم الواقع، فالصوت في الموسيقى هو الأكثر انفصالاً عن الشيء، وعلاقته بالمادة التي ينبثق منها ليست جزءاً من جودته، فهو يتردد بشكل غير شخصي، فهو أثر لانتمائه إلى الشيء، الصوت هو الأكثر بعدًا عن الواقع، فعند الاستماع له لا يستطيع المرء استيعاب كل شيء، فيكون حينها المرء خارج المفاهيم، فالموسيقى تنتمي إلى الصوت بشكل طبيعي، وبهذا الشكل تؤثر صورة الموسيقى على مشاعر الذات تحت وظيفة تأثيرية، يقول ليفيناس:"إنّ الإحساس ليس بقايَا من الإدراك، ولكنّه وظيفة مناسبة: الإمساك الذي تمارسه الصورة علينا، كما نقول اليوم هو وجود مع المفاهيم، فالحساسية تنشأ كحدث وجودي مميز، ولكنّها تتحقق فقط من خلال الخيال، فإذا كان الفن يتألف من استبدال الوجود بالصورة فإنّ الاستطيقا هي الإحساس طبقًا لأصل الكلمة "[1].

فالأصوات والألوان والكلمات تعود إلى الأشياء والمواضيع التي يقصدها العمل الفني،والألوان يكون ارتباطها بالأشياء الأكثر حميمية، فهي تبرز لوحةً ثوريةً، فحركة الفن تعتمد على ترك الإدراك لأجل الإحساس، وذلك باعتباره عودة إلى الشيء، فنحن نصل إلى الموضوع الفني بالإحساس، فيحصل التأثير الاستطيقي، دون أن يكون هذا الإحساس مادة قابلة للإدراك، ويعبر ليفيناس عن علاقة الإحساس بالفن بقوله:"الطريقة الموجودة في الفن حيث الصفات الحسية تشكل الموضوع، كلاهما لا تؤدي إلى أي موضوع وهي في حد ذاتها عبارة عن حدث الإحساس« l'événement de la sensation »باعتباره إحساس، أي بمعنى الحدث الاستطيقي« l'événement esthétique » يمكن أن يطلق عليه أيضاً موسيقية الإحساس la musicalité de la sensation »"[2].

[1]-Emmanuel Levinas, la réalité et son ombre, p 776.
[2]-Emmanuel Levinas, de l'existence à l'existant, p 86.

3/ الصورة والتشابه.

يعالج ليفيناس في هذا المبحث قضية التشابه la ressemblance باعتباره علاقةً للوحة الفنّية مع الواقع، أو هي مقارنة للصورة مع الوجود الخارجي، فيتساءل عن الكيفية التي يمكن من خلالها المقاربة بين الصورة والأصل، فالصورة تنقل إلينا العالم الذي تمثله فتخلق ما يسمى بالتشابه، إلا أنّ هذا التشابه هو تخيُّل للعالم عبر الصورة، فيتم هذا التخيل عبر العودة إلى الصورة الأصل، لكن التشابه مع العالم ليس لأجل المقارنة بين الصورة والأصل، بل كحركة تولد الصورة، فتُظهر العالم الحقيقي محاصرًا بين قوسين أو بين علامات اقتباس، لأنّه قبل أن يتم تمثل العالم على شكل صورة، يَلعب الخيال دوره الهام، فقبل رسم أيّ لوحة فنية يوجد ما يسمى بالصورة الذهنية l'image mentale، وهذه الصورة الذهنية بدورها ترسم لوحةً فنيةً داخلية الواقع، أمّا الحقيقة فتبقى دائماً في الخارج dehors، فالعالم يصبح متخيلاً ومصورًا، فمثلما يقول ليفيناس أن العالم ليس "ما هو عليه فقط، وما يكشف عنه في الحقيقة، بل سيكون أيضًا بازدواجه، بظله، وبصورته"[1]، فإذا كانت الصورة تنقل إلينا العالم الحقيقي في صورة متخَيلة، هل يمكن القول أنَّ الصورة عبارة عن رمز، أو إشارة، أو أنّها كلمة؟

إنّ الطريقة التي يمكن المقارنة بين الصورة أو الإشارة والرمز، هي نفسها طريقة تعلقها بالموضوع، أي عن طريق التشابه، وهذا يعني تركيز الفكر على الصورة ذاتها، فليفيناس يؤكد أنّه ليس هو نفسه فقط، بل يخضع إلى إدراكات وإسقاطات تخرجه عن حقيقته، أو بعبارة أخرى يهرب فأساس المقارنة بين العالم والصورة هو التشابه، فالصورة لا تمثل العالم وإنّما تشبهه فقط، لأنّها ليست الأصل، فالتشابه إذن ليس مشاركة مع الوجود في فكرة، أمّا الصورة فهي تقدم لنا أمثولةl'allégorie لأنّها تُعطي لنا حقيقةً مُشخصة عن العالم وعن الأصل، فهي عبارة عن تضاعف، فإذا كانت العلاقة بين الشيء والصورة تشابه، فإنَّ ما يوجد بين الرمزية هو الضعف

[1]- Emmanuel Levinas, la réalité et son ombre, p 778.

والظلال أو المبادلة الغامضة مع الواقع، فالرمزية حسب "ليفيناس" هي:" تبادل مُبهم مع الواقع la réalité، حيث لا يستند هذا الأخير إلى نفسه، بل إلى انعكاسه وإلى ظله، وما تقدمه لنا الرمزية في الأخير هو أنّه ما في الشيء، يكون هو نفسه الضعف، وقد يقول المرء أنّ الصورة هي رمزية الوجود l'allégorie de l'être "[1].

إذا كانت الصورة رمزية للوجود، فهي دلالة على غيابه، بمعنى أنّه ما هو عليه، لا يشبه إلا نفسه، فالأصل يُعطى هناك، فمتى حظرت الصورة غاب الوجود الحقيقي، والتفكير في الصورة هو أشبه بالتفكير في اللوحة•، أوفي رؤية الجسم الممثل، ففينومينولوجيا الصورة تتوقف فقط على فهم الصورة، التي هي موضع النظرة، فيبيّن وعي التمثيل أنَّ الموضوع غير موجود، لأنّ العناصر المدركة في اللوحة ليست هي الشيء، ولكنّها أشبه بلباسه، لا تمثل شيئاً، ولا تفرض نفسها، كأنّها تصور لنا كائناً يحتضر، اللوحة تنفصل عن الوجود لأنّ الوجود لا يشبه إلا نفسه، هو صورته الخاصة، ويمكن أن نسقط هذه القراءة على مثال الفارس، حيث أن فكرة الفارس لا تتولد إطلاقا من الصورة الممثلة له إلا أن الأمر مختلف تمامًا عند "هوسرل" مثلا أين نجد حضور "فكرة الفارس" حاضرة بقوة في الصورة، لأن الصورة في الأخير تعبر عن موضوعها، يقول موراكامي:" وفقًا "لليفيناس" فإنّ المعادلة التي يتم إجراءها في الصورة ليست مجرد لامبالاة فما يتعلق بالحالة الأنطولوجية، بل يمكن أن تمثل مشاهد العمل الفني، والتي تمتد للدائرة الموضوعية أو eidos للموضوع المشار إليه بالصورة، بالنسبة

[1]- Emmanuel Levinas, la réalité et son ombre, p 779.

•تعتبر اللوحة الفنية أساسًا للقراءة الفينومينولوجية، فلمّا يعود "ليفيناس" إلى التحليلات التي قدمها فينك Fink للوحة رسم الشجرة من خلال مقاله:(jahrbuch fur philosophie und phaenomenologis cheforschung) تعتبر كافية لوصف الإغرابية في الفن من منظور فينومينولوجي، إذ يتم توجيه القصد نحو إدراك الشجرة المرسومة، فصحيح أنّنا ندخل في عالم الصورة بشكل مختلف عن العالم الحقيقي، لكن عند فينك هذا العالم يعتبره غير واقعي ومحايد ومعلق من الوجود، ولم يتم تمييزه بالغرائبية وبالتالي لايشير إلى الداخل« dedans ، أي فقد جودته كعالم، علاوة على ذلك فإنّ حقيقة اللوحة التي تقطع قطعة من الوجود وتفصلها عن بعضها البعض لها وظيفة جمالية إيجابية... يُنظر: Emmanuel Levinas, de l'existence à l'existant, pp 87,88.

إلى هوسرل لا تكشف صورة الفارس سوى عن الفارس حتى لو لم يتم تعليق موقعه ككائن، أمّا بالنسبة "لليفيناس" فإنّ الفارس المصور لا يحتفظ بفكرة الفارس l'eidos chevalier"[1].

تنقلنا اللوحة إلى ما هو أدنى وأبعد عن الحقيقة، لترسم لنا عالم الغرابة واللغز، إذن"فاللوحة لا تقودنا إلى ما وراء الواقع المعطى au delà de la réalité donnée ، ولكن بطريقة ما إلى الأسفل ، إنّه رمز عكسي"[2].

فعلى أساس اللوحة يجب أن تُفهم الصورة فقط، وهكذا يعود ليفيناس إلى هوسرل وبالتحديد إلى مفهوم التحييد •la neutralisation de la thèse، والذي يربطه بالتشابه حيث يكون الوعي بغياب الموضوع في اللوحة عكس هوسرل•، فهي تدل على أنّ الشيء ليس هناك، كما أنّها تجسد رسم بدوره يكون هو نفسه اللاوجود، فلفظ التحيّيد la neutralisation وكذلك لفظ "اللا مبالاة الكانطي" يستعملهما ليفيناس للتعبير عن هذا الانحراف في الوجود والموضوعية وفي العمى la cécité فما يتعلق بالموقف الجمالي، يقول ليفيناس:" إنّنا من خلال العمل نحافظ على علاقة

---

[1]- Masahiko Murakami, Levinas phénoménologue, p 89.

[2]- Emmanuel Levinas, la réalité et son ombre, p 779.

• •بالنسبة لهوسرل: هناك ثلاث لحظات مميزة في الرسم يلخصها كما يلي: لدينا ثلاث أشياء هي:

-1الصورة المادية : l' image physiqueالشيء الموجود في القماش والرخام.

-2الشيء الذي يمثل أو ينسخl'objet représentant ou copiant

3- l'objet représenté ou copié، وهو الكائن الممثل، فهذا الأخير يمثل بالشكل: صورة- موضوع، (l'image- sujet)، (bildlsujet).

بالنسبة للصورة الأولى –الصورة المادية l'image physique

أمّا للصورة الثانية وهي الممثلة أو الصورة- الشيء(l'image- objet(bildobjekt ، فالصورة–الشيء ليست الكائن الممثل نفسه، وإنما شيء يمثل كائنا يشبهه وبالتالي يشير إليه كممثل. الصورة ليست في مادية اللوحة ولا في الشيء المصور، إنها بمعنى ما وفي مكان ما. في حين انه عند ليفيناس الشيء يغيب يستبدل بصورته، فالصورة اقل من الشيء أو هي كما يصفها باللاشيءnon objet

يقول هوسرل:" إن ما يسمى في الحياة اليومية بالصورة أو الرسم la peinture هو إذن اللحظة الثانية التي تسمى صورة- شيء: الصورة مثل صورة الشيء، تظهر بهذه الطريقة من خلال الألوان والأشكال المعطاة". يُنظر:

Husserl, phantasie, bildewbtsein, erinnerung, inyasuhiko murakami, Levinas phénoménologue, p 85

• بالنسبة لهوسرل صورة الفارس لا تقدم لنا سوى الفارس، حتى ولو كان كائنا معلقا، في حين عند ليفيناس الفارس المصور لا يحتفظ بالفارس الماهيةeidos.ليصبح العالم الحقيقي هناك بطريقه ما بين قوسين أو بين علامات اقتباس: يُنظر: ,

yasuhiko murakami, Levinas phénoménologue, p 89.

حيّة مع الشيء الحقيقي ونستوعبه ونتصوره، أمّا الصورة فهي تحيّد neutralise هذه العلاقة الحقيقة، وهذا المفهوم الأصلي للفعل، واللامبالاة الشهيرة للرؤية الفنية التي يتوقف عندها التحليل الجمالي للجماليات تعني قبل كل شيء العمى cecité فما يتعلق بالمفاهيم"[1]، فالعمى الذي يميّز المفاهيم الفنية ناتج عن تحيّيدها للمواضيع التي تصورها، تصبح مجرد صورة مزّيفة عن الواقع والحقيقة، وهذه خاصية الوجود الذي يعتبر مجرد ظل، أمّا الظل بهذا الشكل فيشكل خطرًا يتعلق بوجود الفن، وهذا الخطر يكمن في بعده عن الحقيقة والواقع وأكثر من ذلك يحاول تزيف صورة الحقيقة ويحاول الدفاع عنها كأنّها نفسها هي الحقيقة:"فبواسطته استبدال الواقع بالصورة، فالعمل الفني لا يقتصر على إخفاء الواقع أو تمويهه، بل يعدّله بطريقة جذرية، بحيث يتم فتح بعد من اللا واقعية داخل الواقع"[2]، فكل ما يبقى للعمل الفني هو عنصر الخيال، الذي يعجز عن نقل الوجود الواقعي، فهو لا يستعيده بقدر ما يطمسه، ويعلقه في غرابة حتمية،فالخيال لا يكفي لاستعادة الوجود الحقيقي، يقول ليفيناس:"إنّ نظرتنا للخيال دائمًا ما تنفذ، لكن الخيال يُعدَل أو يحيّد هذه النظرة، يَظهر العالم الحقيقي هناك بطريقة ما بين الأقواس أو علامات الاقتباس"[3].

من خلال منطق التشابه بين الوجود والصورة، يرى ليفيناس أنّه توجد علاقة غرابة بينهما، في ظل الازدواجية والمضاعفة، فالرمزية لا تمثل إضافة للفكر، بل تعني أنّ ما في الموضوع مزدوج، فعندما يستعمل الفن الصورة لا يعكس هذا الرمز فقط، بل يحققه، فالصورة تعبر عن رمزية الوجود أو الأصل الذي يبقى خارجًا، وكأنّ كأن "الأصل هناك يعطي نفسه كما لو كان ينسحب، كما لو أنّ شيئا ما في الوجود كان متخلفًا عن الوجود"[4]، ومتى انسحب الفن من الوجود يكون قد دخل في الرسم الكاريكاتوري والخروج عن الزمن فما المقصود بهما؟

[1]- Emmanuel Levinas, la réalité et son ombre, p 774.
[2]- Joëlle Hansel, Levinas in Jérusalem: phénoménologie, ethics, politics, esthetics, p 160.
[3]-Emmanuel Levinas, la réalité et son ombre, p 777.
[4]- Philippe fontaine, et Ari Simhon, Emmanuel Levinas, phénoménologie, éthique, esthétique et herméneutique, p 168.

4- العمل الفني وفكرة الصنمية : نحو لحظة الخروج عن الزمن

إذا كان الفن يهدف إلى الجمال، فإنّ هذا الجمال لا يتم إلا من خلال تعديل كاريكاتوري للوجود، لأنّ الجمال هو وجود يخفي الرسم الكاريكاتوري نوره الخاص، ويضرب ليفيناس هنا مثال le nez• camus كمثال عن التعديل الوجودي، لكن الحقيقة النهائية للصورة لا تتجلى في كمالها أو تناسقها، وإنّما في صنميتها، فالصورة باعتبارها صنم idole تقودنا للدلالة الانطولوجية لزيفها irréalité، وإلى اعتبارها مجرد تمثال statue ، يقول ليفيناس:" القول أنّ الصورة عبارة عن صنم، هو التأكيد في نهاية المطاف أنّ كل الصور بلاستيكية وأنّ كل عمل فني في الأخير مجرد تمثال- توقف زمني أو بالأحرى تأخره في حد ذاته"[1].

فليفيناس يقدم هنا التمثال للإشارة إلى علاقة الفن بالزمن الذي هو في حالة توقف وخروج عن الحياة، حيث أنّ الجمال يُصبح مجرد كاريكاتور، وبالتالي الدور الوحيد للصورة هو دلالتها الانطولوجية اللا واقعيةirréalité لأنّها تشبه التمثال، فالصورة الإبداعية في الفن قد تلاشت في تحطيم الدافع الإبداعي للحياة، وتوقفت في لحظة السقوط في مصير لا يمكن تجاوزه، وبالتالي فإنّ الأشياء المرسومة و المنحوتة تصبح حبيسة مصيرها أو في عدم قدرتها على فرض المستقبل، مقاومة لأيّ رغبة في الحياة فهي تظل خاضعة لأمر الضرورة الغير شخصية والعمياء، "فيستحيل معالجة الوجه المصبوغ أو

---

le nez camus•تعني من له أنف قصير أو مسطح، الغرض من المثل هو البعد الجمالي للفن، هنا يعود ليفيناس إلى فن العصور القديمة ويقارنه بالفن المقلد الذي يراه انه يصحح كاريكاتور الوجود، فالجمال la beauté هو كائن يقلد صورته الكاريكاتورية، ويغطي ظله أو يمتصه،-
beauté c''est l'être dissimulant sa caricature, recouvrant ou absorbant son ombre.

وقد رأى ليفيناس أنّ أعمال برنارد رونيه جيرودوكسGiraudoux Bernard René(1947- 2019) قد جسّدت الحقيقة الكاريكاتورية فيقول ليفيناس:" لقد تصورنا الصورة على أنّها صورة كاريكاتورية أو رمزية أو واقع خلاب يحمله الواقع من تلقاء نفسه، كل أعمال جيردوكس تنجز هذا التصوير للواقع بروح الاستمرارية التي لم يتم تقديرها...يُنظر.

. E, Levinas, la réalité et son ombre, p 781..

[1]-Ibid, pp 781,782.

المنحوت لأنّه لا ينظر إلى أحد ولا يخاطب أي شخص، حتى وفوق كل شيء إذا بدا أنّه يبحث عن الجمع فهو في الواقع لايشير إلى أي شخص آخر غير نفسه"[1].

يضرب ليفيناس نموذج التمثال للإشارة إلى كونه هيكل محروم من لحظة أساسية وهي الزمن الحاضر، فواقعه جامد وساكن، الحاضر ينسحب من وجوده، ليتركه بلا حول ولا قوة، فالحاضر هنا يصبح لحظة غير شخصية لأنّه متعلق بالتمثل ولأنّه أيضاً غير معروف، فوجود التمثال هو في النهاية رسم بلاستيكي، عبارة عن كابوسcauchemar وكذلك أيّ عمل فني في نهاية المطاف عبارة عن تمثال، فالشيء الذي يفتقد في العمل الفني هو المستقبل، لأنّه يدرك فقط يدرك في "اللحظة"، وهذه اللحظة لا تدوم، ما يعني أنّه لا حياة تُعطى للعمل الفني، فالفن هو حركة السقوط فما بعد الزمن، فهذا الفن يحبس نفسه في مصيره، ويعلن توقفه عن الحياة، فحتى وإن أراد الفنّان أن يعطي لعملها لحياة فإنّه لا يمكنه ذلك، وهو ما يعبر عليه ليفيناس بالقول::"أنّ الفنّان يعطي للتمثال حياة دون حياة"[2].

يعتبر الفن مجرد لحظة يعيشها الفنان، فبمجرد إخراج العمل الفني يتوقف وقته، ويستقر على صورة التمثال، يضرب هنا "ليفيناس" مثال "لوحة الموناليزا "la jaconde، والتي تبقى مبتسمة إلى الأبد، لكن ابتسامتها لن تزدهر إلى الأبد، لأنّ الاقتراب من المستقبل يكون قبل اللحظة الأساسية للحاضر،فاللوحة الفنية لا تخرج من الخلود، كما أنّه لا يمكن للفنان أن يضفي أي حيوية على عمله، لأنّه أعطاه حياة هامدة، وساخرة في بعض الأحيان، الحياة فيه لا تتحكم في نفسها، كما أنّ الفنّان لا يتحكم في عمله الفني، ليبقى مجرد صورة كاريكاتورية، فقيمة العمل الفني لا تتجاوز اللحظة، وجل الكائنات في الرسم الكاريكاتوري تصبح تحت قدر الفنّان، فالفن هنا يصبح مجرد السقوط في اللبس أو تحت لحظة الزمن، فهو بالنسبة لمؤلفه يبقى مجرد:"صورة كاريكاتورية للحياة، تسبب السقوط في

[1]- Catherine Chalier, trace de l’infini, p 258.
[2]- Emmanuel Levinas, la réalité et son ombre, p 782.

الليل دون السماح بأمل الفجر"[1]، فالمتعة الجمالية تكون جذابة إلى الحد الذي نخفف فيه من المسؤولية نحو هشاشة البشر والأشياء، فمثل هذه الجمالية تحاول ملء العالم بالأصنام التي لا تملك أفواه لتتكلم، فالرسّامون والنحاتون يعرفون جيدًا أنّ نجاح اللوحة لا يتمثل في إعطاء وهم الحياة بفصل الصورة المدركة بالنظرة العادية، فالتمثيل الفني في الواقع هو ضروري بشرط الإشارة إلى الحياة الغائبة، من خلال إعطاء الحساسية نحو إدراك الوجه الغير مرئي وراء الشكل، وراء الصورة، وراء الطمس، لأنّه يتعذر ذلك لأنّها مهمة لم تكتمل بعد.

تتميز لحظة السقوط تحت الزمن بغياب الحرية في العمل الفني، والحرّية لا تتوقف على التمثال أو الرسم، وإنّما توجد أيضًا ضمن الرواية، فشخصيات الرواية على سبيل المثال هي كائنات محكوم عليها بالتكرار la répétition اللانهائي لنفس الأفعال، وأنّ أفكارها ليست حقيقية وأنّها تقع خارج هذه الشخصيات، فشخصيات الرواية تبقى مسجونة، أفقد السرد حريتهم ومصيرهم، يقول ليفيناس:"شخصيات الرواية كائنات مسجونة، سجناء، لم تنته قصتهم أبدًا، ولا تزال قائمة، لكنّها لا تمضي قدمًا، الرواية تحبس النّاس في مصير على الرغم من حريتهم"[2]، فموضوع الرواية بالأساس يعود إلى الاختيار الطبيعي للحقائق، قد تكون على شكل أسطورة مثلاً، لكنّه يثبتها ضمن الإيقاع le rythme ،فالأحداث التي يرويها تشبه مثال بلاستيكي، وتشكل حالةune situation، ففي رواية السجينة "la prisonnière لبروست Proust "يوجد التتويج الشكلي للعمل الأدبي، في صورة للسجين، وأثناء حديثه عن "ديستوفتسكي"، فهو لا يحتفظ بالأفكار الدينية أو الميتافيزيقا، أو علم النفس، وإنّما يحتفظ "ببعض الملامح عن الفتيات الصغيرات وبعض الصور: بيت الجريمة مع درجه، والجريمة والعقاب، إضافة إلى صورة ظلية grouchenkala silhouette للإخوة كرامازوف "[3].

[1]- Catherine, Chalier, trace de l’infini, p 258.
[2]-Emmanuel Levinas, la réalité et son ombre, p 784.
[3]- Ibid, p 784.

5/ الاستطيقاوالاتيقا: أي علاقة؟

يعتبر الفن فريسة للظلال، لأنّه يدخل ضمن لعبة الانطولوجيا، وبالتالي يدخل في لعبة الزمن، يجسد موت كل لحظة، وتتجسد قيمته في اللحظة، وهذه اللحظة لا يمكن تجاوزها قصد ولوج المستقبل، لأنّ أصله غير قادر على الانتهاء، ولأنّه لا يعرف مقصدًا نحو النهاية، فكل ما هو حقيقي le réel يعيش في الذكريات، في الماضي، وتعاسة هذا الماضي من تسببت في إخراجه من ثلاثية الزمن، الحياة والإنسان، فتبقى قيمة الفن كائنًا ملموسًا ثقيلا، صالح للاستعمال والإفادة بصنميته كقيمة أنطولوجية تحث على التأمل الذي هو عدم اللامبالاة•dés-inter- essementويأخذنا إلى قيمة غامضة، فالفن الحر يشكل أساس في عالم المبادرة والمسؤولية "بعدا للهروب une dimension d'évasion"[1]، أمّا حقيقة الهرب فتبعده عن الحقيقة وعن الواقع الذي يجسده، فلا يشكل سوى واقعاً مزيفاً، وغير إنساني، فالصورة عبارة عن سلبية لأنّها تتملك العالم بالأصنام، وهذا العالم لا يتكلم، والصورة التي تتكلم تتميز بالغموض، كم أنّها تدخل إلى عالمنا بصمت "فالصورة لا تتحدث، إنّها صمت، لكنّها علاوة على ذلك تفرض الصمت على من يفكر فيها، بعيدًا عن إثارة العلاقة اللغوية بالآخر فهي تمنعه"[2].

يتحدث ليفيناس عن قيمة الفن التي تلاشت بين أحضان اللُبس، من خلال اللا مسؤولية التي يتكون ضمن عملية التأمل، فاللامبالاة في الفن تتعلق بهذه اللا مسؤولية، فهو ليس التزامًا بفصيلته التي تخصه، فصيلة هذا الفن تجسد تلك القيمة التي فُقدت في الحضارة، جعلت منه حدثاً للسخرية التي تستوجب النقد، والنقد يخص في المقام الأوّل الفنّان على تقبله على طمس الحقيقة، وعلى

•عبارة اللامبالاة تعود إلى "كانط" حيث تشير عنده إلى الموضوع الإدراكي الذي يبقى حرا بعيدًا عن المصلحة أو المنفعة أي يبقى الحكم غير مبال بالشيء، لا يربط الشيء فيه بالمتعة أو الاستياء، أو هو عدم اللامبالاة فما يتعلق بكل من الوجود الموضوعي للشيء، وفما يتعلق بالمفاهيم أو هو إغلاق المصلحة . يُنظر: yasuhiko murakami, Levinas phénoménologue, p 88.

يقيم ليفيناس عبارة اللامبالاة إلى ثلاث أجزاء وهي dés-inter-esser قصد دلالتها الاتيقية التي تحملها، فهي تكتب بهذا الشكل الايجابي للعلاقة مع الغير، فهي" لا يمكن قتل كائن" ne pas se tuer-à- être ، يُنظر Emmanuel Levinas, de l'oblitération, p 10.

[1]-Ibid, p 787.

[2]-Philipe fontaine, et Ari Simhon, Emmanuel Levinas, phénoménologie, éthique, esthétique et herméneutique , p 174.

اندماج عمله اللا-إنساني في العالم البشري، الأمر هنا يتعلق بغياب وعدمية مسؤوليته: "فعندما يصرخ الوجه الحي الإنساني في كل مكان من أجل المعاناة فإنَّ صُلب الهروب في ملذات الفن لايعني عدم الاهتمام بالفن، بل بعدم المسؤولية حتى في الشر والأنانية والجبن"[1]، وهذا ما يجعل "ليفيناس" يقول "أنّ هناك أوقات يمكن فيها للمرء أن يخجل من ذلك مثل الوليمة وسط الطاعون"[2].

إنّ مشكلة الصمت في الفن وعلاقته بالإنسان والحياة يُعالجها "ليفيناس" ضمن عمله:"فن الطمس de l'oblitération"، وهو عبارة عن مقابلة أجراها مع فرانسواز ارمينقود françoise armengaud حول منحوتات "الفنّان ساشا سوسنو" sosno sacha(1937-2013 مرسيليا) حيث يتطرق إلى ماهية فن الطمس وعلاقته بالجمال، وذلك من وراء صمت الصور و التماثيل، التي تفتح قراءات وتأويلات من وراء شكلها،فكمال الجمال يفرض الصمت دون الاهتمام بالباقي، أو بعبارة ليفيناس :" حافظ الصمت"[3]، فالصمت في الفن يُولد الغموض، والجماليات قد توقفت على اعتبار ماهو حقيقي يكمن في الصورة الصامتة، وهذا ما يجسده فن الطمس، فما المقصود به؟

تتمثل فعلية "فن الطمس" في تغيير حقيقة الأشياء، وذلك على نحو إخراجها من وجودها، يتعلق الأمر بمحو وجه الشيء، طمس هويته وإخفائها، يُعرفه "ليفيناس" بقوله:"فن الطمس نعم، يكون فنّا يستنكر التسهيلات أو التهور الحقيقي للجمال ويذكر البلى والتمزق في الوجود والمستردات « les reprises »التي يتم تغطيتها، وفي التشطيبات الظاهرة أو المخفية...."[4]، فأعمال "سوسنو" تجسد هذا المحو، إلا منحوتاته المطموسة الصامتة تبين الحقيقة المخفية، التي تطمس الواقع، كما أنّها طمست الإدراك الحسي، لأنّ هذا المحو لا يفيد الجمال بقدر ما يفيد الإقصاء والتهميش، "فسوسنو" قد أعطى لمفهوم الطمس نطاقًا تشغيليًا وجماليًا في عمله كفنان وذلك عبر الطبيعة في

[1]- Catherine Chalier, trace de l'infini, p 259.
[2]- Emmanuel Levinas, la réalité et son ombre, p 787.
[3]-Emmanuel Levinas, de l'oblitération, entretien avec Françoise -Armengaud à propos de sosno, édition de la différence, paris, 1990 ,p 8.
[4]-Ibid, p 12

المقام الأول، ثم على الصور والأشياء وأخيرًا وقبل كل شيء على المنحوتات النموذجية المعروفة من التماثيل الكلاسيكية"[1].

تفيد كلمة oblitérationالتعتيم والعائق الذي يقام على النص مما يصعب فهمه، فالمصطلح اللاتيني ob يشير إلى فكرة العائق obstacle وكلمة littera إلى فكرة الحرف lettre، أمّا ob- litterance يعني جعل النص غير قابل للقراءة عن طريق شطبه أو طمسه "[2]، فالطمس إذن له خاصية المحو و الشطب، كما يتميّز بدعوته إلى الصمت، فهو أشبه بحارس الصمت لأنّه يريد أن يتكلم،فالشطب يجعل النص قابل للقراءة مرة واحدة، لا يجب استخدامه مرة أخرى، لأنّه حينها لم يعد صالحًا، هو أشبه بتذكرة السفر التي تستخدم لمرة واحدة، فمحاولة تشويهها للتصديق على الدفع هو الطمس.

يعتمد فن الطمس على تغيير الأوجه الأساسية للأشياء، عن طريق محوها، أو جعلها غير مرئية بفعل تجويفها، تماما مثل الذي يتجسد من خلال أعمل "ساشا سوسنو"•، فهذا الطمس هو لحظة للتعبير إمّا عن النقص أو الكمال ، أو خسارة وربح، الطمس مليء بالمتناقضات التي تحجب الأشكال الجميلة للأشياء، التي تخفي من وراء هذا التجويف والفراغ سرًا وحقيقة ما قد تكون مُطمسة في عتبات الوجود، لتشير بما إلى حقيقة ما وراء وجهها الأساسي، فبهذا:" تكمن قدرة الفن في كسر اللدونية plasticité الجميلة والثقيلة للأشياء من أجل الإشارة إلى ما وراءها، غير المحسوس من جانبها المظلم"[3]يجسد الطمس اغتراب الوجود وإقصاء الإنسان، والتهميش، حيث يظهر الواقع نفسه خارج نطاقا لاستخدام بالفعل، فقد تم طمسه بالفعل، يضرب ليفيناس هنا بمثال "المعطف"

[1]-Françoise Armengaud, comment écrire une biographie d'artiste: Sacha Sosno et l'art d'oblitération, marge, n07-2008/1, p 93.

[2]- Ibid, p 93.

• أهم الأشكال الفنية الأساسية المطمسة "لساشا سوسنو" والتي خصصنا لها ملحقفي نهاية البحث تبين الأوجه الحقيقية لمنحوتاته، وهي: رأس المربع la tette au carré، drapé dans le vide، squatte à cimiez، personnages plat. وقد عرضت هذه الأعمال لأوّل مرة في معرض الأركيولوجيا بمدينة نيس الفرنسية.

[3]-Cesare Del Mastro, du mourir de la statue au procédé justes de l'oblitération ; Levinas face à l'œuvre de sosno, nouvelle revue d'esthétique, n 25,p u f, 2020, p113.

"لغوغول"gogol فهو ينقل كوميديا فريدة من نوعها في العمل الفني، التي من شأنها أن تكون مثيرة للشفقة، ستأتي من عار disgrâce أو ثقل معين في الكائن الذي توجد ضده الشخصية في تفرده، وصمة عار في لغة "غوغول"- سمة إيجابية لفنه تتمثل في التفاصيل الغير ضرورية حيث يظهر الواقع نفسه فالواقع يظهر نفسه خارج نطاق الاستخدام، ويكون قد تم طمسه بالفعل كما يريد فن "سوسنو" أن يكون ،كذلك"[1]، فمن خلال قراءة غوغول حسب ليفيناس نجد أنفسنا تارة بين قصة حزينة وتارة أخرى فكاهية، لكنّها دافع على التفكير في حياة مشوهة،فمحاولات "غوغول" في الأخير كانت تُعبر عن قصة طمس للحياة، على أنّها لم تعد معروفة في شكها، فهي تجسد الظلم الاجتماعي في عصره ما يدل بأنَّ الإنسانية كانت مرهقة ومثقلة•، فاللحظة الأخلاقية في شخصية المعطف تجسد لنا الكائن الذي لديه الرغبة في أن يوجد.

إنّ فن الطمس بقدر ما هو شطب ومحو قد يحيل إلى سر وراء شكله، بذلك يعلن على وجود مخفي كان سببًا في الشطب، ففي نهاية المطاف الطمس يجسد الحقيقة، لأنّه يدل على قراءة الصورة والشكل بطريقة مغايرة،فمثلا فن النحت عند "سوسنو" يحمل رسالة حسب "ليفيناس"، فدلالة الشكل الصامت للتمثال تدعو إلى الكلام، وإلى كشف السر، فالنحت يُقدم نفسه ككلمة مخاطبة تطلب الإجابة، وتشهد على العلاقة مع شخص ما، أي تهدف إلى بناء علاقة اجتماعية تفكر جليًّا في اللقاء بالغير، يقول ليفيناس:"أوافق على أنَّ الطمس يجعل النّاس تتكلم، فهو دعوة للتحدث، يقولون: الطمس يقطع صمت الصورة- نعم هناك دعوة، من الكلمة إلى العلاقة الاجتماعية، لأن تكون لأجل الآخر، فبهذا المعنى يكون من الواضح أنّ الطمس يؤدي إلى الغير، وهو عبارة عن مسافة ايتيقية" [2]، فقراءة "ليفيناس" لأعمال "سوسنو"• تظهر القدرة على الإفصاح، وإفشاء السر أو إظهار

[1]-Emmanuel Levinas , de l'oblitération, p 12.

• الطمس يجسد الفراغ، والبؤس، فالسمة الأساسية التي تتجلى من خلال هذا الفن نجد أثاره ضمن الرواية أيضا، لأنه يجسد الأوضاع الاجتماعية البائسة، فتكون الحياة مهمشة ومقصية وغير معروفة، فيصبح العمل الفني طامسا لما لا يطاق، ويقصد ليفيناس هنا المجاعة حيث تظهر في العالم الثالث، أين لا يجد الآباء ما يقتاتون به، وليس لديهم ما يقدمونه لأبنائهم، فهكذا يكون فن الطمس معبرًا سواء بالنحت أو الرسم أو الرواية عن الإنسانية المرهقة والمثقلة. يُنظر: Emmanuel Levinas, de l'oblitération, p 18.

[2]-Ibid, p 28.

الفضيحة التي تكمن في نسيان الواقع، لأنه يقونا إلى الآخرين، أي إلى العلاقات الإنسانية التي قد يكون طمسها قد تم من قبل، لذلك كان الوجود المطموس تعبيراً عن روح محبوسة في أنماط ظهورها لكنّها غير قادرة على الخروج منه، فالأشكال الهندسية "لسوسنو" تشير إلى النقص، وعدم الاكتمال كما أنّ العمل الفني لا يكتمل لأنّه في الطمس يكون الوجه مغّطي، والواقع يظل مقصيًا والحياة تبقى بائسة، وبالتالي فهناك دائمة رغبة ودعوة للكلام،" ليبقى الإنسان محبوسًا بالفعل في أوضاعه، ليبدو مثقلاً ومرهقًا من قبل الأشكال والأدوار التي تفرضها عليه الحياة الاجتماعية"[1].

تحيل أعمال سوسنو إلى نمط الاختباء والتستر، فهي تكشف لنا من ورائها أنماطاً كثيرةً يمكن رؤيتها، وتحمل قراءات وتأويلات أو مثلما يعبر عنها ليفيناس بقوله:" هناك ما يمكن رؤيته....."[2] ، والذي يمكن أن نراه في أعمال سوسنو هو السّر الموجود فيها، أو اللغز، في الإنسانية الزائفة، فأعمال سوسنو فتحت "لليفيناس" الطريق الاتيقي للكشف عن سر الوجه الغامض وهي تعبير عن لحظة انتقال من ضلامية الوجود نحو بعد الميتافيزيقا الاتيقية، فبهذا الشكل يقرأ ليفيناس لوحة الموناليزا la jaconde بحيث تجسد لحظة "اللا أخلاقيimmorale الذي هو كمالها في عالم من المعاناة والشر في الدراما التي تُلعب بالقرب من حدث الوجود والظهور"[3].

وبناءًا على أنّ الطمس يشير من خلال العلاقة على وجود "جراح" فهو بالأساس يدل على معاناة تنتهي في الأخير إلى مسؤولياتنا تجاهها، فلوحة"الموناليزا" تعتبر أساسًا لفهم هذا النوع من الفن الذي يجد مبرره في السر الذي يكمن داخل الحقيقة، ويعترف "ليفيناس" هنا أنّه تأثر بالروائي الروسي بنابوكوفnabokov(1899-1977) وبملاحظاته المقدمة "لغوغول" الذي يعتبر هذا الأخير

•يعد لقاء "ليفيناس" مع "سوسنو" سنة 1988 حدثا نحو الكشف عن الإحساس الاتيقي في الطمس، وسعيا لتقوية الفنان أخلاقيا وروحيا، يقول سوسنو عن لقائه بليفيناس وقراءته له:" إن رؤية الصدى الذي أحدثته عمليات طمس لفيلسوف عظيم مثل ليفيناس قد ساعدني على الاستمرار ، ثم علمني أن اقرآ، أي أن اقرأ ببطء وأن أعود باستمرار إلى النصوص لأجد هناك تعدد الحواس ونكهات جديدة أكثر ووجهات نظر مشرقة".ينظر: François Armengaud, comment écrire une biographie d'artiste : sacha sosno et l'art d'oblitération, p 100.

[1]- Cesare del mastro, du mourir de la statue au procedé justes de l'oblitération ;Levinas face à l'œuvre de sosno,p 114.

[2] - Emmanuel Levinas, de l'oblitération, p20.

[3]-Ibid, p 22.

رجُل الطمس، " كل العقبات تتراكم في ob، وأخيرًا الطمس هو محدودية الإنسان".[1] لكن هل فن الطمس سيطبق على الموناليزا؟

إذا كان النَّاس يأتون من جميع أنحاء العالم لأجل مشاهدة الموناليزا، ثم تفاجئوا بعد ذلك بالقول لهم أن اللوحة قد تم طمسها بالفعل، حتمًا سيكون عندئذ سر، وهذا السر يتعلق بنمط رسمها وبنظراتها،فمن الممكن أن تكون الألوان أكثر وردية، والنظرة أعمق، فسر الموناليزا يكمن في شكلها، أمّا عن الشيء الذي يميّز فن الطمس هو التفرد l'unicité أو "الـ مرة" une fois، ومعنى هذا هو أنّ اللحظة الجمالية في فن الطمس لا تكرر مرتين، لأنّ وقته انتهى، وهو مثل التذكرة المنتهية الصلاحية والتي لم تعد صالحة للاستعمال، تجاوزت مدتها، "فالأشياء التي يصورها لنا الفن كأنّها تعود إلى زمن غابر، كان هناك في أحد المرات"[2].

إنَّ الحديث عن الإتيقا في الفن لايعني أن ليفيناس قد جعل من الاستطيقا اتيقا، أو استبدل الدّين بالفن، فالقول بسر الإنسان المذكور في الزهار le Zohar يحيل أنّه يوجد للفن أيضًا وجه مخفي مقدس، ومن وراءه دلالة تقود إلى الإنسانية، فالفن يقود إلى الإنسان الذي نتجه من خلاله التوجه إلى ملكوت الإله•، لكن الفن لا يقود إلى اللاهوت مباشرة، بل يعتبره ليفيناس منفذًا من خلال طمسه نحو الغير، الذي أُقصي أو هُمش لعدة أسباب كان الفن سبيلاً للتعبير عنها، فبالنسبة لعلاقة الدين بالاستطيقا يعتقد "ليفيناس" أنّ "الدين الحقيقي هو ذلك الذي نفكر فيه من الإتيقا، أو الإلزام حيث أمر كلام الإله يكون موجودًا في وجه الإنسان الآخر، أما بالنسبة للاستطيقا والفن فإنّها تسبق ملكوت الإله"والتي يمكن أن تشفيني من قبضتي على الأشياء التي تأتيني من مثابرتي في الوجود persévérance dans l'être"ma[3]، فالحديث عن فن الطمس باعتباره حارس الصمت gardien du silence هو يفتح قراءة تحمل أهمية في الدعوة إلى الكلام وبالتالي سماع

[1]-Emmanuel Levinas, de l'oblitération, p 30.
[2]-Ibid, p 30.
• يقول ليفيناس أنّه في الفلسفة المعاصرة، النظام الإلهي الوحيد هو الفن، وهذه هي حداثتها، ويشير هنا إلى هيدغر عندما يتحدث عن الفن.يُنظر:
Emmanuel Levinas, de l'oblitération, p28
[3]-Ibid, p 26.

النداء الذي يدعو بشكل صريح إلى العلاقة الإنسانية، العلاقة التي يقودنا إليها الطمس والشطب وهذا ما جعل ليفيناس يقول أنّ الحقيقة الفنّية هي وسيلة للتعبير عن الروح âme الخاصة بالفنّان، فالفنان يحتاج دائمًا إلى الاندماج في حياة الإنسان، ولا يبقى في ذاته كفنان، فالعمل الفني يجب أن يدخل إلى عالمنا عبر هذه الروح الخاصة بالفنان التي تندمج فيها أيضاً غيرية الغير، وأن يبتعد عن عالم الظلال والغموض، وأن يكون مجسدًا للواقع لا ابتعادا عنه.

فإذا ما قلنا أنّ الوجه غير مرئي، فهذا يعني إعطاءه دلالة متعالية تستند إلى لغة الكلام والخطاب، يحمل في الوصية الوحيدة التي يحملها وجه الإنسان، فالجمال إلى حد ما عند ليفيناس يشبه الوجه في خاصية تجرده من الشكل والظهور، أي أنّه لا يقدم لنا في صوره البلاستيكية، ففن الرسم والنحت هما أحد هذا النوع من الجمال الذي يتجاوز الرؤية والشكل إلى نحو الما وراء l'au delà عندها يمكن فهم الواقع بشكل مختلف، والفن بهذه الحالي يفقد كل الدلالات الوثنية، ويعود نعت ليفيناس للفن بالوثنية إلى عقيدة التلمود أين يحرم الكتاب المقدس النحت والتصوير، خصوصًا عندما يحاول أن يجعل له شكلا حيًا كوجه الإنسان، والهدف الأساسي من هذا التحريم كان لغرض عقدي يتمثل في عبادة الأصنام، فحظر الصور كان بدافع الوصية السامية للتوحيد، ولعقيدة تتغلب على القدر وهذا ما نجده في أعمال ومنحوتات "ساشا سوسنو"، والتي تسير في نفس الطريق"إذ تحرم الأشكال الحية كالوجه الإنساني، فمثلما تقول كاترين شاليي Catherine Chalier: هو أنَّ كل الوجود متاحة إلى الوجه الإنسانroch hachana, 24b•"[1]، فالتمثال أصلا يملك وجهًا صامتاً أعمى••، فوفق هذا التحريم لا ينبغي لأيّ كان أن ينحت وجهًا بشريًا كاملا، لأنّه ما إن قام

•تجدر الإشارة هنا إلى أنه لا يتم حظر كل التمثيليات التصويرية، ولكن لتجنب استنساخ الوجه البشري، يقوم بعض النحاتين إلى تزيده بمنقار طائر، أو شكل مجسم، وأحيانا بسطح (فن الطمس) فقد أصبح هذا الشكل ألوفا جدا للرسامين لدرجة أنهم استمروا في استخدامه على الرغم من أنهم لم يعودوا يفهمون معناها، ففي بعض المخطوطات المتأخرة تم تمثيل النساء برؤوس الحيوانات... فالتحريم الخاص بالتمثيل الوارد في القانون اليهودي (هالاخا halakha) يمنح في الواقع إمكانات كبيرة للرسامين، وبدرجة أقل النحاتين الذي يحاولون رسم الوجه الإنساني بأكمله، يُنظر:" Catherine Chalier, trace de l'infini, p 256.

[1]- Catherine Chalier, trace de l'infini, p 254.

••في نص عبري يؤكد على رفض الوثنية وعبادة الأصنام على عبادة الإله الواحد، فالأوثان لها آذان لا تسمع بها وأنوف لا رائحة لها، ففي قصة موسى مع السامري samarie قد جسدت تحطيم الوثنية والتمثيل، يتخطي منحوتة العجل الذهبي، والنص يقول:" إنّ جل الصور المنحوتة من

بإعطاء مظهر إنساني لنحته، يكون بذلك قد حرّض الساذجين على الإيمان بالقدرة المطلقة والاستقلالية التامة للإنسان في عالم دون الحاجة إلى الإله، وهذا ما تم اعتماده كأساس في عملية تحريم الفن من منظور التلمود.

إنَّ نقد الفن الذي يمثل الصورة أو التمثال راجع بالأساس إلى اعتبار أنّ حقيقة الإله غير مرئية ولا يمكن تمثيلها، فقد يساهم حسب النقد التلمودي للتمثيل بأن يجعل النّاس لا يفرقون بين التمثال المرئي، الذي يفقدهم الإحساس بالدعوة التي تطلب منهم أمام الإله الغير المرئي invisible والاستماع إليه والاستجابة له، فحسب التلمود يمكن للإنسان أن يرسم أي شكل على الحائط، لكنّه لاستطيع أن يدخل فيه النفس أو الأعضاء أو الأحشاء، فلذلك يستنكر ليفيناس الفن وظلاله المغرية التي تتشكل غذاءً روحيا للكثيرين، لكنّها تغنيهم عن التقرب من أخيهم متى تطلب الوقت ذلك، فالفن يصبح سرعة نحو الموت، والاستسلام لها وللقدر، لكن لايعني ذلك أن تمثيل الوجه المرسوم أو المنحوت يفقد من دلالاته الإنسانية، فمثلما قرأ ليفيناس منحوتات سوسنو قد اكتشف أنّه من وراءها سر ولغز مفاده العودة إلى العلاقات الاجتماعية، والمسؤولية تجاه ما يعانيه الإنسان من ظروف قد دلّت عليها تجاويف المنحوتات، تقول كاترين شالييه Chalier Catherine:"إلا أنّ تمثيل الوجه لا يزيل المسؤولية تجاه الشخص، بل على العكس يمنحها قوة جديدة، فبالنسبة للوجه المصبوغ أو المنحوت الذي يتحدث إلى الإنسان عن الكلمة السرية التي لا تتوقف عنها الحياة أبدًا عن التمسك بكيانها، تكشف له في نفس الوقت هشاشة المخلوقات ودعوتها إلى مزيد من الرعاية"[1].

السامري(de samarie)، ستتحطم....وكل التماثيل سأحولها إلى خراب 7-1 mi ،" من بيت إلهك سأقوم باقتلاع كل الصور المنحوتة والتماثيل وأجعلها قبرًا" (na I, 14) (.يُنظر: Catherine Chalier, trace de l'infini, p 254.

[1]- Catherine Chalier, trace de l'infini, p

المبحث الثاني: الأنثوي والمقدس الترنسندنتالي

..."تمثل الأنثى الآخر، وهي منشقة عن المجتمع، في مجتمع حميم، في مجتمع بلا لغة..."

ليفيناس، الكلية واللانهائي...

– في معنى الأنوثة والترنسندنتالي

1– الأنثى:سؤال الخلق والغاية

يعالج التلمود قصة خلق الأنثى وهي نفسها قصة خلق الإنسان عمومًا، أي خلق كل من الذكر والأنثى l'homme et la femme، وهذا يندرج ضمن قصة خلق الرّب للإنسان التي تخضع لعدة تأويلات وقراءات خصوصًا فما يتعلق بالأنثى بصفة خاصة، والإنسان بصفة عامة، ففي سفر التكوين نجد نصًا يعالج قصة خلق الرّب للإنسان فيقول:"قد خلق الرّب الأبدي الإنسان" l'eternel dieu façonna l'homme, (gen,2.7.)"[1]، فهذا الخلق يخص الإنسان الأول وتحديداً يقصد به خلق آدم وحواء، فحواء هنا تأخذ شكل الأنثى وتفسر نمطية الخلق الخاصة بها، فهي تمثل الضلع "la cote"الذي أُخذ من الرجل، والضلع هنا يأخذ قراءات عدة كاعتباره دلالة على " الوجه" un visage أو أنّه الذيل•queue، وعبارة :"خلق الإله الأبدي الأنثى" l'eternel –dieu organise une femme••، حرفيًا تعني الضلع لكن الذي أخذ من الرجل سواء كان ذيلاqueueأو وجهًا.

[1]-Emmanuel Levinas, du sacré au saint, p 122.

•– بالنسبة لخلق المرأة قال داوود وشمعونrav et shamouel على أنها وجه، بينما تذهب القراءة الأخرى على أنها أشبه بالذيل، فبالنسبة لخلق الأنثى على شكل وجه تأخذ على نمطين "وجها" من الخلف de derriere ومن الأمام، فبالنسبة إلى القول من الخلف فهي تعني حسب ravam آخر مخلوق، أما بالنسبة لفرضية خلقها من الأمام تعني أنها أول من يعاقب، أما بالنسبة لمن يقول الضلع coteتعني الوجه، ولا تعني الظل، يُنظر: .Emmanuel Levinas, du sacré au saint, p 123

•• تعني العبارةl'eternel – dieu organise une femmeالضلع الذي أخذ من الرجل، كانت مناقشة حول هذه العبارة من طرف rav et schamouel تعني الوجه، أي ذلك الضلع الذي كان وجها، أما بالنسبة للذيل يقصد به التذييل اقل بكثير من الضلع، وهي واحدة من فقرات العمود الفقري السفلية التي لم تعد تحمل الأضلاع، الفقرة النهائية.Ibid, p 126

فالمرأة في اللغة العبرية تدعى بإيشاichah، لأنّها أتت من الرجل iche"[1]، ولهذا خلق الإنسان تضمن خلق مخلوقين في آن واحد مما جعله حدثًا استثنائيًا.

إنّ دلالة أنّ المرأة خُلقت من ضلع الرجل تعني أنّها قد خلقت مرة واحدة وفي نفس الوقت، وهذا يؤكد خلق الذكر والأنثى في نفس الوقت، أمّا بالنسبة لخلق الإنسان في "الآية 6.9 من سفر التكوين"فهو يشبه صورة الإله، فيقول النّص:" قد خُلق الإنسان على صورة الإله gen,6.9 "[2] وهذا ما يجعل الوجه الإنساني مقدس في النصوص الدينية والتي تؤكد إطلاقيته وسلطته، فبالنسبة إلى من يقول أنّ الضلع يشبه الوجه يمكنه أن يتفق من النّص الديني السابق، وكذلك يجعله شكلاً نسيجًا من اللحم، فهنا يحمل دلالة على قيمة الجسد في إمكانية خلق المرأة، بمعنى أنّ الإله قد أخذ جزءًا من ضلع الرجل، من جسده، إلى المرأة، والمرأة بدورها تحمل جزءًا أو شيئًا من جسد الرجل، وفي ذلك إشارة لأسبقية الرّجل على المرأة، لكنّهما في نهاية المطاف يُشكلان وحدة تمثل عالم الإنسان، فالتوراة تؤكد على أهمية البيت وتكوين الأسرة التي تبدأ من ثنائية الذكر والأنثى،"فخلق الله للإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكر وأنثى خلقهم وباركهم الإله وقال لهم:" أثمروا وأكثروا واملئوا الأرض وأخضعوها، وتسلط على سمك البحر وعلى طير السماء وعلى كل حيوان يدب على الأرض ".سفر التكوين، إصحاح1، الفقرتان 27.28[3].

إنّ الدلالة التي يحملها الضلع أي الجزء أو الملحق، أو ما تم استخلاصه لأنّ هناك كائناً سابقاً قد خلق أولاً، فالنسبة للعبارة التلمودية:" قد خلق الإله الأنثى" تفترض شكلاً أولا، وقبل كل

[1]-Emmanuel Levinas, difficile liberté, p 55.
[2]-Ibid, p 124.
[3]- رشيدة فؤاد، الحياة الأسرية والاجتماعية للمرأة اليهودية في نصوص اليهود الدينية المقدسة، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق، 2001، ص 81.

شيء خلق الإنسان باعتباره آخر المخلوقات•، ولكن خلق الأنثى أيضًا يشير إلى دلالة خلق الإنسان وليس هو فقط مجرد تقسيم لما هو للذكر وماهو للأنثى، ففي البداية كانت مسألة خلق الأنثى من الرجل من ضلعه تتعلق بمحاولة تعريف ماهية الإنساني ، وذلك في مسألة ازدواجية تتعلق بالإنسان وهذه الازدواجية تفرض تشكيل حياة متكاملة، لا يستطيع الرجل أن يعيشها بمفرده ولا المرأة يمكنها ذلك، فقيمة خلق الأنثى هي أفضل معين للرجل، مخلوق لأجله، في مرافقته وأداء مهامه، فزواج آدم بحواء لم يكن إلا لهذه الغاية، فالنص الديني يؤكد على دور المرأة في الحياة الزوجية، فليس من الجيّد أن يكون آدم لوحده فكانت الضرورة تقتضي صنع النظير والمعين له،فوجود الرجل دون المرأة يعتبر خللا في الخلق ويقلل من صورة الإله في الكون، إذ تساعد المرأة الرجل في عدة مواقف، "فحواء" قد ساعدت "آدم" كثيرًا، وقد شكلت معه وحدة تكاملية في الحياة، بسعادتها وشقائها، وهذه الوحدة تكون مثالاً لصورة الإله في الكون:" كما أنّ الرجل دون المرأة ينقص من صورة الإله في العالم"[1].

إنّ حقيقة المرأة ليست مجرد أنثى للذكر، أو أنّها جزء من الإنسان، فهي مخلوقة على الفور من الإنسان، فخلق الإنسان هو خلق كائنين من كائن واحد، فهما كائنين متساويين في الكرامة، أمّا الاختلاف بينهما ينتمي إلى طبيعة الإنسان. لكن ماذا يعني الشخص الذي يرى فقط ذيلا في الضلع؟

•- يرى ليفيناس أن الإنسان مسئولا عن الكون، وهو في ذلك في وضعية الرهينة l'otage، فقد جاء من خلال ارتكاب "آدم" للخطيئة، أوّل الخليقة، لذلك كان الإنسان آخر مخلوقات الأرض فنزل بفعل العقاب وقدم ليحمل مسؤوليته على الآخرين. أنظر: Emmanuel Levinas, du sacré au saint, p 136.

[1] Emmanuel Levinas, difficile liberté, p 55.

لا يمكن تجاهل ما حدث وأنّ الإله خلق المرأة من قطعة صغيرة من اللحم، أو العظم، وهو جزء مأخوذ من الإنسان، فالأنثى بهذا الشكل تصبح خلقًا حقيقيًا متميزًا ومن هذا المنطلق يتم النظر إلى الأنثى بخصوصية على أنّها مسألة ثانوية بالنسبة للذكر، لأنّ العلاقة بين المرأة والرجل la femme et l'homme ليس المقصود بها أنّ الأنثى تُعد مسألة ثانوية، ولكن ما هو ثانوي يتعلق حسب ليفيناس بأنوثتها، فالعلاقة الأساسية هي علاقة مع المرأة كامرأة تشبه تماماً العلاقة مع الرجل،فهذه العلاقة التي تجمع بينهما تخص أولا وقبل كل شيء المهام التي يؤديها كليهما باعتبارهما حقيقة الإنسان، فعنصر الإنسان هو الذي يجمع بينهما في وضعية يمكن أن تكون مساواة• وليس ما يفرق بينهما من ناحية التصنيف الجنسي.

فالمرأة إذن ليست شرطًا لاستكمال ذكورة الرجل، فهي أساس العبور نحو ما هو روحاني ومقدس، فهي تمثل العبور من الجسد إلى الروحاني، ممّا ليس بالضرورة مسألة اختلافات جسدية، فهي تمثل هبة الحياة le don de la vie، يتعالى transcendance على ما ينبع بشكل أساسي من الرغبة في الجسد، ومن الشهوة الجنسية، بتحويلها إلى مسؤولية غير قابلة للتصرف فيها"[1]، وهذا ما يحمّل الذات مسؤولية على المرأة، فالأنثىla femmeفي خصوصيتها الجنسية sexuelle تعتبر قاصرًا بالنسبة للرجل أو الإنسان، والتلمود ينهى بشكل قطعي أي مساس لكرامتها، فهو يتوعد أي رجل يقوم بإيذائها، كما أنّه سيعاقب في المجتمع، فعلى الرجل أن يكون حريصًا على عدم إيذاء مشاعر زوجته لأنّها حسّاسة وضعيفة، يقول النص الديني في هذا الموضوع:"ويل للرجل الذي سيؤذي

•- هل البشر متساوون؟يقول الراهب "أباهو" أنّ إرادة كانت بأن يخلق كائنين ذكر وأنثى، لكنه خلق على صورة الإله كائنا واحدا"، فكان من الضروري عدم المساواة في العدالة الصارمة التي تتطلب كائنين منفصلين، من أجل خلق العالم، فهناك حاجة إلى اختلاف والفرق بين الجنسين لا يضر بالمساواة. وبالتالي تفوق معين للرجل والمرأة التي جاءت بعد ذلك كملحق للإنسان، لكن يمكن التفكير في الإنسانية هنا من مبدأين مختلفين تمامًا ، أي أنه لابد من أنه يوجد هناك ما هو مشترك فالمرأة أخذت من الرجل لكنها جاءت بعده وأنوثتها تكمن في هذا الفعل، من الضلع الذي أخذ من الرجل،فالعلاقة مع الأنثوي تذهب إلى ما وراء الجنس ، إلى حمل كائن جديد. يُنظر:.Emmanuel Levinas, du sacré au saint, pp, 141,144

[1] -Michel Cheron, entretien avec Emmanuel Levinas,1983-1994, p 71.

حساسية زوجته والتي من باب أن تكون عنيفة، في مثل هذه الحالة يحق للمرأة أن تطلب الطلاق بدعم من المحكمة الحاخامية، ويكون الرجل مهددا بالطرد من المجتمع"[1]، فبيت الرجل هو زوجته، والمرأة تبقى محترمة ومحمية داخل محيط الأسرة والمجتمع سواء من العائلة أو من المجتمع الحاخامي، فاليهودية تشير إلى الدور الهام للمرأة عبر التاريخ خصوصًا زوجات الأنبياء•، فهي تحتل المكانة المركزية في الاتجاه الروحي وبالتالي المجتمع، فلا يتم ولا يجوز إقصاءها، فيتم النظر إليها كونها الزوجة وإلام التي دائمًا تستحق الحب والاحترام والحماية، وفوق هذا فهي توصف على:" أنّها جميلة وذكية وخارقة وفوق كل شيء قادرة على التأثير في مجرى التاريخ"[2].

فأساس العلاقة الدائمة مع الآخرين تحوّل الذات الإنسانية من وضع المعيّة avec إلى وضعية الخدمة pourما يعني الفعل الخيري المجاني اللا محدود تجاه الآخرين، والأنثوي هنا هو من يدخل إلى العلاقة عبر الآخرين، فحسب ليفيناس الوجود مع الآخرين يدل على أني لأجلهم، أي المسؤولية على الغير وهنا– الأنثى على نحو ثانوي، فالمرأة والرجل بإنسانية أصلية يتعاونان كمسئولين، والجنس ليس مجرد ملحق للإنساني، وطبيعة المرأة التي قدّمها ليفيناس عبارة عن وجه يساءل الذات،

[1]- Gabrielle Atlan, le statut de la femme dans le judaïsme, revue société, droit, religion, numero4, crrs édition, 2014, p 36.

•التلمود والثقافة العبرية تثني بالدور الهام الذي تلعبه المرأة في صناعة التاريخ ففي أسفار موسى الخمسة صورة المرأة إيجابية، فنجد مثلا:

– "مريام" أخت سيدنا "موسى": كانت "مريام" أوّل امرأة تحصل على لقب نبي لاسيما عندما نصحت والدها باستئناف الحياة الروحية بعد أن اصدر الفرعون مرسومًا يقضي بإلقاء جميع الأطفال الذكور العبرانيين حديثي الولادة في النهر، وهكذا جاء "موسى" المحرر إلى العالم بفضلها وبفضل القابلات الشجاعات اللواتي تحدين أمر الفرعون وأبدوا الرأفة تجاه الأطفال العبرانيين.

– "سارة" زوجة إبراهيم التي توضح الحاخامات أنها كانت تتمتع ببديهية أعلى من حدس إبراهيم فيقول التلمود :" مهما قالت لك "سارة" فاستمع إلى صوتها"genèse21,12.

– "ريبيكا" والدة التوأم "يعقوب" "وعيسى"، كانت مقتنعة بأن يعقوب فقط أصغر التوأمين يستحق نعمة من إسحاق، فكانت لدى "ريبيكا" المعرفة الحميمية بأنّ "يعقوب" كان الوريث الروحي المستحق لأبيه.

– تظهر "راشيل" تجاه أختها الكبرى ليا من خلال السماح لها بأخذ مكانها تحت مظلة الزفاف دون أن يتعرف عليها يعقوب، وحتى لا يسيء إليها هذا الأخير أعطت "راحيل" أختها العلامات التي تبادلها مع يعقوب في اليوم السابق للزفاف.

– "ثامار" زوجة ابن يهوذا، ابن يعقوب حريصة على تطبيق شريعة اللاويين ليفيرات lévirat لتخليد اسم زوجها المتوفي، وتقرر أن تأخذ مظهر البغي وقتا لضمان وجود سليل(نسل) لهذا الأخير،سيقول حموها المحاصر:" إنّها أجمل مني": يُنظر: Gabrielle Atlan, le statut de la femme dans le judaïsme 34.

[2]- Gabrielle Atlan, le statut de la femme dans le judaïsme, p 33.

فالوجه الذي يلتقي أول الغير ليس سوى وجهًا أنثوياً يكون وجهًا للشخص الثالث الغائب وليست الأنثى هي التي تكون قريبه منه، يقول ليفيناس:"يوجد في الوجه الأنثوي وفي العلاقة بين الجنسين دعوة للكذب أو في ترتيب يتجاوز الاستقامة الوحشية وجهًا لوجه، إلى العلاقة بين النّاس الذين يقتربون من بعضهم البعض في مسؤولية أحدهما لأجل الآخر"[1].

2- الايروس ومسألة المقدس

إنّ مسألة الحب لا تربط فقط بين شخصين تجمع بينهما علاقة حب، فالحب إذن مفهوم واسع وضروري لأي علاقة اجتماعية، فالحس الاتيقي يتمثل في حب الغريب، وحب الآخر، وكذلك اليهودية تعترف بحقوق الغريب، وتدافع عنه ضد الاضطهاد، فالأصل هنا لأنّ الشعب اليهودي كان غريبًا بالأساس وتائهًا في الأرض، أو في مصر، ويعتبر "ليفيناس" أمر التودد إلى الغريب ضروريًا وهو في مرتبة الأمر الإلهي وحب الغريب يندرج ضمن العائلة•، فعبارة:"سوف تحب الغريب tu aimeras l'étranger"[2] هي بمثابة نداء الهي يحث على الحب القائم بين الأخوة الإنسانية،

[1]-Emmanuel Levinas, du sacré au saint, p 143.

• يرى ليفيناس أنّ حب الغريب ينتمي إلى العائلة، والعائلة هنا لها معنى الألفة والمودة والحب، فالعلاقة مع العائلة هي العلاقة مع الإله، فهي انتماء تيولوجي- اتيقي يجمع الغريب بالعائلة، ففي نصوص أخرى عبرية تحث على مسألة حب الغريب التي لا تختلف عند حب الأرملة واليتيم نجد في أسفار العهد القديم : تعلموا فعل الخير. اطلبوا الحق. أنصفوا المظلوم. اقضوا لليتيم.حاموا عن الأرملة. سفر اشعياء، الإصحاح1، الفقرة 17. لا تعوّج حكم الغريب واليتيم....ولا تضطهد الغريب ولا تضايقه...لا تسيء إلى أرملة أو يتيم.... إذا حصدت محصولك في حقلك ونسيت حزمةً في الحقل، فلا ترجع لتأخذها،. فهي للغريب واليتيم والأرملة، هذا لكي يباركك الرب إلهك في كل عمل يدك، وإذا حطبت زيتونك فلا تراجع الأغصان وراءك، للغريب واليتيم والأرملة يكون، سفر التثنية، الاصحاح24، الفقرات 71-22. أنظر: رشيدة فؤاد، الحياة الأسرية والاجتماعية للمرأة اليهودية في نصوص اليهود الدينية المقدسة، مختبر السرديات والخطاب والدراسات المقارنة، جامعة محمّد الحسن الثاني المحمدية- الدار البيضاء، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، ط1،2013، ص ص 142-143.

[2]-François poirié, Emmanuel Levinas, essai et entretien, Babel, la manifacture, 1987, p 126.

وهذا يندرج ضمن منع الإساءة أيضًا إلى كل مستضعف في الأرض مثل نبذ الإساءة إلى الأرملة أو اليتيم، فالواجب يتطلب الحب والمؤاساة والمساعدة بفعل الخير وطلب الحق والإنصاف.

عندما يتكلم ليفيناس عن الايروس أو الحب في نصوصه الأولى يجعله ضمن منطق "الغريب"، أو "اللغز"، فإن كان الآخر هو أوّل من ينظر إلى الأنا فيكون بذلك الأولى بالحب والاهتمام، وهنا تتحول مهمة الحب إلى كشف حقيقة الوجه الآخر للإنسان،فالحب الذي يجمع بين شخصين جسديًا أمر غير ممكن فعند الاستمتاع أو تحقيق اللذة البيولوجية لا تكون متاحة ضمن الوجه الذي نلتمسه بعلاقتنا الطيبة مع الآخر كعلاقة غرابة، فهذه العلاقة ليست بصراع، وليس بمعرفة كما أنّها لا تكون بامتلاكه، فعلاقتنا به إذن هي علاقة مع اللغز، ومع المستقبل، وضرورة الحب تكون دون سبب كما أنّها ليست احتمالا، فيكون دون سبب، وهو يغرينا ويؤذينا، ومع ذلك نحن نعيش فيه، فهو بمثابة علاقة مع الغيرية، أشبه بالمستقبل الغامض والغير موجود الذي يفاجئنا في كل لحظة، يعبر ليفيناس عن هذه الغرابة في الحب بالقول:"

….il(l'éros) n'est ni une lutte, ni une fusion, ni une connaissance. Il faut reconnaitre sa place exceptionnelle parmi les relations. C'est la relation avec l'altérité, avec le mystère, c'est-à-dire avec l'avenir, avec ce qui dans un monde, où tout

est là, n'est jamais là avec ce qui peut ne pas être là quand tout est là[1]"

إنّ الطريقة التي ينظر بها ليفيناس إلى الحب تتمثل في الأخوة والتي تبنى بالغيرية، لأنّ الحب لا ينفذ إليه من جانب الإغرائية أو الشهوانية فهو لا يوفر خاصية الإشباع أو الاستعمال، ولكنّه يوفر الكمال بالتعاون والايخاء والاحترام، وكما يراه ليفيناس فهو يُعبر عن السر، ولا يكشف عن العرّي، الحب سبيل آخر للكشف عن غيرية الغير، فالرغبة في الآخر لا تتحقق في المتعة ، ففي الحب الآخر يصبح نحن أو ما هو خاصتنا، أي أنّه يُصبح اتيقيًا ترنسندنتاليًا فالشخص المحب يتوجه دومًا نحو الغير، وهو نفسه الحب القائم بين الأصدقاء والأخوة، فاستهدافهم يتم على أساس غيريات للأنا وحاجتهم إلينا، وهو ما يعبر عنه ليفيناس أنّه :" يذهب إلى ما وراء المحبوب au delà de l'aimé"[2].

يقدم ليفيناس قراءة خاصة للإيروس تتجاوز محنة الإغراء والهوس، إذ تذهب إلى ما وراء الوجه، لتكشف عن سره، فالمرأة تلك التي تمثل جانب الضعف والهشاشة، فهي تمثل الألم والمعاناة خصوصًا لما نتكلم عن الأمومة، فأنوثة الأمومة تتمثل في هذه المعاناة، وفي قدرتها على الإنجاب وتكوين الأسرة، وذلك لكان أحد مطالب شعب إسرائيل، حيث شرع بذلك رباط الزواج وحرمت العلاقات الغير

[1]-Emmanuel Levinas, le temps et l'autre, praha- Liberec, 1997, p 81.
[2]-Emmanuel Levinas, totalité et infini, p 285.

شرعية، فأصبحت مهمة الزوجين تتمثل في أحد أسسها في القدرة على الإنجاب•، وتحقيق صورة الإله، "فالأمومة في التفسير الحاخامي rabbinique للحب يشير إلى المصير البشري الذي يفيض أفراح العائلة jores de la familles ومن الضروري تحقيق إسرائيل لمضاعفة صورة الإله المنقوشة على وجوه البشر"[1].

إنّ تفكير ليفيناس في شروط الغيرية تتم على النحو الذي تتوجه فيه الذات إلى الغير انطلاقًا من الصلة والمجتمع الذي يحافظ عليه، وليس ترك هذه العلاقة والذهاب إلى شروط أخرى تكون ثانوية، فالجنسانية la sexualité تقدم كمثال عن هذه العلاقة أي أنَّ الجنس الآخر (الأنثى) هو أحد شروط الغيرية وحمل الآخر لا يتم عن طريق التطابق أو الاحتواء بل على أساس الاختلاف والانفصال، فالحب إذن ليس علاقة ازدواجيةً أواندماجيةً.

ترتبط العلاقة مع المرأة بعدة جوانب كالاتيقا والشخصية والتعاون والمساعدة ولا تتوقف على الجانب الأنثوي الذي يحدد الفرق بين الجنسين، فالمرأة تتجلى في الأمومة أين نلتمس الضعف الذي يدعو إلى الشفقة والرأفة:"ضعف الأنوثة يدعو إلى الشفقة"[2]، والأنثى نجدها بعدة لغات عند ليفيناس منها البيت: إذ ترتبط بالبيت أو المسكنle demeure، فالمسكن هو السترة والإخفاء

• عالجت التوراة مسالة الإنجاب إلى جانب مسالة العقم، فالعقم قد يعالج عندما يفتح الرب رحم المرأة العاقر مثل (سارة وراحيل وحنة) أو أن تتخذ ابنًا عن طريق تقديم جاريتها لزوجها، فالعقم هو عدم قدرة المرأة على الحمل والإنجاب، لكن في التوراة يعتبر لعنة، ففي سفر التثنية يقول الرب:"مباركا تكون فوق جميع الشعوب. لا يكون عقيم ولا عاقر فيك ولا في بهائمك، الإصحاح 7، الفقرة 14، وفي سفر التكوين نجد كلام الرب إلى أبرام في الرؤيا قائلا:"لا تخف يا أبرام، أنا ترس لك، أجلاك كثيرا جدًا. فقال أبرام:"أيها السيّد الرب. ماذا تعطيني وأنا ماض عقيمًا، ومالك بيتي هو "اليازر" الدمشقي، وقال أبرام أيضًا، أنك لم تعطني نسلاً، ويهوذا ابن بيتي وارث لي، فإذا كلام الرب إليه قائلا:"لا يرثك هذا، بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك. الاصحاح15، الفقرات1-4. ينظر:رشيدة فؤاد، الحياة الأسرية والاجتماعية للمرأة اليهودية في نصوص اليهود الدينية المقدسة، ص 87.

[1]- Emmanuel Levinas, difficile liberté, p 57.

[2]-Emmanuel Levinas, totalité et infini, p 294.

من الخارج، ومن الداخل يمثل السر، واللغز، والاختباء، وهو فضاء العائلة والضيافة، فأهمية الزواج تصبح رباطاً مقدساً للجسم والروح وللرجل مع المرأة، أمّا البيت في اليهودية يكون أشبه ببيت الرب وهذا لأنّ الإله قد خلق الإنسان على صورته، وتكامل كل من الذكر والأنثى هو بمثابة تحقيق لصورة الإله في الكون، فإذا كان مجال الرجل هو الحياة العامة والسلطة فإنّ مجال المرأة هو البيت والأسرة التي يقوم بينها انسجام، وبهذا الشكل فإنّ المسكن يقدم لنا صورة المرأة طرفًا حيث يدخل إلى العالم بلغة جوانية خاصة يقول ليفيناس:" أخبرنا التلمود أنّ البيت يمثل الأنثى la femme "[1]، فصورتها إذن تتجاوز منطق اللغة والكلام والفهم، تحاصر فيه كل المشاكل، فاللغة التي تُعَرفها هي انفتاحها على الغير، أو أنّ أول الغير هو حدث الأنثى، الذي يقيم على الانفصال أو كآخر يُقدم لنا في المسكن ويترجم لنا في ضعفه وقابليته للعنف، الذي يمثل لغة الأنوثة، "وهذا ما يكشفه لنا سر المبيت أو المسكن الذي يمثل لغة الأنوثة، وفي هذا الصدد تكون الذات ليس متجردة في الوعي بل هي وجود يتجسد في المنزل"[2].

تتمثل مهمة الحب في الثقافة اليهودية بتكوين العائلة، وفي بهجة العروس la grâce de la fiancée وهو ما ينطلق منها ليفيناس في تأصيل نظريته عن الايروس، فعلاقة الرجل والمرأة ليست علاقة ذكر مع أنثى، وبالتالي فإنّ "حواء Eve " لم تعرض على "آدم" على أنّها شيء جاهز ومعد لاحتياجات بيولوجية، بل اتحادهما يندرج ضمن العلاقات الاجتماعية، فحواء إذن تتنزه من كل الرغبات والإغراءات، والدور الذي يلعبانه هو كمال الذكر مع الأنثى، فالمرأة ليست جزءا تشكل مع

[1]-Emmanuel Levinas, difficile liberté, p 52.
[2]- Félix Perez, apprendre à philosopher avec Levinas, p 122.

الذكر كلاً متحدًا محتواة، بل تكون ضرورية لكل علاقة اجتماعية مع الرجل، وفي ظل هذه العلاقات تتلاشى الاختلافات بينهما، يقول ليفيناس:" إذا أكملت المرأة الرجل فإنّها لا تكمله حيث يكمل جزء آخر في الكل، ولكن إن جاز التعبير حيث تكمل مجموعتان بعضهما البعض، والتي تكون في النهاية مجموعة العلاقات الاجتماعية"[1]، ويأتي تأكيد ليفيناس على أهمية العلاقات الاجتماعية بين الناس لكونها السبيل الوحيد الذي يمكن من للإله أن يحضر من خلالها وبينهم.

3- الحب ومعضلة الإغراء.

يُصَوب الحب بشكل دائم نحو المحبوب، ما يعني أن بينها رابطة حب، فالحب يوفر منافذ الاهتمام والتأثير والتأثر، وكل أشكال الإصغاء والضعف والهشاشة، تتلاقى فيه كل مشاعر الذوات التي يجمع بينهما، وإن صح التعبير هو انصهار للذوات، اتحادهما، وتآلفهما، ما يشكل ثنائية متماسكة، فهذا النمط من الحب يخرج من اهتمامات الاتيقا حسب ليفيناس لأنّه يضع في مقامه الأول العلاقة التماثلية.

يخرج الحب حسب ليفيناس من الدائرة التقليدية التي تضيق مفهومه في جانب اتحاد ذاتين منصهرتين• مع بعضهما البعض، فالحب يستوجب على الذات أن تكون مسئولة عما هو مغري أو

[1]-Emmanuel Levinas, difficile liberté, p 56.

• فكرة الانصهار في الحب تمثل فكرة الاتحاد والتكامل، وهنا إشارة أيضا إلى الازدواجية الجنسية، ففي الميثولوجيا اليونانية نجد أنّ الناس كانوا في القديم يتمتعون بالبدايتين الذكرية والأنثوية في آن واحد، لكن بعد أن ارتكبوا ذنبًا في حق زيوس الإله، جعل منهم نصفين وجنسين منفصلين، هما الذكر والأنثى، نجد هذا في مأدبة أفلاطون، حيث يتحدث اريكاسماخوس عن الزوجين، الذكر والأنثى، على أن يبقى أحدهما للآخر، قائلا لهيغياستوس:"افترض يا هيغياستوس أن تأتي إلى الزوجين الممددين جنبًا إلى جنب وتقول لهما: ماذا تريدان أيها الفانيان من بعضكما البعض؟ فهما لن يكونا قادرين على الإيضاح، وافترض أبعد من ذلك وهو أنّه عندما يباركهما:"هل ترغبان أن تكونا واحدا بالكمال وأن تكونا معا ليلا نهارا في عشرة

قابل للاستمتاع الجسدي، وهذا شكل يسمى حب الحب، وهذا يعبر عن استقامة الوجه، لكن هذا لا يمنع من يكون الحب جامعًا بين الزوجين، فهو الضروري لبناء الأسرة انطلاقا من المسكن، فالفرق الجنسي بين الذكر والأنثى يبقى خارج التصنيف وهو ما ينتمي إلى دائرة الوجود المعتم، في الظلام.

إنّ حقيقة الحب حسب ليفيناس التي يمكن أن يحملها الأنا تجاه الأنثوي لا تنتمي إلى دائرة اللاشرعي clandestin، فهذا اللاشرعي تعريفة ينصب في انتهاك الحشمة، وهو اللاحياءimpudeur، فغياب الحشمة وانتهاك ما يكون غير شرعيًا يسقط الحب في دائرة ظلامية تشبه الوجود العام المعبّر عن اللّيل والرعب والإقصاء، فالحب دائمًا يتجاوز الأنثوي المعرض للاغتصاب، لأنَّ الشهوة تتجاوز الحب، فتقتحم السر، وتستقر على المحسوس، لأنّها ترمي إلى الإشباع والاستمتاع، ولا يبقى هناك أي مجال للسر، يقول ليفيناس:" إنّ الطريقة التي يحدث بها العري الجنسي تظهر نفسها وهي عبارة عن وقاحة وتدنيس".

"« la façon dont la nudité érotique se produit se présente et est l'impudeur et la profanation »[1].

بعضكما البعض؟ ماذا لو كان هذا ما ترغبان فإنّي على استعداد لأن أصهركما وأذيبكما معًا، وهكذا ستصبحان وأحدًا بعد أن كنتما اثنين وطالما تجيبان فإنّكما ستجيدان حياة عارية كما لو كنتما فردًا، وستبقيان روحًا واحدةً، مغادرة، وليس روحين اثنين في العالم، السفلي بعد موتكما، إنّني أسألكما إذا كان هذا هو اللذان ترغبانه بشوق وحبًا وما إذا كنتما مقتنعين لتنالاه؟ إنّ هذين الرجلين الاثنين حينما يسمح الاقتراح ينكر أو أنّه لن يعترف بأنّ هذا اللقاء أو الانصهار بعضهما في بعض، هذه الصيرورة في واحد بدلا من اثنين، لن يعترف بأنّ هذا كان التعبير الواضح عن حاجته القديمة، والسبب في ذلك هو أن الطبيعة الإنسانية كانت واحدة في الأصل، كنا نحن كلا، ودعيت الرغبة والملاحقة للكل حبًا...ينبغي هنا أن نمدح إله الحب الذي هو المحسن الأكبر لنا وهو معيدنا إلى طبيعتنا الخاصة في هذه الحياة وواهبنا الآمال السامية بالمستقبل، لأنه وعدنا إذا كنا أتقياء بره بأنّه سيعيدنا إلى الحياة الأصلية وأنّه سيشفينا ويجعلنا سعداء مباركين. ينظر: أفلاطون، محاورة المأدبة، ص ص 150 151.

[1]- Emmanuel Levinas, totalité et infini, p 287.

ماهية الانتهاك تنتج اللّبس،خصوصًا الايروسي، "فليفيناس" يسعى إلى تجاوز كل ما هو محسوس وإغرائي في الحب، فإذا كانت المداعبة تقصد الجسد باللمس فإنّ حقيقتها تتعالى على المحسوس، فهي لا تقصد شيئًا، كما أنّها لا تنال شيئًا، فهي أشبه بالنظرة إلى المستقبل، وإلى اللا مرئي، وإلى الغياب،فهي استحالة حيازة الممكن، لذلك كان الشخص المحبوب غير متاح من الناحية الإغرائية، والأنثى تكون بالشكل الذي تختفي فيه الغير قابل للامتلاك والانتهاك مثل عذريتها، فالشهوة هي التي تفسد حقيقة الايروس لأنّها تقتحم السر، وتتخلى عن المسؤولية، وهي انتهاك يكشف ما هو متخفي باعتباره متخفي.

يرى ليفيناس أنّ الأنثى يجب أن تُرى من زاوية مختلفة، بحيث تتوارى تمامًا عن كل كشف، وعن كل إغراء، فهي بذلك تمثل السّر والاختباء، والاختباء يشير إلى حقيقة الغياب، وهذا معناه أن العلاقة مع الأنثوي غير متزمنة diachronique وبالتالي يمتع عن كل محاول للقبض عليه، وهو ما ينطبق أيضا على الايروس أين نجد أنفسنا مع شيء لا وجود له، يقول موراكامي:" العلاقة مع الأنثوي غير متزمنة، لأنّها علاقة مع غائب،حيث لا يمكن القبض على الأنثوي من المرأة، والايروس على وجه التحديد غير متزامن لأنّه علاقة مع شيء غائب تمامًا"[1]، فشخصية المرأة هي أوّل الغير، والوجه الحقيقي لها لا يدنسه الايروس، لذلك ضعف الأنوثة يدعو إلى الشفقة على شيء ما، بمعنى ليس بعد، عدم الاحترام لما يتم عرضه في الوقاحة والقابل للاستغلال،كما أنّه من جهة أخرى ما لم

[1]- Yasahiko Murakami, Levinas phénoménologue, p 219.

يتم اكتشافه على الرغم من عرضه، يجمع بين الوضوح واللبس، فتكون الأنثى حسب ليفيناس:"عبارة عن وجه تحاصر فيه المشاكل وتغزو الوضوح بالفعل.

« Le féminin est visage où le trouble assiège et déjà envahit la clarté. »[1]

يمثل الايروس تلك اللحظة التي نكتشف فيها أنفسنا أكثر من غيرها، ومع ذلك يكون الاندماج مستحيلاً، في هذا الموقف تتعارض قوة الرغبة مع خيبة الأمل، فالأنثى يجعلها "ليفيناس" في مقام الاحترام، أو الحياءla pudeur، ومع هذا الحياة تفشل أي محاولة للإمساك بالحرّية أو امتلاكها ففي هذا الحياء مع "الأنثوي" تكتمل الغيرية حيث يمكن تلخيصها في نقاط:

" نمط وجود الأنثى هو الاختباء.

وأنّ هذا الاختباء هو التواضع la pudeur.

لا توافق الأنثى كونها كائن يتعالى نحو النور، بل ضمن الحياء.

تمثل فينومينولوجيا الشهوة phénoménologie de la volupté غياب المتعة الفردية التي تشبه المتعة البيولوجية كالأكل والشرب، وهي تجسد المكانة الاستثنائية للأنثى، كما تجسد عدم وجود أي اندماج في الايروسي l'érotique، ترتبط بالمستقبل الذي يحمل اللبس، ولعّل ترنسندنتالية الأنثى يتجلى في أخذ الذات إلى مكان آخر، وهي حركة معارضة تتجاوز الوعي حيث

[1]-Emmanuel Levinas, totalité et infini, p 294.

تصبح العلاقة معها هي علاقة مع اللغز، مع المستقبل، مع شيء قد لا يكون، أمّا ما يمكن مداعبته لا يتم لمسه لا بالمعنى الدقيق للكلمة، فحسب ليفيناس:"...إنّها مثل لعبة بها شيء ينزلق بعيدًا، ولعبة دون مشروع أو خطة على الإطلاق، ليس بما يمكن أن يصبح لنا...."[1]، وبهذا الشكل تفتح لنا الأنثى وجه يذهب إلى ما وراء الوجه،حيث يُكشف السر الذي لا يقبل الإفشاء، فهي العذرية المطلقة التي لا تشوه لا بالمداعبة ولا بالشهوة، إنّها الغيرية التي لا تقبل اللمس، ليست كافية لحيازة أي شيء.

إنّ ما يؤكده ليفيناس من خلال العلاقة مع الآخر بصفة عامة هو غياب الاندماج fusion والتطابق فالعلاقة مع الغير autruiعبارة غياب الآخرautre، كما أنّ هذا الغياب ليس مجردً و بسيطًا، أو هو غيابًا يكون عدمًا خالصًا pur néant ، فهو غياب ضمن أفق المستقبل، أي أنّه يرتبط بغياب الزمن، وتفسير كل ارتباط مع الأنثوي يتوقف على هذا الغياب، وعلى عدم التمكن منه، فالايروس يصبح ظلامًا،كلما قصد الكشف عن انتهاك الحياء، فينتج لبسًا، فالرغبة الايروسية تعبر عن نفاذ الصبر، لكنّها حسب ليفيناس في النهاية" تذهب إلى نهاية دون نهاية"[2].

تكمن أهمية الأنثى حسب ليفيناس لا تتوقف في جانب حقيقة الايروس والعلاقة مع الجنس الآخر، فهي أيضًا تجسد وجهًا آخرًا للغيرية الإنسانية، فإن كان الايروس يجمع بين ذاتين فقط، المحب والمحبوب، فإنّ الأنثى شرط للعلاقة الاجتماعية إذ يتم الانتقال من الايروس والإغراء إلى الضيافة

[1]- Emmanuel Levinas, le temps et l'autre, p p 79-83.
[2]-Emmanuel Levinas, totalité et infini, p 290.

hospitalitéالتي تخص الجنس الآخر، فالأنثى عبارة عن آخر بالنسبة للموجود الذكر، فوجودهما يتوقف على أنّهما ذاتين يسبق وجودهما أي علاقة إغراء أو حب، ويرى "ليفيناس" أنّ الأنثى عبارة عن آخر، مقاومة للمجتمع، عضو في شراكة، في مجتمع حميمي، بلا لغة ، لذلك قد حدد "ليفيناس" دائمًا الوجود الأنثوي في دور الضيافة، أو المسكن مثلما سبقت الإشارة إليه، فالبيت رمز لكل اتيقا تتسم بالترحيب والاستقبال باعتباره علاقة اتيقية: يقول دريدا:"يحدد الترحيب التلقّي، وقبول التلقي مثل العلاقة الإتيقية"[1]، والاستقبال بدوره يعبر عنه بكلمتين هما:"مفتوح، ضيافة"[2]. وهو مكان للأجواء الحميمية، والتواضع، والهدوء، فالأنثى بهذا الشكل تصبح:"شرط تأمل جوانية البيت"[3]، ودونها لا يمكن الحديث عن الضيافة أو المسكن، فوجود المسكن يرتبط بوجود الأنثى.

تتجلى أهمية الوجود الأنثوي في الحياة الجوانية، فليفيناس لا يتحدث عمّا هو حميمي إلا بالأنثى التي تجسد التواضع والاستقبال، فهي بذلك تتوارى عن إغراءات الايروس وسبل الانتهاك، لأنّ البيت أيضًا مكان للاختباء والتستر، مكان للعلاقة الجوانية فالغيرية الأنثوية تتجلى داخل المسكن، "فالبيت مكان حيث ينسحب الإنسان، وهو ليس مكان فارغ، وهو شرط الاستقبال والحميمية مع شخص ما، فالذي يصف فضاء الحميمية هي الأنثى"[4]، حيث يستقبل الآخر بصمت،فاستقبال الآخر هو أساس الاتيقا الليفيناسية، فيصبح الحب بذلك علاقة وجدانية تعيد الاعتبار للأنت، فهو ليس حب هوى، فوجه الغير هو الذي يعطينا المعنى، وينتج لنا أثرًا ميتافيزيقيًا

[1]- jacques Derrida, adieu à Emmanuel Levinas, Galilée, France,1997, p 55.
[2]- Ibid, p 44.
[3]-Emmanuel Levinas, totalité et infini, p 166.
[4]- Ernst Wolff, de l'éthique à la justice, 81.

ترنسندنتاليًا أساسه الحب، فتلك هي الصيغة الأساسية للترحيب الذي يكتمل مع الوجود الأنثوي، حيث الأصالة الاتيقية، والاستقبال المطلق التي يكون بالأنثى، يقول دريدا:"على أساس الأنوثة يحدد الترحيب بامتياز، الاستقبال أو استقبال الضيافة المطلقة، الأصلية بإطلاق، قبل أصلية نفسها، أي بمعنى أصل ما قبل اتيقا الاتيقا، ولا شيء قبل ذلك"[1]، فكلام وتعبير الغير هو خطاب غير مباشر من الإله، فهو مقدس، فالحب هنا يقتضي الاستقامة، فالعلاقة التي داخل البيت مع الغير هي علاقة احترام التي تجسد آداب الضيافة، وكأنّ ضيافة الآخر هي بمثابة ضيافة للانهائي، فكلما كانت الذات مضيافة كانت أكثر مسؤولية وحرصًا وذلك بالقبول والترحيب، المرأة حسب "القراءة الليفيناسية" هي نفسها التي تشاركنا حياتنا الاجتماعية، حيث نتقاسم معنا أدوار العمل والوظائف، وهي التي نتعامل معها باعتبارها شريكًا أو زميلاً في وسط اجتماعي معين، فعلاقتنا بها ليست متوقفة على أنوثتها القابلة للانتهاك والمثيرة للاغتصاب، فهي غيرية أخرى تكشفها لنا فينومينولوجيا الوجه، حيث يتجلى اللامرئي من وراء الوجه الأنثوي، وهو ما يعبر عنه ليفيناس دائمًا بلفظ فما وراء الوجه.

[1]- jacques Derrida, adieu à Emmanuel Levinas, p 83.

المبحث الثالث: قراءات لأهم الأسس الميتافيزيقية الليفيناسية

...”لفترة طويلة كنتُ أخشى أن أقول وداعًا لإيمانويل ليفيناس، كنتُ أعلم أنّ صوتي سوف يرتعش لحظة القيام بذلك، وخاصةَ عندما أفعل ذلك بصوت عال...”

جاك دريدا، الوداع ليفيناس....

1- قراءة جاك دريدا

أولاً: تأبينية الضيافة

كانت الضيافة الأساس الذي يستقبل به الآخر بالنسبة لليفيناس، ولهذا السبب لم تكن معرفة هوية الإنسان شرطًا أساسيًا لإقامة العلاقة معه، والضيافة تعبير عن الحب والأخوة التي لا تخضع لأيّ شروط مسبقة، ونفسه "دريدا" (1930- 2004) Jacques Derrida سيُقدم نفسه مضيافًا للإنسان الآخر، لكنّه ليس آخرًا بقدر ما هو صديق وأخ، فعمله الموسوم:"بالوداع ليفيناس,1997 Adieu à Emmanuel Levinas يقدم تأبينية وداعية بالخط العريض لصديقه كضيافة قُدّمت بكتابات مؤثرة على رحيله، فلم يدعه يموت وحيدًا، فكان تاريخ 27 ديسمبر 1995 شاهدًا على لحضات مؤثرة بدأت من مقبرة باتينpantin، قد انتابها الحزن والليل الدامس المرعب، حيث يقول في مطلع كتابه تعبيرًا عن هذا الموقف:"لقد كُنت أخشى الاضطرار إلى توديع ايمانويل ليفيناس كنتُ أعلم أنَّ صوتي سوف يرتجف في لحظة القيام بذلك، وخاصة عند القيام بذلك بصوت عال، هنا أمامه، قريبًا جدًا منه،أطلق كلمة الوداع هذه التي أُخذت منه...".[1]

وجدَت كلمات "دريدا" التأبينية شجاعةً كبيرةً لقولها،بالرغم من كونها معبّرة عن فجاعة الألم والحزن وفقدان الصديق والأخ، والتي كشفت عن لحظة عتمة من الوجود، فالذي يمكن أن يقال عنه في هذه اللحظة هو أنّه لم يعد موجودًا، لذا لا يمكنه الإجابة، وهذا ما يجسد رعب الموت الذي نوّه له ليفيناس في كتاباته إذ حرص على عدم ترك الإنسان يموت وحيدًا أمام لغزه، "فدريدا" من خلال تأبينية لم يشر إلى الوداع فقط بل نوّه بها بصلاة و دعاء على فكره، حتى وإن كان ذلك نقدًا أو اعترافًا بالجميل، فكل ذلك ضيافة لشخص محبوب.

كان تاريخ7ديسمبر 1996 تأريخ للضيافة الفكرية الأولى التي قُدمت "لليفيناس" بعد مرر أوّل عام على رحيله، ففي مدرج ريشيليوrichelieu تحت إشراف الأستاذة:"دانيال كوهن

[1]- Jacques Derrida, adieu à Emmanuel Levinas, Galilée, paris, 1997, p 11.

ليفيناسDanielle Cohen-Levinas•"، من خلال لقاء معنون:"الوجه وسيناء le visage et Sinaï" فلفظ سيناء دلالة على الأثر والتعالي، دلالة على موسى والشريعة، فهي استحضار للتوراة من الوجه الإنساني، فما حدث في سيناء هو قول الشريعة، وفيها تأسيس كلام الرّب وعلاقته بالوجهّ الإنساني، كما أنّ الوجه وسيناء دلالة على الانتخاب والمسؤولية، والإعلان الأوّلي للوصايا والتعاليم الدينية التي توصي بالعدل، اللقاء كشف عما هو أقوى من الموت، وأنّ العودة إلى ليفيناس كان بهدف الاستفادة والتعلم منه، وهذا كرد للفضل والجيل الذي لطالما كان ليفيناس يقدمه،" فدريدا" يتحدث عن أهمية لقاءه بليفيناس ومدى تواضعه وحرصه على النشاطات العلمية والبيداغوجية، وهو بمثابة مصدر إلهام للعديد من الفلاسفة، وكان رد الدّين أو الضيافة متمثلة في إقامة أكثر من 250 دراسة تنوعت بين الندوات والمؤتمرات، وكلها دلالة على الإخلاص، يقول دريدا:"عندما كنّا نستعد لتأسيس الكلية، ذهبتُ لأطلب منه النصيحة والموافقة وحتى الوعد بالمشاركة، لكن ليفيناس قد أعطاني كل ذلك، وكان معنا منذ اليوم الأول"[1].

كانت لقاءات "دريدا" "بليفيناس" دائمًا اكتشافًا بالنسبة له، ما يرويه عنه في الحديث الذي دار بينهما في "شاره مشلي انجي" حينها "دريدا" لم يكتشف فقط أنّ الاتيقا سابقةً على الانطولوجيا وما بعدها، وليست هي الدولة والسياسة، وإنّما باعتبارها قداسة الآخر وباعتبارها غاية للاتيقا، يُعبّر "دريدا" عن هذا اللقاء بالقول:" من خلال تلك المحادثات التي تعتبر ذاكرتها عزيزة جدًا بالنسبة لي، قال لي في أحدى تلك المحادثات التي أضيئت بتميز فكره، ولطف ابتسامته، ...كما تعلمون:غالبًا ما نتحدث عن الاتيقا لوصف ما أفعله، لكن ما يثير اهتمامي في الأخير ، ليست هذه الاتيقيا فقط بل

•دانيال كوهن ليفيناسdanielle kohen Levinas فيلسوفة وموسيقية فرنسية، ولدت سنة 1959، من أهم المختصين في أرشيف هوسرل مهتمة بالتراث العبري، مؤسسة فعلية لحلقة خاصة تعنى بالدراسات اليهودية والفلسفية، وأسست سنة 2008 مركزا تحت اسم مركز ايمانويل ليفيناس. من أهم أعمالها:qui est comme dieu, Levinas lecteur de heidegger2012

يُنظر:موقع babilio.com

[1]- Jacques Derrida, adieu à Emmanuel Levinas, p 40.

أيضًا قداسة القديس la sainteté du saint"[1]، فالاتيقا لا معنى لها دون الرجوع إلى الآخر المقدس.

ثانياً: العنف والميتافيزيقا

يقدم " دريدا" قراءة للميتافيزيقا الليفيناسية التي يتهمها بنوع من العنف الذي يمارسه الأنا ego، وذلك قبل العلاقة المباشرة له مع الآخر، في مقالته المطولة ضمن عمله:" الكتابة والاختلاف l'écriture et la différence والتي تحمل عنوان:"العنف والميتافيزيقا "violence 1964 et métaphysique"، والتي تركّز على فلسفة ليفيناس، يظهر فيها "دريدا" منتصرًا لهوسرل ولأفكاره الترنسندنتالية حول فلسفة الوعي، التي تغيب تمامًا عن الفكر الليفيناسي، كما يتوعد العنف الذي قدّمه ليفيناس لهيدغر بأنّ وصف فلسفته الانطولوجية بالسلطوية، وكأنّه يريد أن يقول أنّ العنف الحقيقي هو ذاك الذي يمارسه الإنسان وتحديدًا رؤية وجود الآخر الذي يشكله وعينا حتى ولو أتعتبرنا أنفسنا مسئولون عنه، فذلك يعني أننا أصدرنا حكمنا بحقة كآخر، فأن يبقى في محيط معزول ذلك هو الخطأ الفلسفي الذي لا يُغتفر، لذلك يجب تصويبه قبل الحديث عن أي لغة تُعنى بالآخر، وينطلق دريدا من اللغة المستعملة في بناء العلاقات بين العينه والآخرle même et l'autre، والذات ego.

إنّ ما يميز الأنا النفسية l'ego هو أنّه يتمتع بنفس خصائص الآخر، فهو العينه، ومثلما يكون الآخر آخرًا بالنسبة له، يكون هو كذلك آخرا له، التفسير الخاطئ مرتبط بحقيقة أنّ الغيرية عند ليفيناس تعتبر "برانية مطلقة" extériorité absolu لا تُختزل ضمن الوعي، وفي نفس الوقت يتحدث عنه بأنّه يقول شيئًا سلبيا، فحسب دريدَا الحصول على معنى الآخر ضمن غيريتي الغير قابلة للإختزال، وبمعنى آخر يكون بتعديل الفعل القصدي لأناي النفسي، de mon ego،

[1]- Jacques Derrida, adieu à Emmanuel Levinas, p 15.

أو العينه، وضرورة التحدث عن الآخر على أنّه آخر،هذه الضرورة هي العنف ذاته، أو بالأحرى الأصل المتعالي لعنف غير قابل للاختزال ، عنف ماقبل اتيقي"[1].

تجسد حقيقة العنف كما يراه ليفيناس بربط غيرية الآخر في العينه، حيث يغيب اللانهائي والترنسندنتالي، ويصبح الآخر حينها مختزلا ضمن مقولات الوعي ونرجسية الأنا، اللانهائي هو المنفذ من هذا العنف الذي يمكن أن يسببه العينة أو الأنا في حق الآخر، ومن هذا المنطق يعود "دريدا" إلى التحليلات التي قدّمها هوسرل حول علاقة الوعي بالأشياء، التي يرفضها ليفيناس مقابل التراث الاغريقي، "ودريدا" هنا يرى أنّ التحليل الذي قدّمه ليفيناس لهوسرل لا يحترم التفكير الصوري الذي يتوجب أن يكون بين الوعي والأشياء، أو علاقة الوعي بالآخرين، فليفيناس يحاول جاهدًا استبعاد الآخر من دائرة العينه، حيث لا وجود لاختلاف ولا لحرية خارجية، لذلك كانت الغيرية هي كل ما يقع خارج سلطة الوعي، "فدريدا" يرى في هذا المقام أن الوعي إن قال شيئًا ما عن الآخر فقد جعل منه وجودًا خالصًا له، كما أنّ تعديل موقف الآخر ينجم عنه موقفه تجاه الأنا، وكذلك التعديل الخاص بالأنا ناجم عن نمط وجود هذا الآخر.

يرتبط العنف بدرجة أساسية باللغة الميتافيزيقية– صيغة الخطاب والتعاليم، التي تؤسس الغيرية على البرانية المطلقة للآخر،أين يستقل عن الذات، يعتقد هنا دريدَا أنّ ليفيناس قد خان خطابه الفلسفي وذلك بجعل العلاقة مع الآخر "اللامتناهي" أصلاً للغة والمعنى، وهذه العلاقة يسميها بالنزعة الامبريقية l'empirisme، والامبريقية هنا لا يقصد بها تجربة خالصة، وإنّما نمط وجود الآخر بالنسبة للعينه، وبالتالي فإنّ الإرادة التي تُخول إلى احترام الآخر هو ما يطلق عليه "دريدا" اسم الامبريقية، والاحترام هو لغةٌ ميتافيزيقية ذات طابع فلسفي خاطئ، وهذا يعني إقصاء الوعي، أو نفي للفكرة التي بموجبها توجد هذه الإرادة،يقول دريدا:"....الاسم الحقيقي لهذه الاستقالة للمفهوم، والأبعاد الترنسندنتالية هو الامبريقية حيث في الأخير لم ترتكب سوى خطأ واحد فلسفي، يقدم نفسه على أنّه فلسفي"[2]، وهنا السؤال الذي يحاول "دريدا" الإجابة عليه من خلال هذا القول هو أنّه لو

[1]- Jacques Derrida, l'écriture et la différence, édition du SEUIL, paris, 1967, p 188.
[2]- Ibid, p 224.

كانت الحقيقة الميتافيزيقية تدعو الذات بعيدًا عن الوعي، فكيف يمكن للمرء أن يتحدث عنها، بينما يريد لنفسه أن يبقى ضمن حدود الفلسفة؟

يتمثل السؤال الذي طرحه "دريدا" حول كيفية سماح ليفيناس لنفسه بأن يكتب أو يسمع للآخر تمامًاle tout autre، أن يندرج في لغة الوجود والحاضر والجوهر، والعينه والاقتصاد، معظم هذه الاستفسارات كانت موجهة لعمل الكلية واللانهائيtotalité et infini 1961، كما أشار إلى العنف الترنسندنتاليviolence transcendantale،"فهناك حتمًا إمكانية عنف ترنسندنتالي، ما قبل اتيقيpré-éthique ، عدم التناسق، يسبق كل تجربة الاتيقا الغيرية، فمثل هذا العنف له لغة فلسفية محضة، "ودريدا" انتقده من العنف الذي يمارسه الأنا أي من علم الوجود والعقل، دريدا بهذا الإعلان لم يكن يعلم أنّه كان شبه إنذار، لليفيناس أين أعلن عن نوع آخر من العنف الخارجي أو الميتافيزيقي، وهو عنف عان منه الأنا والذي لن يكون نتيجة الخطأ بل من الفداءّ"[1].

2- الضرورة الإستطيقية للوجه : قراءة ميشيلا مرزانو

تعالج "مشيلا مرزانو" Michela Marzano(1970- Italie) في عملها فلسفة الجسد la philosophie du corpsإشكالية الوجه الإنساني الذي تعطيه أهمية كبيرة في علاقات الأفراد، وهو الأساس الذي ينتمي به الإنسان للمجتمع، فالوجه هو جسد يمكن تأمله ووصفه، هو خاصيتنا الأساسية الذي يربطنا بالعالم الخارجي، فهو كغيره من أعضاء الجسد ينتمي إلى ذاتي وهو ملك خاص بي، فهو ليس مجاوزًا للسيطرة والملكية كما ذهب إليه "ليفيناس" في بعض أعماله، إذ يعطي الأولوية للعلاقة بالآخر قبل الذات أو جسدية الأنا، وهذا ما يعبر عنه بالقول:"...أنا مرتبط بالآخرين قبل أن أرتبط بجسدي"[2]، فالجسد يبقى ملكية للغير أي أنّه حالة حساسية ومعاناة لما نتلقاه من مسؤولياتنا الشاملة تجاهه، وهذا يعني أن تكون لأجل الآخرين، وفي

[1]- Francisco Xavier Sanchez Hernández, vérité et justice dans la philosophie d'Emmanuel Levinas, p 299.
[2]- Emmanuel Levinas, autrement qu'être ou delà de l'essence, p 123.

المقابل "مشيلا مرزانو" ترى أهمية قصوى لجمالية الجسد وتأثيره على حالتنا النفسية والجسدية، فهو ملكيتنا الخاصة لذا يمكن أن نتأمله، نتعلق به، قبل أن يكون ملكية للآخر وللعالم الخارجي، وهذا ما تكشفه لنا عبر تجربة المرض التي تؤثر في نفسية وشخصية كل فرد.

قيمة الذات حسب "مرزانو" لا تتخلى عن الجانب الاستطيقي، فالمرض يجعلنا أكثر ارتباط بأجسادنا، يؤثر على نفسيتنا، فبقدر ما تكون أمراض جسدية تليها أمراض نفسية والعكس صحيح، لهذا لا يمكن للشخص أن يتخلى عن جسدية لصالح الآخر، فمرض أي عضو من الجسد يولد حالة نفسية معقدة تجعل المريض منصبًا على مكان الألم، أي يستحوذه، فالجسم قبل المرض ليس نفسه بعد مرضه، فهو يصبح أكثر قيمة وأهمية لنا، وقد يشكل عائقًا أمام تواصلنا مع الآخرين أو اندماجنا في المجتمع من جديد، وهذا ما تعرضه "مرزانو" عبر تجربة تطعيم الوجه.

تعتبر عمليات التجميل وزرع الأعضاء والتحسينات ضد التشوهات عملا تكميليًا لجسدية الوجه، بل لهويته، فلا هوية ولا وجود للوجه إن فقد أي عنصر من كيانه، المرض يعرقل كينونتنا، ويؤزم نفسيتنا،ففي "مشفى اميان الجامعي" قام الدكتور: "ج م ديبرينار" بتطعيم وجه لأول مرة، المثلث أنف، شفة، ذقن، والقصة التي تسردها "مرزانو" تنقل لنا هذه التجربة المريرة التي عاشتها الشابة "اليزابيث دينوار" بعد أن فقدت جزءًا كبيرًا من وجهها جراء عضة كلبها، فلم تعد تستطع إشعال سيجارة، فبعدما استفاقت من الحادثة وتوجهت نحو المرآة اكتشفت حينها أنّه لم يعد لها وجه، وهو الأمر الذي استلزم إجراء عملية تطعيم لوجهها المشوه الذي لم تعد تتقبله، ولم يتوقف الأمر عندها بل أثّر على علاقتها بالآخرين، جعلها تهرب من المجتمع ومن نظرات النّاس، ولم تعد آمالها سوى استعادة وجهها كبقية النّاس، وأن تعيش حياة طبيعية مثلها مثل الآخرين، فتقول عن هذه الحالة:" في المشفى لم أخرج من الغرفة طيلة شهر ونصف، وكنت أخاف من نظرات الآخرين، لم أعد أستطيع تناول الطعام بالشكل العادي،...لم أعد أستطع فتح فمي بقدر ثلاث ميليمترات ومنذ يوم العملية صار لي وجه كالجميع، واستطيع فتح فمي وتناول الطعام ، في الواقع أريد استعادة حياة طبيعية"[1].

[1]- ميشيلا مرزانو، فلسفة الجسد، تر: نبيا أبو صعب، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط1، 2011، ص 73.

إنّ ما تلخصه الشابة "اليزابيث" هو سجن الجسد، الذي يتملكنا، فاستعادة وجهها الذي فقدته بفعل عضة الكلب هو استعادة الحياة والسعادة، ولّد لها ثقة في النفس، لم تعد تخجل من نظرات الآخرين، فالوجه حسب "مرزانو" وفق نموذج "اليزابيث" هو:"ما لا يكون بصورة عامة، بل هو وجها شخصياً،لفرد وحيد، هذا الوجه هو الذي يشكله"[1]، ما الذي يحصل للإنسان إنّ فقد وجهه؟

إنّ حيازة الوجه له معنى أخلاقي، وهو ما يترجم عمليات التطعيم وزراعة الأعضاء، فتطعيم الوجه لا يتوقف على شعورنا ونفسيتنا فقط، بل لأنّ الآخرين يعرفوننا من خلاله، فشكله هو الذي يربطهم بنا، وفقدانه يعني فقدان العلاقة، "فمشيلا مرزانو" تعود لأحداث فيلم فانيلا سكاي vanillasky" لكامرون كرو"، الذي يعالج فقدان الشخص لأحبّائة جراء فقدان الوجه، ففي الفيلم بعدما كان الشاب "آمس دافيد" يملك كل شيء من المال، والنجاح المهني وعلاقاته مع صديقته المقربة "صوفيا" التي تعلقت به إلى أنَّ القصة لم تستمر كثيرًا لأنّ "دافييد" لم يعد له وجه، فالأطباء فعلوا كل شيء و لم يستطيعوا تحقيق الآمال المرجوة وإنقاذه، فبذلك تحطمتّ آماله وكذلك "صوفيا"، ولم يعد أمامه سوى خيار وضع قناع لإخفاء التشوه الذي سببه له حادث المرور، تقول مرزانو:"لكن القناع الجامد يبعد الجميع وحتى صوفيا تجنبته، وتدهورت حياته"[2]، هذا لأنّ السمة الأساسية للوجه المتمثلة في إتاحة فرص اللقاء بفعل شكله الاستطيقي لم تعد متوفرة، ولم تكن الاتيقا كافية بالشكل اللازم.

4- بول ريكور: الذات عينها كآخر

يُقدم بول ريكور(1913-2005) في كتابه" الذات عينها كآخر" soi-même comme un autre 1990 (seuil) قراءة نقدية للعلاقة الميتافيزيقية التي يقوم بها الأنا مع الإنسان الآخر، وتحديدًا مبدأ عدم التماثل asymetrie ، ويتهم ريكور ايتيقا ليفيناس بأنّها بلا أنطولوجيا، ولعل السبب الرئيس على قلة احترام الذات، وبهذا الشكل يستحيل الحوار، لذلك يلجأ

[1]- مشيلا مرزانو، فلسفة الجسد، ص 74.

[2]- المرجع نفسه، ص 77.

"ريكور" لبديل للعلاقة بين الذات والآخر، وذلك على أساس مقومات انطولوجية والمعاملة بالمثل، فليفيناس يقيم العدالة على أساس الإصغاء والإجابة تكون بالصيغة" ها أنا ذا"، وهي إجابة بمثابة عقاب على التقصير المرتكب تجاه الآخرين، لذلك كانت المسؤولية شعورًا بالذنب، فالذات في هذا الموقف تصبح مجبرة على الإجابة على نداء الغير وذلك قبل انتظار موقف الآخر منها، المسؤولية المجانية تكون أشبه بعقاب أو تكفير للذات على كل ذنب يعانية الإنسان، وهذا نتيجة لعدم مسؤوليتنا للحرص على إقامة العدل، فالآخر عبارة عن صورة لذلك الشخص المضطهد، وهو سيّدًا للعدالة، إنّ الذات في الموقف الذي تكون به في خدمة الآخرين تصبح حسب "ريكور" ذاتًا مفعولا بها، فاقدة للحرّية غير فاعلة، وهي ذات وراء هوّية ميّتة، وكل ما في الأمر هو أنّها مطالبة بهذا الواجب، لذلك ليفيناس كان دائمًا يرى أنّ العلاقة مع الوجه تُبنى على الانفصال، ما يعني أنّه لا وجود لأي تماثل، أو معاملة بالمثل يقول ريكور:"إنّ الذات مطالبة بالمسؤولية من قبل الآخر، غير أنّ المبادرة تعود إلى الآخر وبالتالي فانّ الذات تكون بصيغة المفعول به لا الفاعل حين يبلغها الأمر، والإلزام بالمسؤولية ليس له من مقابل سوى أنّها مستدعاة"[1].

تترك لنا آلام الغير ومعاناته صدمة في الذات أو السلبية بالمعنى الليفيناسي، فالمسؤولية حتمية لرفع الغبن عنه، وكذلك الوقوف إلى جانبه في آلامه، فاللا مساواة شرط العلاقة الاتيقية، فالطريقة الوحيدة لاحتواء الآخر في عين الذات لا يكون معرفياً، لأنّ ذلك يكون بالمسؤولية، على معاناته، والتأثر به إلى درجة الهوس، "ريكور" يتساءل إذا لم يكن هذا الواجب عفويًا فإنّه حتميًا سيكون كئيبًا، وعليه فإنّ المسؤولية لا تتم على أساس تقدير الآخر لي، ومعنى هذا التقدير هو الرعاية المتمثلة في استجابته لي، فالآخر معنيٌّ بتقدير الذات estime de soi فهو يمثل تقدير الذات واحترامها، "فريكور" يرى من خلال هذه الرعاية أنّها بعيدة تمامًا عن عدالة "وجها لوجه" التي يقدمها "ليفيناس" لذلك الرعاية التي ينظّر لها "ريكور" تعتبر تكملة للنقص الذي وقعت فيه ميتافيزيقا ليفيناس، وحتى علاقتنا بالآخرين لا تتوقف مع الغرباء فقط بل بأولئك الذين نعرفهم أيضًا، فالذي يستبعده ليفيناس

[1]- بول ريكور، الذات عينها كآخر،تر: جورج زيناتي، مركز توزيع دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت -لبنان، ط1، ص 374.

من هذه العلاقة هو الرعاية، فالتشابه أو التبادل والمعاملة بالمثل هو أساس كمال العلاقة عند "ريكور" فالآخر مثل الذات، والمسؤولية يجب أن تكون مدفوعة بأسباب معروفة، فالآخر يطالب بأن يعرفني ويدركني أنا كآخر إلى جانبه، أي مثلما أراه يراني، واستهداف العالم يكون بطبيعة مشتركة بين الذات والآخر أو مثلما يقول ريكور:" تقدير الآخر بالذات عينها، وتقدير الذات عينها كآخر".[1]

يرى "ريكور" أنّ الحركة التي يبنيها الآخر نحو الذات عند ليفيناس تشكل قطيعة، حيث تتجلى ضمن مفهوم العينه، والغير أو الآخر، الذي يكون ضمن دائرة الفينومينولوجيا والانطولوجيا، فالحركة التي تُقيّد الآخر نحو الذات تشكل امبريالية عند ليفيناس، وينتهي بها الأمر إلى الكلية حيث سيفقد الآخر كل مفاهيمه ووجوده، ليصبح متشابهاً في وحدة، إذ يشكل رتابةً وتناسقًا، الأمر الذي استشكل على "ريكور" فيقول:"إنّ التمييز الذي أقيمه أنا بين نوعين من الهوّية، هوية الذاتية وهوية العينه، لا يعوز من الممكن أخذه بعين الاعتبار:وبالطبع ليس ذلك بسبب ناتج عن إهمال فينومينولوجي أو تأويلي، بل لأنّه لدى إ.ليفيناس هوية العينه مرتبطة تمامًا بانطولوجيا الشمولية التي لم تستوعبها أبحاثي، بل إنّها لم تصادفها في طريقها"[2].

تشتّد مغالاة العلاقة المتافيزيقية في عمل ليفيناس، فعبارة الذاتية الأساسية :" ها أنا ذا" والتي تفترض بالقول le dire– المسؤولية، فما يقع خارج القول ليس إجابة والتزامًا، ليصبح فوضى المسؤولية هنا أصلها هو الماضي، أسبق من كل زمن وأصل، فالأمر الصادر يعود إلى ما تحت كل بداية، وأصل arché ، حيث اللا–أصل an– arché والفوضى، حيث الآخر يصبح مهوسًا به، تصبح الذات رهينة له، أو ضحية له، لأنّها بالأساس دون أصل، دون حرية، ذاتًا مفعولا بها، فيصبح شعور المسؤولية إحساسًا بالاضطهاد نتيجة تحمّل أخطاء الآخرين، فالآخر يقدم نفسه ميتاً، يطالب بالمبادرة التي تصفح وتكّفر عن الأنا، فالغير إذن هو صورة مباشرة للمسيء، ولا يكفي اعتباره مسيئًا فقط، فهو يطلب كذلك التكفير عن هذه الإساءة، هذه هي الصورة التي يقدمها "كتاب

[1]– بول ريكور، الذات عينها كآخر، ص 382.

[2]–المرجع نفسه، ص 617.

مخالفة الوجود أو ما وراء الماهية"، أمّا في كتاب "الكلية واللانهائي totalité et infini" حسب "ريكور" يكون الآخر هو ذلك السيّد، الغير هنا يقدم في صورة المعلم،: فماذا يمكن أن نقول عن الآخر حين يكون الجلاد؟ ومن ذا الذي يميّز المعلم من الجلاد؟ وبما أنّ الأولوية في العلاقة لا تأتي من الآخر الذي يمثل البرانية المطلقة، وهو ما يحدده بالانفصال، فهو بهذا المعنى يحل نفسه من كل علاقة، كما أنّ هذه اللا-علاقة تحدد الخارج عنها فيقول في هذا الصدد:"لا أعتقد أني أقلل من شأن تحاليل كتاب ليفيناس الشمولية واللانهائي totalité et infini، وهي تحاليل رائعة وأنّي لا أقول شيئًا هنا من كتاب الوجود مختلفًا أو أبعد من الماهية autrement qu'être ou delà de l'essence، وذلك حين أقول أنَّ هذا الوجه هو وجه سيّد العدالة، أستاذ يلقّن ولا يُلقن إلا بالصيغة الأخلاقية، إنّه يمنع القتل ويطالب بالعدل، أيّة صلة هناك بين هذا التلقين، هذا الحض والأمر والصداقة؟..."[1]، يكوّن الذات ليجعلها قادرةً على المسؤولية، فالرّعاية تقتضي تقدير الذات والآخر لا يجب أن يظل محكومًا علية بالاختلاف، بأن يظل غريبًا، فهو شبيهي، فهو آخر بالنسبة لي مثلما أنا آخرًا بالنسبة له، نشكل عالمٍ مشتركاً ومتكاملاً، فالاستمتاع والألم مثلما يتمتع بها الأنا يتمتع بها الآخر .

يهدف "ريكور" إلى إقامة عدالة الرعاية، التي تسعى إلى العيش مع الآخر في مؤسسات عادلة تسودها المساواة والاحترام والاعتراف والتشاور، فعدالة الوجه عقيمة لا تحوي أيّ رسالة:"فالعدالة تمتد إلى ما هو أبعد من علاقة" وجهًا لوجه"[2]، "فريكور" يتساءل لما لا تكون هنا كمعاملة بالمثل، فالغير ليس ذلك الشخص الذي يُفهم دائمًا بشكل سلبي، وسلطوي، فالرعاية الحقيقة تتوقف على لغة الحوار والتفاهم والمعاملة بالمثل، فلا يكفي الهوس بحمل جل الحمل الذي يمليه الآخر، وفق مبدأ الاستبدال الذي ينظر إلى الآخر باعتباره غير العينه، "ريكور" يرى أنّ الهوية معرفة كعينهmémeré وليس كذاتية، لأنّ الهوية تتوقف على كل ما تحوزه الذات، والعينه يشكل كل كيان الشخص، الذي يجعل إمكانية تقديره للغير متوقف على الاعتراف المتبادل بهوية العينه.

[1]- بول ريكور الذات عينها كآخر، ص 374.

[2]- المرجع نفسه، ص 382.

بعد شهرين تمامًا من نشر عمل ريكور، "الذات عينها كآخر"، أرسل "ليفيناس" إلى "ريكور" رسالة يدافع فيها عن نفسه، حيث اعتبر قراءته لعمله الكلية واللانهائي لم تكن صحيحة، تلك التي تنصب حول إساءة تقدير الذات أو احتقارها من الآخر، بينما يرد عليها ليفيناس بأنّ المسؤولية ذات طابع خيري مجاني لا ينتظر مقابل، ويقول في مضمون الرسالة:" عزيزي بول ريكور، اسمح لي...أن أدافع عن نفسي بشأن نقطة أثيرت في الصفحات380- 392 التي تنتقد طريقي في فهم العلاقة بالآخر بجهل ما تسميه:" تقدير الذات"estime de soi، الذي حسب تحليلك ينتمي بالضرورة إلى كرم الآخر، وأحاول في الواقع أن أفكر في الآخر من المسؤولية بأنّها عمل خيري، أصيل وأساسي ومجاني أمام الآخرين"[1]، وبعد تلقي "ريكور" للرسالة رأى أنّه من الضروري أيضًا الرد عليها، وكان هذا تحديدًا بعد شهر من قراءة الرسالة، ليخبره فيها أنّه ليس بحاجة للدفاع عن نفسه مادام هذا الآخر غير قادر على إيقاظ مشاعر احترام الذات، يقول ريكور:"عزيزي ليفيناس....علاقتي بك تتحدد بالاختيار الأولي لفئة الذات... وهذا يعني أنّه من بين ما أسميه "احترام(تقدير) الذات" والعناية بالغير والعدالة تجاه الكل، فلا يوجد ترتيب للأولويات، بل تتابع تعلمي بسيط...، إذا كان هناك وجود لأيّ خلاف بيني وبينكم فهذا بالضبط عند النقطة التي أؤكد فيها إذا ثبت أنّه قادر على إيقاظ احترام الذات"[2].

6- قراءات عربية للفكر الليفيناسي: عبد الله المطيري وفلسفة الآخرية

يهتم "عبد الله المطيري" بالحقل الفينومينولوجي عبر دائرة فلسفة الآخرية، والتي يعنون بها كتابه الأساسي في هذا الموضوع والذي خصه بدراسة مقارنة بين كل من "سارتر" "وليفيناس" فكان العنوان الرئيس هو: "فلسفة الآخرية، الآخر بين سارتر وليفيناس وبهجة الضيافة"، فينتهي في هذا الكتاب مع الآخرية التي تهدف إلى الضيافة التي يمكن بها للإنسان الغريب أن يكون في علاقة مع الذات، "فالمطيري" يعطي الأهمية البالغة للحضور واللقاء، فحضور الآخر لا ينفك عن المحافظة على

[1]- Francisco Xavier Sanchez Hernández, vérité et justice dans la philosophie de Emmanuel Levinas, p 299.
[2] Ibid, p 300.

شخصيته وذلك على عدم المساس بحريته ولا معاملته على هويته المختلفة، ولعل الحوار هو الأساس الذي يمتّن هذه العلاقة الآخرية، وبه يفهم الوجود الإنساني الحقيقي.

تعتبر فلسفة الآخرية نوعًا من المسؤولية الشاملة التي يمكن للمُضيّف أن يقدمها لضيفه، وبهذا الشكل تختلف هذه الفلسفة تماماً عن دارة المعرفة التي يُعاب عليها لدي كل من "ليفيناس" "والمطيري" على أنّها ضيّقة المفهوم، تختزل الأفراد مثلهم مثل سائر الأفكار، فالآخر ما إن يصير تحت حكم المعرفة والفكر فإنّه يصير مختزلاً ومعيّنًا تحت مفاهيم وحدود ترسمها الذات العارفة، فهي تقتلعه من وجوده الخاص والمميّز الحر ليوضع تحت شروط مفاهيم ذاتية خاصة، يصبح الآخر فيها خاضعًا لحكمها، فالتعريف طبيعته صورية، أمّا الآخر مثلما يراه المطيري يأخذنا إلى بعد "اللاتناهي" بتعبير المطيري أو اللانهائي l'infini عند ليفيناس، ويبقى الأساس الوحيد للعلاقة به هو الإنصات أو الرد عليه، سواء بالمسؤولية الليفيناسية أو بالضيافة المطيرية، فالأساس من العلاقة إذن هو جعل الآخر حاضرًا، فالآخر لن يكون كذلك إن قمنا بتعريفه أو إرجاعه إلى الذات وتمثلات الأنا، في لقاء مسجل يقدم فيه المطيري كتابه السابق، يرى:" أنّ الآخر فيه بعد اللاتناهي، والعلاقة به ليست تعريف بل هي علاقة إنصات وتلقي، وهذا معناه إعطاءه فرصة لأن يحضر"[1]. وتقريبًا هو نفس الطرح الذي يقدمه "ليفيناس"، حيث تكون المسؤولية تلبية للنداء، وإجابة عن الأمر الصادر المتمثل في الخطاب الصادر عن الآخر، لذلك أساس العلاقة به لا تخضع لأي شروط يفرضها الأنا، أما والضيافة تعني الخدمة الطوعية المجانية التي تهدف إلى راحة الضيف دون شروط مسبقة، وهي أشبه بالاستسلام له، وبهذا النمط يكون الاستماع متجسدًا، يقول المطيري في كتابه فلسفة الآخرية:" الاستماع هو مشهد للآخر وليس للذات، الاستماع فيه استسلام واستقبال وإيذان للآخر بالحضور والغياب"[2].

يربط المطيري فلسفة الآخرية بغاية السعادة، التي تعبر عن توفر كل ما يرضاه الضيف، وليس الاشمئزاز والقلق، الضيافة ليست جدالا، ولا صراعًا، فبهجة الضيف لحظة من لحظات الزمن حيث

[1]–حسان الغامدي ، فلسفة الآخرية مع د عبد الله المطيري، لقاء مسجل– يوتوب ، حصة تناص–بودكاست، شركة نديم، لقاء مسجل، 30افريل 2022، د5.

[2]– عبد الله المطيري، فلسفة الآخرية، الآخر بين سارتر وليفيناس وبهجة الضيافة، منشورات مدارك، السعودية، ط1، 2021، ص 29.

يشعر الضيف بالارتياح، ومتى شعر الضيف بالارتياح انعكس ذلك إيجابًا على الذات، أي أنّها أدّت واجبها على أكمل وجه، لأنّ غاية الآخرية بهذا الشكل تكون قد تحققت، وبالتالي فإنّه يتم التخطيط المسبق لأجل أن تكون الضيافة على أحسن وجه، كتوفير الجو الملائم الذي يحقق راحة الضيف وبهجته، مثلا تلك الخاصة بالمكان، والمأكل والمشرب، ويقدم المطيري هنا مثالا جميلا للحظة الزمنية التي بها تتحقق الضيافة وهو "الهديّة"، فالهدية قيمة يكون من وراءها تحقيق سعادة الشخص الذي نقدمها له، فهي تعبير عن الامتنان له، والحب والوقوف إلى جانبه.

تكون الضيافة الحقيقة لدى كل من ليفيناس والمطيري كما سبقت الإشارة إليه إلى للمحتاجين، والفقراء وعابري السبيل، للأرامل واليتامى، فهي ليست للأغنياء، أو لعموم الأشخاص، الضيافة هي أن ترحب بالآخر، وتعمل على بهجته، فيكون الاشتغال على كل الجوانب التي تحقق له راحته، فلا عذر للرفض أو لإحراجه، ولعل رمزية "البيت المفتوح" أو مثلما يعبر عنها المطيري بعبارة :" البيت بيتك"[1]، و " أبشر"[2] هي التي تحددها، وفكرة الباب المفتوح معناه لا وجود لأي شروط مسبقة لها، ورمزية البيت هي جعل الضيف ينخرط بسرعة في الأجواء، ألا يشعر بغرابته، ويستلزم عن هذا توفير كل الوسائل لأجل راحة الضيف، أي توفير الرعاية اللازمة لحضور الآخر، وجعله في المقام الأول والأخير، وكذلك رمزية "ذات أبشر" دلالة على الاستعداد التام للرعاية للازمة، أي مسؤولية شاملة وكاملة على الوعد بتقديم الخدمة اللازمة التي تحقق رضى وبهجة الضيف، إن شرط هذه المسؤولية هو عدم التكافؤ، ومعنى ذلك أنّ الذات لا تتعالى ولا تتكبر على ضيفها، بل ترحب بوجهه، ومضمون العلاقات الاتيقية لا يحكمها التكافؤ، بل هي عبارة لعلوّ مكانة الآخر على الذات، فبهذا الشكل يكون التحول الأخلاقي الذي تحوله الضيافة للاتساق مع عالم المضيف بالمعنى الواسع للعالم، أي الاتساق بين الأخلاق والطبيعة الإنسانية، والعالم المحيط بها، فالمطيري يرى أنّ هذه نقطة اختلاف أساسية مع ليفيناس الذي يرى: "أن الطبيعة أنانية، بينما الأخلاق غيرية"[3].

[1]- عبد الله المطيري، فلسفة الآخرية، ص384.

[2]- حسان الغامدي ، فلسفة الآخرية مع د عبد الله المطيري، لقاء مسجل- يوتوب، د102.

[3]-عبدالله المطيري، فلسفة الآخرية، ص ص 380-381.

-الذاتية:

ينتقد المطيري فكرة الذاتية بالمفهوم الليفيناسي والتي يؤسسها فقط باعتبارها تلبية النداء بالمسؤولية الشاملة، دون حرية سابقة للقبول أو الرفض، فالذات رغم كل شيء تقبلها دون شروط لأنّها تعتبر نفسها مكرّسة ورهينة للآخرين، لأجلهم، أمّا المطيري يرى أنّها تتحقق في العالم وتحديدًا عالم الضيافة، وفي البيت تتحقق المسؤولية الشاملة للذات على الضيف، فدون الضيافة لا توجد ذاتية، فذاتية الضيافة لا تخضع للإكراه، أو فقدان الحرية، مثلما يراها ليفيناس، فالبيت هو الوجه الحقيقي الذي نقابل به الآخر، حيث نقدم له الغذاء، من المأكل والمشرب، وليس هو البيت الذي يراه ليفيناس كمغادرة لهذا العالم والتوجه نحو الآخر، أي أن مكان تواجد الأنا غير مكان تواجد الإنسان الآخر، فالبيت ليس مكان للآخر وإنّما مكانا يتم ضيافته فيه، فهو المقر لذلك اللقاء حيث تتأسس الذاتية، وفيه يتم استقبال الغريب، والأجنبي، فالآخرية تحضر إلى مكان الذات المضيافة، فالضيافة مخصصة للغرباء والبُسطاء، من أهم شروطها هو توفر الأمن، فمثلما يقول عنها المطيري:" أنها حماية للآخر"[1] ولعل الأم أهم عنصر داخل البيت وشرط أساسي للضيافة، وهذا ما تم تجاهله لدى كل من ليفيناس وسارتر حسب المطيري، فالأمومة تعتبر الأصل، والأساس، معها يُخلق جوًا حميميًا، من طبيعتها المضيافة، فبدونها لا يمكن أن نتحدث عن ضيافة تليق بالضيف، فالأولى إكرام الضيف التي تكون من أولويات الذاتية، يقول عنها المطيري:" الذاتية كما لاحظنا مع ليفيناس سابقًا، لا تتحقق بالانطلاق بحرية في العالم، بل تتحقق قبل ذلك من خلال الاستجابة لنداء الآخر وتحمّل مسؤولية ذلك النداء، أن تكون الضيافة شرطًا مؤسسًا للبيت يعني أن يكون البيت محل تحقق مسؤولية الذات وتحققها،أي أنّه يصبح تعبيرًا عن مسؤولية الذات تجاه الآخر"[2].

-القداسة:

تمثل القداسة عند المطيري اتصال الذات بما يتجاوزها أي تعلقها بكل ما هو مفارق لها، والقداسة ترتبط ارتباطًا وثيقًا "بالحرام"، فالذات هنا تقف عند حدود المشروعية والحلال قصد إكرام

[1]-حسان الغامدي، فلسفة الآخرية مع د عبد الله المطيري، لقاء مسجل، مرجع سابق، د58.

[2]- عبد الله المطيري، فلسفة الآخرية، ص 384.

الضيف، والذات التي تتعلق بالحرام لا ترتبط بأي صلة بالآخرية، بل بالعكس تهدمها، القداسة بهذا المعنى مثلما يقول المطيري هي:" ليست ...ذاتيًا، بل إنصاتا للتعالي"[1]، فاستقبال الضيف قداسة وإنصات للتعالي، وتجسيدا للحلال، وللآخرية، وهذا الطرح يخالف ليفيناس الذي يرى أن الوجه هو شكل لتجسد القداسة لأنّه به يتم الاتصال بكائن متعالي الذي يلقي خطابًا على الذات المسئولة، وليفيناس يربط هذا الوجه باللانهائي، لكنّه حسب المطيري لا يوضحه ما هو؟ فالوجه يكون بلا معنى وبلا أساس إن كان دون تعبير، فمتى تكلم الوجه أصدر أمرًا متعاليًا، لكن المطيري يتساءل ماذا إن لم يكن الوجه متكلمًا؟ فحقيقة الوجه تقول أنّه متى كان غائبًا غاب عنه التعبير والعكس صحيح، يقول المطيري:" فالقداسة لا التعبير هي اتصال الذات بالآخر"[2].

بهجة الضيافة:

يحرص المطيري على راحة الضيف التي لابد أن تتوج بالبهجة، فما إن يبتهج الضيف تكون قد تحققت الضيافة والآخرية، فالإنسان المضيف الذي يفتح باب بيته الذي يخصص منه مساحة خاصة بالضيوف يكون مستعدًا لصناعة البهجة في هذا المكان، بجعله جواً لطيفًا، يشعر فيه الضيف بالراحة وبالابتهاج، ففي البيت يتم إكرام الضيف، حيث تقدم له القهوة، وكل ما يحتاجه من مأكل وشروط أخرى للراحة، هذا لأنه من شروط الضيافة هو أنّنا لا ننتظر من الضيف حتى يطلب شيئًا فنقدمه له، لذلك المطيري يصف حالة الضيافة التي تهدف إلى الابتهاج "باللغة الاعتذارية "لأنّ المضيف بقدر ما يقدم يشعر أنّه مقصر في حق الضيف الغير المحدود، فالضيف هو البطل وليست الذات، ووجود الآخر وجود مبتهج"[3].

إنّ ما يُعاب لدى ليفيناس حسب المطيري هو عدم اعتبار الغيرية أو المسؤولية على الآخر ابتهاجًا، فالعكس تمامًا إذ تتحول إلى معاناة واضطهاد، لتصبح الذات مجرد رهينة تتحمل ثمن أخطائها، والرهينة حالة إذعان وخضوع، لذلك كانت المسؤولية الليفيناسية تولد حالة من السلبية

[1]- عبد الله المطيري، فلسفة الآخرية، ص 395.

[2]- المرجع نفسه، ص 396.

[3]- حسان الغامدي، فلسفة الآخرية مع د عبد الله المطيري، لقاء مسجل، مرجع سابق،د 108- 110.

تأتي من حجم المسؤولية ومن الشعور بالتقصير والذنب، فالذات عند المطيري لا تتألم بقدر ما تبتهج وتفرح، بل وتشعر بالذنب كلما شعرت بالتقصير في حق الضيف الغير محدود، أمّا المسؤولية عند ليفيناس والتي تفتقد للبهجة والفرح تكون مخصصة بإطعام الجياع، والمحتاجين وتقبل الألم مقابل رعايتهم، فالسؤال الذي يقدمه المطيري لليفيناس:" لماذا لا توجد إمكانية لمثل مشاعر الابتهاج والفرح أن تكون من الأولوية الأخلاقية؟ ولما لا تكون هناك مسؤولية على فرحهم وسعادتهم لها نفس الأولوية؟"[1]، فكل ما هنالك حسب المعنى الليفيناسي هو اكتفاء صنع الذاتية على الشعور بالندم والتقصير، وبتقبل الألم، فلما لا تكون هناك مسؤولية تولد فرحًا وتصنع بهجة تعود على الذات وعلى الآخر، ولعل الضيافة هي السبيل الوحيد الذي يخلق جو السعادة بالابتهاج الذي يتحقق مع الضيف، حيث تتولد حالة الهدوء والسكينة، فبمثل هكذا ضيافة يتحقق المقدس باعتباره استقبال وخضوع للآخر،وبضيافته يمكن الاتصال باللانهائي.

[1]- عبد الله المطيري، فلسفة الآخرية، ص 406.

خلاصة ونتائج الفصل الثالث

في نهاية هذا الفصل نكون قد أجبنا على موقف ليفيناس من الاستطيقا ومن الوجود الأنثوي، إضافة إلى القراءات المختلفة لأهم الأسس الاتيقية عند ليفيناس، ومن جملة النتائج التي يمكن تلخيصها نجد:

- تتمثل الوظيفة الأساسية لفن في التظليل و العمل الفني يحرر الفنّان من واجباته الإنسانية.

- اللوحة الفنية لا تترك مجال للنقد، أو التأمل، فهي تفرض نفسها ولا توفر أي فرص ممكن لمن يريد أن يتحدث.

- الصورة الفنية تبيّن أنّ الحقيقة محصورة بين قوسين، فهو لايجسد العالم وغنما يشبهه، كضعف وانعكاس أو ظل، يحاول من وراء ذلك تزييف صورة الواقع، ومع ذلك يريد الدفاع عنها كونا تمثل الحقيقة.

-العمل افنّي يقع خارج اللحظة وخارج الزمن، يسقط في الصنمية، فهو اللا واقع ، لايشير إلى شيء آخر غير نفسه.

- فن الطمس له خاصية الإيحاء والكشف، فالمنحوتات الخاصة بساشا سوسنو تكشف عن لحظات تريد الحضور بقوة، والنحت عمل يدعو إلى الكلام، وإلى كشف السّر، فهو دعوة إلى الحديث وإلى العلاقات الاجتماعية، كما أنّ الطمس له خلفية دينية تحرم تشبيه الخلق الإنساني بالخلق الرباني، كما أنها لحظة يريد من خلالها ليفيناس التأكيد على أنّ الوجه لضرورة من شكله، فقيمته الأساسية تمكن هناك فما وراء والنحت دعوة دائمة إلى مزيدا من الرعاية ...

- الأنوثة يعالجها ليفيناس من منطق الخطاب التعليمي المتمثل في الصور الأولى من الوجود البشري حيث يتعلق الأمر بالخلق، بالطريقة التي خلقت بها الأنثى، فقداسة الجنس الآخر قد اكتسبت من قصة الخلق فهي ليست مجرد جنس مختلف عن الرجل، وإنما بالعكس حواء لم تكن أبدًا مخصصة لغايات كانت إغرائية كانت تنقص آدم، وإنّما كانت البداية الأولى أساسًا لتكامل وبناء الأسرة ثم المجتمع فهو خلق يهدف من وراءه إلى علاقات اجتماعية يجسد حضور الأنثوي بعيدا عن الطرح الذي يدنسه ويفرغه من هويته.....

خاتمة

تتوقف حقيقة الميتافيزيقا الليفيناسية على بنية الخطاب الذي يسمع من نداء الوجه الإنساني، فرسالته الأساسية هي المطالبة بالمسؤولية الغير محدودة على الغير، والتي تتلقاها الذات كنداء إلزامي مستعجل من وراء الوجه، ولهذا السبب يجد ليفيناس مبرر رفضه لفينومينولوجيا هوسرل التي لا تكفي لوصف هذه الحقيقة الخاصة بالوجه، وبإسقاط هذا الأساس الوصفي والإدراكي للفينومينولوجيا يترتب عنه أيضًا رفض الأسس الأخرى كالقصدية، والاختزال، والأنا الترنسندنتالي، فهي ببساطة جملة أسُس تقوم على غاية المعرفة والإدراك تجاه الموضوعات التي تنسبها إلى الذات العارفة أو الأنا الترنسندنتالي بالمفهوم "الهوسرلي"، لذلك أي محاولة لتطبيقها على الآخر فإنّها تُفقده غيريته، وحريته، ليترتب عن ذلك فقدان أصالة العلاقات الاتيقية، والتي تفقد أيضًا ضمن الطرح الأنطولوجي الذي سبق وأن قدمه هيدغر في نمطية وجود الدازاين وتواجد الغير معه، إضافة إلى أهم المشكلات الانطولوجية كالقلق والموت، فالأنطولوجيا تمارس نوعًا من العنف والسلطة على الذات، وفي الأخير تعبير عن حالة اغتراب وأرق يزيد من تيه الإنسان في الوجود ومشاكله.

بعدما اكتشف ليفيناس عجز الاتجاهين الفينومينولوجي والأنطولوجي، أخذ بفينومينولوجيا ترنسندنتالية أكثر أصالة، وأكثر تقديرًا لحرّية الإنسان، فهي فينومينولوجيا دينية بالأساس تقوم على إدراك حقيقة إله غير مرئي ضمن الوجه، الذي لا يحتاج إلى براهين عقلية، فيه يُستمد الغير قداسته وتعاليه، فما يقوله الوجه الغير مرئي أو- فما وراء الوجه بتعبير ليفيناس- هو خطاب تعليمي ترنسندنتالي باسم الإنسانية، فالإتيقا تقترب من الدين أكثر من الفينومينولوجيا بمعناها لدى "هوسرل" فاللانهائي أو الإله لا يظهر نفسه إلا كأثر ترنسندنتالي يأمر الأنا برعاية الآخر المحتاج، الذي يطمح في تحقيق عدالته، وإنسانيته، ويترتب على ذلك إجابة، أو ردًا، أو القول على هذا النداء بمسؤولية شاملة، دون شروط مسبقة، وهكذا ينظر ليفيناس إلى العدالة وإلى الحب، وإلى الجار، ومن هنا يمكن القول أنّ أصالة الفينومينولوجيا الترنسندنتالية إذا كانت تنطلق من أفكار "هوسرل" فإنّها تتأسس على الدين اليهودي أي على الإله الذي يتجسد كحضور سلطوي غير مرئي لازم للعلاقات الإنسانية، فهو الأصل الذي يأمر بحب الغريب، وعدم القتل، كالأمر بإنصاف الفقراء والأرامل واليتامى، وهنا تتجلى حقيقة الإله الذي ينفلت من الحضور الأنطولوجي والفكري، فالميتافيزيقا الليفيناسية تتأسس

وفق وصايا تعليمية دينية، تذكّر الإنسان بواجباته تجاه أخيه الإنسان، وهذا هو الدين الحقيقي الذي يتجسد كممارسات وأفعال إنسانية، ومن هنا يمكن تلخيص هذا البحث في عدة نتائج تعتبر إجابة لفرضيات أُثيرت في مقدمة هذا العمل وأهمها:

-أنّ معظم النماذج الاتيقية الانطولوجية تتأسس عل فينومينولوجيا ترنسندنتالية لإله غير مرئي، ضمن تجلي حقيقة ماوراء الوجه،حيث الخطاب، التعبير، الوصايا، الأوامر، الدين، الإنسانية.

- ساعدت الفينومينولوجيا الترنسندنتالية الهوسرلية ليفيناس على اكتشاف النقص في أسس الأنا الترنسندنتالي، والذي يمنع العلاقات الإنسانية بين الأنا والغير.

- بالرغم من أنّ الأنطولوجيا الهيدغرية ذات قوة ومتانة، إلا أنّ ليفيناس لم يأخذ بها ولم يراها شرطًا أساسياً لوجود الآخر، أو لرد الاعتبار لحقيقته، فالقلق، والخوف والموت حالات تنعكس على الذات تجاه معانات الغير، فهي تمارس نوعًا من الإمساك والسلطة على الذات، كما أنّها ليست سببًا كافياً لتأسيس العمل الفني والاستطيقا التي تغترب بسببها.

- تملك الاتيقا بعدًا فينومينولوجيًا ترنسندنتاليًا يتعلق بماهية الإله الذي يجسد ظهوره كأثر، فهو لا يلقي خطابًا إلا باعتباره ماض سحيق- لا يمكن تداركه- يعبر عن فقدان الحرية والإرادة في اختيار المسؤولية في الحاضر.

- ساهم التراث العبري بشكل كبير في التأصل لمشروع ليفيناس ولهذا السبب نجده يدعم أفكاره بعدة آيات تلمودية تزيد من متانتها، وتأثير هذا المنهل راجع إلى تنشئته الدينية وإتقانه للعبرية، ونجد هذا التأثير في النصوص التي تهتم بتطبيق العدالة الاجتماعية التي تبدأ العلاقات الإنسانية، وكذلك الإلحاح على احترام الآخر وحب الغريب، وإعطاءه كل ما يستحق من شروط الرعاية والحب، إلا أنّ هذا لا يعني إقصاء التجربة المريرة التي عاشها في ظل الاحتلال النازي الذي مس بشكل مباشر الوجود اليهودي في العالم، وعائلته بشكل خاص.

الملاحق

– ملحق خاص بسيرة ليفيناس الفكرية

– ملحق خاص بعلاقة ليفيناس مع كل من سارتر وميرلوبونتي

– ملحق خاص بفن الطمس لدى ساشا سوسنو

1-ليفيناس: حياته وسيرته الفكرية

كان تاريخ 12جانفي1906 يوم ولادة ليفيناس بليتوانياLituanie بإقليم كوناس، وهناك من يرجح أنه ولد بتاريخ 12 جانفي1905 [1]، كانت تنشئة ليفيناس من عائلة يهودية، وقد كانت بلدته ليتوانيا تحوي عدد لابأس به من عائلات اليهود المنتشرين في أوروبا الشرقية، حيث أنّ اليهودية المنتشرة هناك لم تكن صوفيه على الإطلاق وإنّما بالفكر الحاخامي، من خلال شروحات الشروحات التي تحدّث حول التلمود وفي التلمود[2]، وهذا ما يبرز المستوى المرتفع من هذه الدراسة في تلك الفترة فليفيناس كان يتقن اللغة العبرية، كما قرأ الكتاب المقدس وقد أثّر فيه بشكل كبير، ما جعله يقدم قراءات في التلمود وهذا ما نلتمسه في بعض أعماله المعنونة بـ: من المقدس إلى القدس القراءات الخمسة الجديدة للتلمود ,du sacré au saint cinq nouvelle talmudique وعمل القراءات الأربعة للتلمود quatre lectures talmudiques وكتاب الحرية الصعبة سنة difficile liberté1976.

تميزت حياته بعدة أحداث كبرى ساهمت بشكل كبير في تحديد مساره الفكري، ومن أهم هذه الأحداث نجد الضغط الذي شكلته الحرب العالمية الثانية على عائلات اليهود في العالم، وخصوصا عائلته كانت ضحية هذا الغزو، فتمثل سنة 1914 حدث هروب عائلة ليفيناس مت تقدم القوات الألمانية نحو روسيا، في خاركوف، أوكرانيا حاليا، التحق بالمدرسة الثانوية هناك بالرغم من العدد القليل المخصص للطلبة اليهود قصد التمدرس وهو 5، وهناك قرأ للمفكرين والرواة الروس ومن هؤلاء نجد:بوشيكنPouchkine، ليمونتوف، تولستوي، دوستوفيتسكيDostoïevski، غوغولgogol، وقد تأثر بهم إلى حد كبير، باعتبارها تحمل قيماً مهمة في الحياة تعبر عن التجارب الإنسانية، فيقول عنهم:"إن مكانة المفكرين الروس مثل بوشكين، غوغول، دوستويفسكي قد بقيت في ذهني بكل مكانتها بالرغم من كل الانبهار في حياتي الغربية"[3]، ولعل الجملة الشهيرة التي يستعملها

[1]voir: Philipe svandra, introduction à la pensée d'Emmanuel Levinas, le soin ou l'irréductible inquiétude d'une responsabilité infinie, revue de recherche en soin infirmiers, n132, paris,2018, p 92.
[2]-François poirié, Levinas qui êtes vous, p 64.
[3]-Ibid, pp 64-66.

كثيرا في أعماله الفلسفية قصد التأكيد على المسؤولية الغير تناظرية والشاملة في حق الآخر هي عبارة ديسويفسكي للإخوة كرامازوف والتي تنص على مايلي:" كل واحد منا مذنب أمام الجميع من أجل الجميع ومن أجل كل شيء، وأنا أكثر من الآخرين"، فما تقصده العبارة هو تأكيد على المسؤولية التي يختص بها الأنا بأنها أكثر من كل مسؤوليات الآخرين.

في سنة 1920: عادت عائلته إلى لتوانيا، وفي سنة 1923 ذهب بنفسه إلى فرنسا، إلى ستراسبورغ، وهذا لأجل دراسة الفلسفة، حيث يلتقي الشاب ليفيناس بموريس بلانشو الذي أقام معه علاقة صداقة عميقة، وهو الذي عرّفه ببروست وفاليري، حيث في هذه الفترة بدراسته للفلسفة اكتشف هوسرل، أين سيذهب لمدة عام كامل بين فترتي 1928 و1929 إلى فرايبورغ بألمانيا حيث سيصبح تلميذا لهوسرل ،ويزوره إلى بيته، ويقرأ كتابه البحوث المنطقيةrecherche logique الذي سيعجب به كثيرا، كما سيعجب بمارتن هيدغر ويلتقي به كما سيقرأ كتابه الوجود والزمان être et temps،فكان ذهابه إلى فرايبورغ أهم سبب في اهتمامه بالحقلي الفينومينولوجي وتخصيصه لدراسات تخص كل من هوسرل وهيدغر مثلا عمله الأساسي اكتشاف الوجود مع هوسرل وهيدغرen découvrant l'existence avec Husserl et Heidegger .

في سنة 1930 ناقش ليفيناس رسالة الدكتوراه المعنونة نظرية الحدس في الفينومينولوجيا الهوسرلية بإشراف كل من شارل بلونديل وموريس برادين، فنالت إعجاب برونشفيك، وليفيناس في هذه الفترة سيتابع دورات برونشفيك والكسندر كوجيف حول هيجل، إضافة إلى الدورات في الاجتماعيات الفلسفية التي كان ينظمها غابرييل مارسال.

كانت سنة 1931 حدث حصوله على الجنسية الفرنسية، وبذلك سيصبح فيلسوفًا فرنسيًا من أصول لتوانية، وهو نفس العام الذي تزوج فيه مع "رايسا ليفيناس"Raïssa Levinas .

في سنة 1939 أدى ليفيناس الخدمة الوطنية، وفي سنة 1940 يُسجن في منطقة ران، ثم يتحول بعدها إلى ألمانيا كأسير حرب، ليحتجز بعد ذلك في معسكر أسرى حرب مخصص للجنود اليهود في فترة الحرب، ولعل الحدث الأكبر الذي أثّر عليه هنا هو إبادة جميع أفراد أسرته الذين كانوا قد مكثوا

في لتوانيا، وقد شهدت فترة الأسر لحظ تأليف بعض أعماله منها:من الوجود إلى الموجود de l'existence à l'existant سنة 1947، إضافة إلى عمله الموسوم carnet de captivitéوهو مجوعة مسودات ومذكرات التي تنشر سوى مؤخرا.

في سنة 1945: أي بعد الحرب، سيشارك ليفيناس بانتظام في المؤتمرات في كلية جان وايل John wileالفلسفية ،"وفي هذه الفترة كانت بدايته الأولى بدراسته حول التلمود تحت إشراف السيّد شوشاني، حيث صار في هذه الفترة مديرًا للمدرسة الإسرائيلية الشرقية– المدرسة الأوروبية الشرقية أين كان يقدم محاضراته حتى وفاته، فقد أدار المدرسة لمدة 35 عاما"[1].

في سنة 1961 نشر أطروحته: الكلية واللانهائي totalité et infini essai sur l'extériorité، و من سنة1967– 1975 بدأ ليفيناس مسيرته الأكاديمية في جامعة بواتييه ثم باريس ، والسوربون، حيث سيدرس حتى عام 1976 وهو عام تقاعده.

توفي الفيلسوف الفرنسي ليفيناس يوم 25 ديسمبر 1995 عن عمر يناهز 90 عاما قضاه بين تجارب قاسية، نتيجة الطفولة القصيرة التي تنتهي عن بداية الحرب حسب تصريحاته، أن اضطر إلى الهجرة والفرار من رعب الزحف النازي، إضافة إلى إبادة عائلته، وتجربة السجن والأسر، هذا لم يمنعه من إنتاج فكري غزير، يتنوع بين الإرث الفلسفي والإرث الديني.

يعد ليفيناس من أهم الفلاسفة المعاصرين المهتمين بالحقل الفينومينولوجي، والذي طبقه على مشروعه الاتيقي الذي يقوم بإعادة سؤال الهوية من جديد خصوصا عندما يتعلق الأمر بحضور الآخر، فكان تركيزه منصبا على الاعتراف بالآخر بعيدا عن أي شروط، فليس من العدل إقصاء الآخر المختلف والغريب عن الذات، كما أنه ليس من باب الإنسانية أن يقوم الأنا باختزاله أو التعالي عليه، فالاتيقا الليفيناسية هي بحث عن هوية جدية للذات، محاولة لاكتشافها من جديد، أن تكون مخولة لأجل الآخرين، تراعي مصالحهم وتتفهمهم،فاكتشاف الإنسان لايقوم على تعريفه أو تصنيفه وإنما على الاعتراف به وبحريته وباختلافه، فالهوية الحقيقة هي يتماهى بها الأنا مع حريات أخرى

[1]- Philipe svandra, introduction à la pensée d'Emmanuel Levinas, p 92.

مختلفة دون منطق الاحتواء أو فكرة التسلط والتعالي تحت أي شرط يمكن أن يؤثر على الرابط الذي يجمع بينهما، ولأجل تأكيد هذا المشروع يستعمل ليفيناس المرجعة الدينية وهو التلمود للحديث عن التعالي الذي تقودنا إليه فينومينولوجيا اللامرئي، أو ميتافيزيقا ما وراء الوجه حيث نلتمس حقيقة الغير، وهناك نلتمس أثر اللانهائي والإله، وما المسؤولية إلا رغبة في تنفيذ هذه الوصايا المقدمة من وراء الوجه من الإله الغير مرئي، حيث يمكن بلوغ الترنسندنتالي والمقدس، وهذا ماحاولنا أن نؤكده ضمن بحوث هذا العمل ول بدرجة قليلة.

لإيمانويل ليفيناس عدة مؤلفات رئيسية تحدد مشروعه الفلسفي ويمكن أن نذكر أهمها فما يلي:

1- 1930- la théorie de l'intuition dans la phénomelogie de Husserl.
3-1948-1979-01985- le temps et l'autre.
4- 1961 totalité et infini, essai sur l'extériorité
5- 1967en découvrant l'existence avec Husserl et Heidegger
6- 1968-2005,quatre lecture talmudique
7-1972-1987 humanisme de l'autre homme.
8-1974-1990- autrement qu'être ou delà de l'essence.
9-1976-1983-1963, difficile liberté, essai sur le judaïsme.
10-1975-sur Maurice blanchot
11-1976-1987-noms propres
12-1977- du sacré et saint, cinq nouvelles lectures talmudiques.
13- 1980 le temps et l'autre
14-1982- de l'évasion
15-1982- de dieu qui vient à l'idée.
16- 1982-1986, l'éthique et l'infini
17-1982, l'au delà de verset, lecture et discours talmudique
18-1988, à l'heure des nations.
19-1991-1993, entre nous
20-1993-1995, dieu, la mort et le temps.

21-1994-2000, les imprévus de l'histoire
22-1994- liberté et commandement, transcendance et hauteur
23-1995- altérité et transcendance.
24-1997, hors sujet.
25-1998- de l'oblitération
26-1998 l'éthique comme philosophie première.

27-et les œuvres complètes: tome1; carnet de captivité,2009; publie sous la responsabilité de Rodolphe câlin et Catherine Chalier
tome2: parole et silence 2011, Catherine Chalier et Rodolphe câlin.
tome03: éros, littérature et philosophie,2013, Catherine Chalier et Rodolphe câlin.

ملحق متعلق بعلاقة ليفيناس مع كل من سارتر وميرلوبونتي

يشيد ليفيناس بمكانة المفكرين الفرنسيين سارتر(Sartre,1905-1980) وميرلوبونتي merleau ponty(1908-1961)، ويعتبرهما أهم حلقتي في الفلسفة الفرنسية المعاصرة، لكونهما اكتشفا إمكانيات جديدة للمنهج الفينومينولوجي، والتي أخذت تسمية الوجودية الفرنسية، فعلى المستوى الشخصي، يكن "ليفيناس" إعجابه بهذين المفكرين، أما "ميرلوبونتي" فكان "ليفيناس" شديد الإعجاب بأصالة أعماله، وذلك بالغرم من اعترافه بالاختلاف القائم بينهما في عدة أوجه ، ويذكر أنه كان يلتقي به ضمن الحلقات التي كان يديرها جان فال jean wahl بكلية الفلسفة في سنوات الثلاثينات والأربعينات، ولما كنت أساهم في تحرير مجلة الأزمنة الحديثة les temps modernes, التي كان يديرها بمعية "ساتر"، فبالنسبة إلى لقاء "ليفيناس" "بساتر" كان ذلك قبل الحرب بعد صدور روايته المهمة التي تعتبر أهم إصدار في خضم سياسات التوتاليتارية الهتلرية، فيقول ليفيناس أنّه التقى به عند غابرييل مارسال-Gabriel marcel(1889 1973)ضمن اجتماعاته التي كانت تتم مساء كل سبت بتوقيت مرة كل شهر، وهو اجتماع مخصص للفلاسفة، وهو المكان الذي حضرت فيه حديث سارتر" [1].

بالنسبة للقاءات "ليفيناس" بسارتر"كانت ثلاث مرات إجمالا، وكان آخرها في العام الذي سبق وفاته، حيث طلب منه آنذاك المشاركة في عدد مجلة الأزمنة الحديثة متعلق بالقضية الفلسطينية، كما كانت له عدة نقاشات بعد الحرب، ولعل أهماها موضوع وجود إسرائيل المثير للجدل، وكان قد رآه أيضا عندما حصل على الدكتوراه الفخرية من جامعة القدس، ولديه معه صورة تذكارية حيث يهنئه إضافة إلى اتصالات عرضية، فكل هذا يدل على اهتمام "ليفيناس" "بسارتر" وحبه الخاص له:"أما على المستوى الشخصي فقد أحببت سارتر دوماً"[2].

يعتبر أهم شيء نال إعجاب "ليفيناس" في شخصية ساتر هوة رفضه جائزة نوبل للآداب سنة 1964، وذلك لأسباب أخلاقية تتعلق بحريته الشخصية، فقد كتب حينها "ليفيناس" رسالة إلى

[1]- Françoise Poirié, Levinas, qui êtes vous, p 87.
[2]-esprit, 234, p 124.

ساتر، كونه الرجل الوحيد الذي قد يفعل ذلك، وهو الرجل الذي له الحق في الكلام، و ربما هو الوقت المناسب للتحدث، وكان بكل تأكيد يملك حق الذهاب إلى مصر إلى "جمال عبد الناصر" Nasser، وذلك قصد اقتراح السلام مع إسرائيل، وهي فكرة ومجنونة، وليفيناس يقول قد قلت له حينها أنت الرجل الوحيد الذي سيستمع له عبد الناصر، وتذكر سيمون دي بوفوار Mme peauvoire، في عملها la force due ، وفي مكتبة بيكارد picard وفي شارع "سان ميشال"، إعجاب ساتر برسالة ليفيناس، وبموضوع رسالته:"نظرية الحدس في الفينومينولوجيا الهوسرلية"، حيث كانت لحظة مميزة، فقد تصفحه وقال: أردت أن أقولها لكن هاهو "هوسرل" قد قالها بالفعل".

وإعجاب "ليفيناس" "بسارتر" الأهم كان من خلال قراءته للتاريخ اليهودي، الذي لم يكن لأجل أبعاده السامية antisémites، فإذا لم يكن لليهود تاريخ فسارتر يعطيه لهم، بتاريخ يشبه إلى حد ما التاريخ الهيجلي أي يصبح أمة، فقد بدا لسارتر فكرة شعب يفتقر إلى السمات الأساسية هي فكرة غير عقلانية وغريبة، [1]

أُعجب ليفيناس كثيرة "برواية الغثيان" la nausée سنة 1938، التي أصدرها "ساتر" أثناء الحرب، في ظل احتلال الألمان لباريس 1940، فاعتبرها عمل عظيم وهي قطعة معادية للألمان، وحينها "سارتر" لم يكن خائفًا من الفضيحة"[2]، وكتب أيضا:" أشعر أني قريب من "سارتر" من خلال الانتماء إلى نفس الجيل"[3]

ينتقد ليفيناس تصور ساتر للآخر، الذي حاول جاهدا بكل الأشكال إقصاءه، وهذا لأنه يملك صورته الوحيدة المتمثلة في الجحيم، وهو الذي يهدد حرية وإطلاقية الأنا، لذلك كان المشروع الأساسي له هو اختزال الآخر ضمن مقولات الأنا، فبالرغم من إن ليفيناس يكن الاهتمام بالتحليل الفينومينولوجي الذي يطبقه ساتر، فهو كان يتأسف دائمًا على تأويله للآخر كتهديد، وتدهور.

[1]- Emmanuel Levinas, les imprévu de l'histoire, p 135.
[2] -Françoise Poirié, Levinas qui êtes vous, p 88.
[3]-Emmanuel Levinas, les imprévu de l'histoire, p 134.

– تأثير فكر فرانز روزنزفيكFRANZ ROZENZWEIG:نقد فكرة الكلية

" جاء انتقادنا للكلية بعد تجربة سياسية لم ننساها بعد"، ليفيناس، الاتيقا واللانهائي، ص73

تعد فلسفة ليفيناس رفضا مطلقا للكلية، لذلك كان مفهوم اللانهائي نقدا وتجاوزا لها، فكل ماهو سيء يسر إلى الكلية، الحرب أفضل نموذج لتجسيدها، والكلية تشير إلى لحظة الانغلاق التي يمارسها الأنا ضد كل ما يقع خراجه، ويعبر عن الاختلاف معه، والكلية معناه الاحتواء ضمن نسق منظم متشابه يشكل وحدة مطلقة، ومن جملة المفكرين التي ينتقدهم في الطرح نجد هيجل أين يتجسد معه الوعي الكلي والمطلق، فكل مفاهيم التاريخ والكون والوجود هي أساسيات الكلية وهي حالات لممارسات العقل وهنا ليفيناس ينطلق من عمل روزنزفيك المعنون بنجمة الفداء L'étoile de rédemption، الذي يقدم نفسه كسلاح ضد الكليانية الهيجيلية، أو هو تمرد، فالفكرة الأساسية لنجمة الفداء هو عرض تجربة دينية ليست بالصوفية تعود إلى الوجود الموضوعي لكل المجتمعات الدينية، والمعاني التي عبر عنها كيانها الوجودي فهو قديم قدم التاريخ فالنجمة تعني نهاية فلسفة الكلية التي ختم بها هيجل، نجمة الفداء هي علاج لأهم الأسئلة الكبرى المتمثلة في العنف، الحرب، الدين، المسيحية واليهودية، حيث يتم هدم النظام الشمولي، الذي يكتمل مع هيجل، فالفلسفة الجديدة تعتمد على البحث عن الدين من خلال تجربة الحياة، يعرف ليفيناس هذه الكلية في عمله الاتيقا واللانهائي:"أنها محاولة للتوليف الشامل واختزال كل تجربة وكل ما هو منطقين إلى كلية حيث يحتضن الوعي العالم ولا يترك أي شيء آخر خارج نفسه وبالتالي يصبح فكرات مطلقا"[1] "فلسفة روزنزفيك التي هي بالأساس عبارة عن مناقشة هيجل، فهي تمثل أولا نقدا جذريا للكلية، وهذا النقد يبدأ من تجربة الموت"[2].

أساس الفكر الجديد عند روزنزفيك يتعارض مع الفكر الفلسفي من أيونيا إلى جينا، من طاليس إلى هيجل، ويرفض مثل هيجل عن الكلية حيث لا تقدم الدول والحضارات والرجل والفيلسوف المعنى الحقيقي لفكرنا كما يرفض اللجوء إلى الكلية التي لاستعطي أي معنى للموت،

[1]-Emmanuel Levinas, éthique et infini, p 69.
[2]- Ibid, p 70.

حيث يموت كل شخص بشكل غير قابل للاختزال في حسابه الخاص، من الاختزال إلى عدم الاختزال، فهذا هو نهج الفكر الجديد،la nouvelle pensée"[1]، وبمجرد اكتشاف الإنسان انه كائن أخلاقي، سرعان ما يكون ذلك سببا في التخلي عن الكلية،وبهذا يؤكد روزنزفيك على عالمية اليهودية لكن بمعنى عالمية الانتخاب أي فهم الوجود لأجل الكل، أي أن اليهودية تتجسد في الوحي، تتجذر في الذات، في الحقيقة الشخصية.

تشير فكرة الكلية إلى اتساع الطموح بحيث لا تدع أي شيء ينفلت منها، والتشخيص الذي قدمه روزنزفيك له هو وجود الفكر الذي يفرض حقه من خلال التأكيد على كلية العالم، ضد تعدد المعرفة، فهي تؤسس وحدة اللوغوس،وحدة العالم ككل، وكل من ينكر ذلك(وحدة اللوغوس) فهو يق ضد الأخوة المشرقة من أيونيا إلى جينا، عند روزنزفيك ليس الأنا من يرفض الكلية، بل مثلما قال كيركيغارد هو الآخر، فالآخر يرفض الاحتواء والاختزال في وحدة اللوغوس التي تضيق مفهومه"[2] الكلية تجعل فهم أي معنى غير قابل للاختزال إلى الاختلاف التعددي، والاختلافات الطبيعية، حيث يتم قمع الآخر فالاختزال يتم لغاية المعرفة المطلقة، فالآخر لا يستمتع بذاته لنفسه وإنما ينتمي إلى سلطة هذه المعرفة المطلقة الخاصة بهيجل حيث يصبح فيه الآخر ينتمي إلى هوية المتطابق وغير المتطابق مع نسق المعرفة المطلقة حيث الكلي.

نشر ليفيناس مقال بعنوان:"راهنية موسى بن ميمونl'actualité de Maimonide ضمن عمله السلم والحقpaix et droit يرى فيه احتمالية الخروج من انغلاق الوجود في العالم نحو السمو الحقيقي للإله، وذلك بفضل اليهودية ومغادرة الوثنية وانغلاق العالم، وهنا يقصد فلسفتي أرسطو وعلم الوجود الهيدغري، وهذه الروح قد عبر عنها موسى بن ميمون.

[1]- Emmanuel Levinas, les imprévu de l'histoire, p 76.
[2]-Francisco Xavier Sànchez Hernández, vérité et justice, p 114.

ملحق خاص بفن الطمس: من خلال لوحات النحات ساشا سوسنو.

يعتمد فن الطمس على محو وتجويف الأوجه الأساسية للأشكال ، وهذا المحو له دلالة على جملة من الفواصل واللحظات التي لم تذكر لسبب ما، يعبّر عن النقص وعدم الاكتمال، وفي ذلك دعوة للقراءة، للكلام....

ويأتي اهتمام ليفيناس، بأعمال سوسنو المشوهة والمعتمة، أو المجوفة في بعض الأحيان،لأنّ هناك سببًا وراء ذلك ذلك، فكل عمل منحوت فقدَ أحد أجزائه هو بمثابة الرغبة الملحة في الكلام، وشرح سبب الطمس، فالقراءة الليفيناسية تذهب إلى ما وراء المنحوتة، حيث سيُكشف السر، وتتكلم المنحوتة، لم يعد هناك صمت مثلما هو الحال في الصور الفنية، فكل فجوة، وكل فراغ، وكل قطع هو انفتاح لما بعد الإدراك الفني، حيث خطاب الآخر "وسوسنو" يعي جيّدًا ما هو الثقل الذي يحمله غياب الوجه، كائن يتعذب، يتألم، يجاهد من أجل إظهار نفسه، فمثلا نجد منحوتة الرأس المربع(الشكل الأوّل)، منحوتة الجسد المبتور والمجوف مع صورة سوسنو(الشكل الثاني)، فجميع الصور المرفقة مقتبسة من عمل ليفيناس المعنون بـ de l'obliteration الذي نشره سنة 1990، وهو عبارة حوار أقامه مع "ساشا سوسنو" ، يعرض فيه ليفيناس النقد الانطولوجي والاتيقي للفن.

فما يلي بعض صور للأعمال الخاصة بالفنّان "ساشا سوسنو" فما يتعلق بفن الطمس.

الشكل الأوّل

منحوتة الرأس المربع: la tête carre

Marbre de carrare, hauteur 60 cm, (de l'oblitération)

-الفنان "ساشا سوسنو" مع منحوتته المشهورة رأس المربع

drapé dans le vide

الشكل الثاني: جسد مبتتور، مطمس، يحتمل قراءات لسبب ذلك

S’il a des défauts il s’en défait, 1979, bronze, hauteur 51cm

الشكل:03

–منحوتة رخامية تخفي الوجه الإنساني من كتاب:de l’oblitération

الشكل الرابع:

منحوتة لسوسنو، تبين إخفاء للوجه الإنساني، كدلالة على هويته المغتربة

الشكل:05

منحوتات مجوفة

Montage d’une des statues de l’ elysée, palace, nice, 1988.

Voir ; de l’oblitération

الشكل:06

منحوتة تبين طمس الحقيقة الإنسانية، ويظهر ذلك من خلال تعمد إخفاء بعض جو انبها.

Sans titre, 1983, bronse et pierre, hauteur, 43 cm.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع والموسوعات والمعاجم

1-القرآن الكريم

المصادر:

1-Emmanuel Levinas, théorie de l'intuition dans la phénoménologie de Husserl, vrin, paris, 2010.

2-Emmanuel Levinas, en découvrant l'existence aven Husserl et Heidegger, Librairie Philosophique J Vrin, Paris 2001.

3- Emmanuel Levinas, éthique et infini, dialogue avec Philipe Nemo, librairie arthène fayard et radio France , 1982.

4-Emmanuel Levinas, altérité et transcendance, fata morgana, paris, 1995

5-Emmanuel Levinas, de dieu qui vient à l'idée, librairie philosophique j. vrin, Sorbonne, 1992.

6-Emmanuel Levinas, éthique comme philosophie premiere, préfacé et annoté par jacques Rolland, rivage poche, petite bibliothèque, édition Payot, 2015.

7-Emmanuel Levinas, hors sujet, fata morgana, paris, 1987.

8-Emmanuel Levinas, carnet de captivité et autres inédits, oueuvres1, sous direction de Rodolphe câlin et de Catherine Chalier, Édition grasset et fasquelle/ IMEC, Italie 2017.

9-Emmanuel Levinas, totalité et infini, essai sur l'extériorité, biblio essai, martinus nijhoff, paris, 1971.

10-Emmanuel Levinas, liberté et commandement, préface de pierre Hayat, fata morgana, 1994.

11-Emmanuel Levinas, dieu, la mort et le temps, figure grasset et fasquelle, France, 1993.

12-Emmanuel Levinas, entre nous, essais sur le penser-à- l'autre, Bernard grasset, fasquelle, paris, 1991.

13-Emmanuel Levinas, éthique et infini, dialogue avec Philipe Nemo, librairie arthène fayard et radio France , 1982

14-Emmanuel Levinas, difficile liberté, quatrieme édition, Michel Albin,2006.

15-Emmanuel Levinas, les imprévus de l' histoire, livre de poche, biblio essai, fata morgana,1994.

16-Emmanuel Levinas, œuvres2, parole et silence et autre conférences inédites, édition grasset et fasquelle, imec éditeur, 2009.

17-Emmanuel Levinas, humanisme de l'autre homme, livre de poche, biblio essai, fata morgana, par Emmanuel Levinas, autrement qu'être ou delà de naissance, livre de poche, biblio essai, édition martinus nijhoff, 1978.

18-Emmanuel Levinas, quatre lectures talmudique, édition de minuit, 1968.

19-Emmanuel Levinas, au-delà du verset, lecteur et discours talmudiques, les édition de minuit, paris, 1982.

20-Emmanuel Levinas, du sacré au saint, cinq nouvelles lecteurs talmudiques, les édition de minuit, France, 1977.

21-Emmanuel Levinas, être juif-suivi d'une lettre à Maurice blanchot, Édition Payot et rivage, paris, 2015.

22-Emmanuel Levinas, carnet de captivité et autres inédits, oueuvres1, sous direction de Rodolphe câlin et de Catherine Chalier, Édition grasset et fasquelle/ IMEC, Italie 2017.

23-Emmanuel Levinas, hors sujet, fata morgana, paris, 1987.

24-Emmanuel Levinas, de l'unicité, inédit, rivage poche, petite bibliothèque, Payot, rivage, paris, 1985.

25-Emmanuel Levinas, de l'existence à l'existant, libraire philosophique j.vrin, 2eme édition, paris, 1993.

26-Emmanuel Levinas, de l'oblitération, entretien avec Françoise - armengaud à propos de sosno, édition de la différence, paris, 1990.

27-Emmanuel Levinas, le temps et l'autre, praha- Liberec, 1997.

28-Emmanuel Levinas, la réalité et son ombre, revue les temps modernes, n38, 4 année, novembre, paris, 1984.

29- Emmanuel Levinas, autrement qu'être ou delà de naissance, biblio essai, livre de poche, édition nijhoff, 1978.

المراجع

– باللغة العربية

1- مصطفى الضاوي، من العلم إلى الاتيقا، ليفيناس قارئًا لهوسرل،دار كنور المعرفة، عمان، 2020

2-جويل هنسل، من الموجود إلى الغير، تر: علي بوملحم، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

3- مشيلا مرزانو، فلسفة الجسد، تر: نبيل أبو صعب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيرون- لبنان، ط1، 2011.

4-بول ريكور، الذات عينها كآخر، تر: جورج زيناتي، مركز توزيع دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت -لبنان، ط1، 2005.

5-عبد الله المطيري، فلسفة الآخرية، الآخر بين سارتر وليفيناس وبهجة الضيافة، منشورات مدارك، السعودية، ط1، 2021

6- جوديث بتلر، مفترق الطرق، اليهودية ونقد الصهيونية، تر: نور الحريري، المركز العربي للأبحاث ودراسات السياسات، الدوحة-قطر، بيروت- لبنان، ط1،2017.

7-رشيدة فؤاد، الحياة الأسرية والاجتماعية للمرأة اليهودية في نصوص اليهود الدينية المقدسة،مختبر السرديات والخطاب والدراسات المقارنة، جامعة مُحَمَّد الحسن الثاني المحمدية– الدار البيضاء، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسيك، الدار البيضاء، إفريقيا الشرق،ط،1 ،2001 .

المراجع باللغة الأجنبية

1- Salomon Malka, Emmanuel Levinas, la vie et la trace, JC Lattès, France,2000.
2-François Poirié, Emmanuel Levinas, essai et entretiens, Babel, la manufacture, 1987, actes sud, 1996.
3- marie Monnet, Emmanuel Levinas, la relation à l'autre, les presse universitaire de l'institut catholique de Toulouse,2eme «édition, paris, mars 2016.
4- Francisco Xavier Sànchez Hernández, vérité et justice dans la philosophie de Emmanuel Levinas, l'harmattan, paris, 2009.
5-Edmund Husserl, méditation cartésienne, cinq vrui, paris, 1953.

6- yasahilo Murakami, Levinas phénoménologue, édition Jérôme Millon, Grenoble, France, 2002.
7-Ruud Welten, phénoménologie du dieu invisible, essai Et étude sur -
8-Emmanuel Levinas, Michel henry, jean Luc Marion, trad de l'anglais; sylvain camilleri, l'harmattan, paris, 2011
9- Martin Heidegger , être et temps, trad de l'allemand François vézin, édition Gallimard, nrf , paris,1986
10- François poire, Levinas, qui êtes vous, la manufacture, paris, 1987.
11- Michael de saint Cheron, entretiens avec Emmanuel Levinas, 1983-1994, biblio essai inédit, livre de poche, librairie générale française,1 er publication, France, 2006.
12-Catherine Chalier , trace de l'infini, Emmanuel Levinas et la source hébraïque, cerf, 2002.

13-Félix Perez, apprendre à philosophie avec Levinas, ellipses, édition marketing s.a, paris, 2016.

14-François- David Sebbah, Levinas, Édition Perrin, France,2010.
15-Miguel Abensour, Emmanuel Levinas, l'intrique de l'humain-entretien avec Danielle Cohen –Levinas- entre métapolitique et politique, Hermann éditeurs, paris,2012.
16-Philipe fontaine, et Ari Simhon, Emmanuel Levinas, phénoménologie, éthique, esthétique et herméneutique, le cercle herméneutique, 2007.
17-jacques Derrida, adieu à Emmanuel Levinas, Galilée, France,1997.
-18 jacques Derrida, l'écriture et la différence, édition du SEUIL, paris, 1967.
19-jean François Rey, Levinas le passeur de justice, édition michalon, 1997, paris.
20-Ernst wolff, de l'éthique à la justice , langage et politique de la philosophie de Levinas, spring, the netherlands, 2007.
21-Sean hand, Emmanuel Levinas, routledge, London and new York, 2009.

الموسوعات والقواميس

بالأجنبية

1-Rodolphe câlin, François-David Sebbah, le vocabulaire de Levinas, ellipses, 2002.

2-blay, grand dictionnaire de la philosophie, Larousse, CNRS canada, Québec, 2005.

المجلات

ب- العربية

1- أحمد عبد الحليم عطية، ايمانويل ليفيناس وعادل ظاهر، مجلة أوراق فلسفية، العدد السابع عشر، القاهرة، 2007.

2- هاشم الميلاني، محمود حيدر، مجلة الاستغراب، الذاتية- الغيرية، إشكال الإنسان على الإنسان، العدد 10، السنة 04، شتاء ، بيروت- لبنان، 2018.

3- شفيق جرادي ، مجلة المحجّة، عدد خاص، عودة الميتافيزيقا، العدد 21، بيروت- لبنان، 2010.

باللغة الأجنبية الفرنسية والانجليزية

1-olivier morgin, esprit, revue internationale, n234,saint -martin, paris, juillet 1997.

2-Françoise Armengaud, comment écrire une biographie d'artiste: Sacha sosno et l'art d'oblitération, marge, n07-2008/1.

3- Cesare Del mastro, du mourir de la statue au procédé justes de l'oblitération ;Levinas face à l'œuvre de sosno, nouvelle revue d'esthétique, n 25,p u f, 2020

4-Gabrielle Atlan, le statut de la femme dans le judaïsme, revue société, droit, religion, numero4, crrsédition, 2014.

5-Joëlle Hansel, Levinas in Jérusalem: phénoménologie, ethics, politics, aesthetics, springer, volume14, 2009.

6-Sean hand, Emmanuel Levinas, routledge, London and new York, 2009

المواقع

1-حسان الغامدي ، فلسفة الآخرية مع د عبد الله المطيري، لقاء مسجل- يوتوب ، حصة تناص- بودكاست، شركة نديم، لقاء مسجل، 30افريل

2-babilio.com.

الملخص

يعتبر سؤال التأصيل الفينومينولوجي الترنسندنتالي الأساس لفهم الميتافيزيقا الليفيناسية، حيث نسعى من خلال هذا العمل إظهار قيمة الأصل الترنسندنتالي الديني الذي يوظفه ليفيناس من خلال فينومينولوجيا اللا ظهور، فما وراء الوجه والتي تكشف لنا حقيقة الإله الغير مرئي، والذي يعتبره ليفيناس أساس الخطاب والأوامر الاتيقية التي تُوصي على العناية بالشخص الآخر.

الكلمات المفتاحية: الترنسندنتالي، الاتيقا، الإله، الوجه، الذاتية.

Résumé:

La question de l'enracinement phénoménologique transcendantal est considérée comme la base de la compréhension de la métaphysique lévinasienne. A travers ce travail, nous cherchons à démontrer la valeur de l'origine transcendantale religieuse que Levinas emploie à travers la phénoménologie de la non-apparence, au-delà du visage, qui nous révèle la vérité du Dieu invisible, que Levinas considère comme la base du discours et des ordres éthiques qui recommandent de prendre soin de l'autre.

Mots-clés: la transcendance, l'éthique, Dieu, le visage, la subjectivité.

Abstract:

The question of transcendent phenomenological rootedness is considered the basis for the understanding of Levinasian metaphysics. Through this work, we seek to demonstrate the value of the transcendental religious origin that Levinas employs through the phenomenology of non-appearance, beyond the face, which reveals to us the truth of the invisible God, which Levinas considers as the basis of discourse and ethical orders that recommend taking care of the other.

Keywords:the transcendence, ethics, God, the face, subjectivity.